عودٌ إلى "معجز أحمد"

لأبي العلاء المعري

عبدالعزيز بن ناصر المانع

أستاذ في قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

في عام ١٩٨٦ م صدر عن دار المعارف بالقاهرة شرحٌ لديوان أبي الطَّيب المتنبي عنوانه «معجز أحمد» في أربعة أجزاء بتحقيق الدكتور عبدالمجيد دياب . وقد أثار صدور هذا الشرح منسوبًا إلى أبي العلاء المعري الكثير من الشكوك بين المهتمين بتراث أبي العلاء المَعَرِّي وأبي الطَّيب المتنبي على حد سواء . ولعل ما كتبه الدكتور محمد عبدالله العزام أخيراً في مجلة «عالم الكتب» ، المجلد الرابع عشر ، العدد الثالث الصفحات ٢٤٢ - ٢٦٢ ، تحت عنوان «ليس للمعري» يعد أفضل ما قرأته في بابه ، ولا أكتمُهُ ولا القارئ سراً إذا قلت : إن بحثه هذا الذي قرأته أكثر من مرة قد أمتعني - بل قد أطربني - لجمال حواره ، ولاستخدامه للأسلوب المنطقي الذي يُعَدُّ المنفذ الوحيد للإقناع . ورغم هذا - ولا ضَيْرَ في هذا - فأنا أتفق مع الباحث الكريم فيما ذَهَبَ إليه وأختلف معه في الوقت نفسه .

أمَّا وجه الاتفاق فهو ينصبُّ على الهدف الأساسي الذي من أجله كتب الباحث بحثه المذكور وهو نفي نسبة هذا الذي نُشِرَ إلى المعري . إني أتفق معه - دون أدنى تردد وبكل قناعة - على أن هذا الكتاب المنشور باسم «معجز أحمد» ليسَ للمعري . وما أورده الباحث الكريم من حجج وأدلة هي ، في الواقع ، كافية لإقناع المقتنع بصحة نسبة الكتاب للمعري بالعدول والرِّدة عن قناعته ، فما بالك بمن راوده الشك في النسبة منذ صدور الكتاب !

ولكنني أيضًا أختلف مع الباحث الكريم في موضوع وجود كتاب اسمه «معجز أحمد» للمعَرِّي وفي تشككه أحيانًا ونفيه أحيانًا أخرى وجود كتاب بهذا الاسم له . وعندي يقين أن تذبذُبَ الباحث الكريم نفيًا وإثبَاتًا لهذا الكتاب جاء في إطار محاولته نَفْيَ هذا «المعجز المُزوَّر» ولم يجئ عَمْداً أو قصدًا . ولهذا فإن مهمة هذه الورقات هي محاولة تأصيل وجود كتابين للمعري عن ديوان أبي الطيب المتنبي أحدهما اسمه «معجز أحمد» والآخر اسمه «اللامع العزيزي» .

سأبدأ ، أولاً ، بمحاولة محاورة الباحث الكريم الدكتور العزام في موقفه من «معجز أحمد» - الحقيقي ، لا المزور المنشور - وذلك من خلال ما عرضَهُ أو تعرَّض له من نصوص في بحثه ؛ استقاها من مصادر التراث . وغالب ما سأقف عنده من بحثه يدور حول صفحات ثلاث محصورة هي : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ وهي الصفحات الداخلة بين ترقيمه ٩ ، ١٠ وربما رجعت مرة أو مرتين إلى غيرهما أما ما عداه فلا خلاف بيننا فيما كتبه في بقية بحثه القَيِّم المتقن .

عندما تناول الباحث الكريم بالمناقشة فهرسي القفطي وياقوت قال : «فلم يرد للمعجز ذكر في فهرست كتب أبي العَلاء الذي نقله القفطي وياقوت الحموي . والفهرست المذكور **دقيق جداً** ومصدرهُ أبو العلاء نفسهُ وجماعةٌ من أصحابه وأعوانه ، وهو **تامٌ** بدليل قولهم بعد ذكر أحد الكتب : (وهو آخرَ شيء أمْلاهُ) فهذا يدل بوضوح على أن

(معجز أحمد) لم يوجَدْ أصلاً أو أنه كان مجرَّد رسالة صغيرة تدخل في عموم قولهم في آخر الفهرست : وله بعض كتب في العروض والشعر بدأها ولم تَتِمّ أو تَمَّتْ وشذَّ عنا أسماؤها» .

ولي على هذا الحديث مداخل :

١ - إن فهرسي القفطي وياقوت الحموي لكتب أبي العلاء مختلفان من وجوه كثيرة .

٢ - إن فهرست القفطي لم يكن في الواقع من إعداده ولا من إعداد أبي العلاء ، ولا من إعداد أصحاب أبي العلاء أو أعوانه بل إن القفطي - رحمه الله - قد ذهب إلى ما هو أشد من ذلك فقد بَرَّأ نفسه من هذا الفهرست ومن توثيقه إذ يقول : «وأحْضَرَني بعض البغداذيين بالبلاد الشامية أوراقاً تشتمل على ذكر تصانيف أبي العلاء وتقادير أكثرها فنقلتُها على فَصِّها» .

فقوله : «فَنَقَلْتُهَا على فَصِّها» تبرئة منه لنفسه ومطالبة ضمنية منه لقارئه بعدم تحميله مسئولية صحة هذه القائمة زيادةً ونقصاً، خاصة وأنه نكَّر الراوي لهذا الفهرست بقوله «أحضرني بعض البغداذيين» فلم يُسَمِّه ولوكان مشهوراً أو من العلماء أو من أعوان أو أصحاب أبي العلاء لسَمَّاه .

نعم : بعض كتب فهرست ياقوت نسبت إلى أحد «مُستملي أبي العلاء» ولكنه لم يُسَمِّ أيضاً .

٣ - فرق كبير بين فهرست القفطي وفهرست ياقوت الحموي من حيث العدد فالأول بلغ عدد الكتب الواردة عنده خمسة وخمسين كتاباً ، في حين أن عدد كتب أبي العلاء عند ياقوت يزيد على سبعين كتاباً .

٤ - إنَّ وصف «التمام» و«الدقة» لا ينطبقان على فهرسي القفطي والحموي ما دام الفرق في عدد الكتب بينهما شاسعًا إلى هذا الحد !

٥ - إن عبارة «وله بعض كتب في العروض والشعر بدأها ولم تتم أو تمَّتْ وشذ عنا أسماؤها» ليست من «قولهم» أو «قولهما» ؛ القفطي وياقوت ، وإنما هي عبارة ياقوت وحده .

٦ - إنَّ العبارة التي أورَدَها القفطي وذكرها ياقوت بعد ذكر كتاب «عون الجمل» وهي : «وهو آخر شيء أملاهُ» لا تدلُّ إطلاقاً على «تمام» القائمة ، ومن ثم عدمُ وجود كتاب للمعري اسمه «معجز أحمد» . إن هذه العبارة لا تزيد على كونها تقرير واقع تاريخي لأحد كتب أبي العلاء ، وهو أن هذا الكتاب هو آخر كتاب أملاه مؤلفه . ولو جاء هذا النص في خاتمة القائمة فربما دل - حينئذٍ - على شيء مما أراده الباحث الكريم وهو أن الفهرست أو القائمة مرتبة ترتيبًا تاريخيًا وأنْ لا مؤلفات للمعري بعد ذلك . ولكن واقع الفهرست عند القفطي والحموي خلاف ذلك فقد ذُكِرت كتبٌ بعد تلك العبارة عند كليهما .

٧ - إنَ الزيادة الكبيرة في عدد كتب فهرست ياقوت الحموي تجعلني أعيد قراءة هامش الباحث الكريم رقم (٤٠) والذي نَصُّه : «نقل الشيخ حمد الجاسر عن خير الدين الزركلي - رحمه الله - أنَّ رجلاً سَمَّاهُ جَمَع تراجم من بعض الكتب ونقلها على وَرَق قديم في جزأين بعنوان (معجم الأدباء) لياقوت الحموي ، وقدَّمها إلى المستشرق مرجليوث ليأخذ مكافأةً كان قد أعلن عنها ، وأن المستشرق أدخل تلك التراجم في الكتاب» .

وبِغَضِّ النظر عن كون ترجمة أبي العلاء من بين تلك التراجم المزورة أو لم تَكُنْ ، فإن من بين الكتب التي ذكرها ياقوت ما يشككني في قائمته مثل كتاب «بعض فضائل علي - كرَّم الله وجهه» . إن نسبة مثل هذا الكتاب إلى أبي العلاء المَعَرِّي تضفي مزيدًا من ظلال الشك على صحة قائمة ياقوت زيادة ونقصًا أيضًا .

بعد هذا كله أقول : إذا كانت قائمة كل من القفطي وياقوت لها مثل هذه الصفات من عدم الكمال والتمام والدقة والتوثيق فليس من الملزم الاعتماد عليهما في عدم وجود كتاب للمعري اسمه «معجز أحمد» لمجرد أن قائمتيهما لم تذكراه حتى وإن كانتا أشمل قائمتين بين أيدينا .

٨ - ثم ليس هناك مايمنع - كما قال الباحث الكريم - أن يكون كتاب «معجز أحمد» - إن صحت فهرسة ياقوت - «أحد الكتب التي تَمَّت له في الشِّعر وشَذَّ عنه اسمه !» .

٩ - أما أنَّ القفطيَّ لم يطلع على «معجز أحمد» «مع قُرب العهد والدار ، وحرصه المشهور على حيازة نوادر المصنفات» فليس دليلاً على عدم صحة أو نفي وجود مالم يطلع عليه القفطي لمجرد أنه لم يطَّلع عليه .

ثم يحاول الباحث الكريم ، وهو يحاور محقق «المعجز المزور» أن يخرِّج النصوص التي ورد فيها إثبات وجود «المعجز الحقيقي» ، وهذا حق الباحث دون شك ولكن ينبغي أن نفرِّق بين إثبات كون «المعجز» المنشور مُزَوَّرًا على أبي

العَلاء وبين نفي كتاب له ، حقيقي ، اسمه «معجز أحمد» . ينبغي أن لا يقودنا نفي صحة ذاك إلى نفي وجود هذا .

لقد كاد ذلك أن يحدث عندما تناول الباحث الكريم نص ابن عساكر الذي يقول : «وممن تكلم على شعره أجْمَعَ [أي شعر المتنبي] ابن جني في شرح ديوانه وقد سَمَّاهُ الفَسْر ، وكتابُ اللامعِ العَزيزي ، ومعجز أحمد أيضًا ، لأبي العَلاء المَعَرِّي» .

يقول الباحث الكريم : «ولعلَّ هذا هو النص الوَحيد الذي يجمع بين الكتابين ولكنه لم يُصَرِّح بالوقوف عليهما ! وظاهر القول أنهما كتابان . وربما يفهم منه أن (المُعْجز) شرحٌ للديوان بتمامه كاللامع وَلكن ذلك غير لازم لاحتمال أن يكون (المعجزُ) ذُكِرَ استطراداً بدليل كلمة (أيضًا) . وليس من الضروري أن يتطابق المَعْطوفُ والمعطوف عليه من كافة الوجوه ، بل إنه لا يَمْتَنعُ تأويلُ النَّص ليدلَّ على أنَّ اللامعَ يُسَمَّى أيضاً (معجز أحمد) ، ولكنه لا يخلو من تكلف» .

ولي أيضاً وقفاتٌ عند تلك المناقشة :

١ - أود أن يعلم الباحث الكريم أن هذا ليس النص الوحيد الذي جمع بين الكتابين ، فقد جمع بينهما ابن خلكان في الوفيات ، والصفدي في الوافي .

٢ - حاول الباحث الكريم من خلال فهرستي القفطي وياقوت الحموي ، وهما أشمل قائمتين - كما مَرَّ - أن ينفي «المعجز» لعدم وروده فيهما .

٣ - عندما ورد ذكر «المعجز» مستقلاً عن اللامع عند ابن عَساكر حاول الباحث الكريم أن يلغي هذه الاستقلالية تلميحًا تارةً وتصريحًا تارةً أخرى .

٤ - أعيدُ نَصَّ مَقْطَعٍ من مناقشته : «... ولكنه لم يُصَرِّح بالوقوف عليهما ... ، وربما يفهم أن المعجز شَرْحٌ للديوان "بتمامه" كاللامع ، ولكن ذلك غير لازم لاحتمال أن يكون المعجز ذكر استطراداً بدليل كلمة أيضًا» .

وأسأل الباحث الكريم : ألا يبدو من كلامه هذا أنه مقتنعٌ بوجود كتاب للمعري عن المتنبي اسمه «مُعْجز أحمد» بغض النظر عن كونه شرحًا للديوان بتمامه كاللامع ؟

ثم أعود لأسأله مرة أخرى : كيف اعتمدت على صحة رواية ابن عساكر في أن «اللامع» شرح تام للديوان وشككتَ في ذلك بالنسبة «للمعجز» مع أن ابن عساكر لم يصرح بالوقوف عليهما معًا ؟

أنت تقبل رواية ابن عساكر في تمام «اللامع» مع أنه لم يُصَرِّح بالوقوف عليه ؟

وأنت ، في الوقت نفسه ، تشكك في رواية ابن عساكر في وجود المعجز لأنه لم يصرح بالوقوف عليه !

٥ - إن قول الباحث «وربما يفهم منه أن (المعجز) شرح للديوان بتمامه كاللامع» يوحي لقارئه أن اللامع شرح للديوان بكامله كالفسر وأن المعري وقف عند كل بيت من أبيات الديوان كابن جني ، واللامع ، كما نص الباحث الكريم ، في صفحة ٢٤٤، ليس كذلك ، بل هو شرح لغوامض الديوان ، وسيجيء توضيح لذلك في آخر هذه الورقات .

٦ - عندي أن كلمة «أيضًا» في عبارة ابن عساكر : «ومعجز أحمد أيضاً» ، لم تجئ عبثًا ، وإنما جاءت لتعبر عن وجود شرح آخر للمعري لديوان أبي الطيب المتنبي ليس كاللامع في الشمول لكنه حول الديوان . ولعل هذا ما قصده الباحث الكريم حين قال : «لاحتمال أن يكون المعجز ذُكِرَ استطراداً بدليل كلمة أيضًا» .

أقول : وإذا كان ذلك كذلك وأن «المعجز» الموجود - مختصراً - في ذهن ابن عساكر ، وربما في ذهن الباحث - قد «ذكر استطراداً» فكأننا متفقان على وجود كتاب للمعري اسمه «معجز أحمد» لكنه ليس مطولاً كاللامع .

٧ - لكن الباحث الكريم ما كاد يقتنع بوجود «المعجز» حتى نراه يلجأ إلى تخريج متكلف باعترافه إذ يقول «... بل إنه لا يمتنع تأويل النص ليدل على أن (اللامع) يسمى أيضًا (معجز أحمد) ولكنه لا يخلو من تكلف» .

وأقول : إن كلمة «أيضًا» هي التي ساقته إلى تكلف هذا الاقتراح المتكلف .

وإذا وافقنا الباحث الكريم على أن سقوط اسم «معجز أحمد» من فهرسي القفطي وياقوت الحموي هو دليل على عدم وُجُود كتاب بهذا الاسم .

وإذا وافقناهُ على أن ذكر ابن عساكر للكتاب باسمه لا يدل على وجوده أيضًا لأن ابن عساكر «لم يُصَرِّح بالوقوف» على الكتاب .

فماذا سيقول الباحث الكريم عن ذكر كتاب «معجز أحمد» عند ابن أبي الإصبع في كتابه الموسوم «تحرير

التحبير» وكتابه الآخر «بديع القرآن» ؟ ، وهو في كليهما قد صرح بوقوفه على الكتاب وباستشهاده منه ورده على أحد نصوصه ؟ !

لكن الباحث لا يعدمُ التخريج . يقول : «وذكرَهُ ابن أبي الإصبع ضمن مصادره» حيث قال : (ولقد وقَفْتُ من هذا العلم على أربعين كتاباً ، منها : شروح أبي العلاء الثلاثة ؛ "ذكرى حبيب" ، "وعبث الوليد" ، "ومعجز أحمد") ثم نقل منه النَّصَّ التالي : «باب الطاعة والعصيان : هذا النوع استنبطهُ أبو العلاء المعري عند نَظَرِه في شعر أبي الطيب المتنبي وشرحه له من قوله ... » .

ثم يعلق الباحثُ على ذلك فيقول : «هذا النصُّ هو أقْوَى الأدلة على وجود (المعجز) واستقلاله لأنه يتضمَّنُ التصريح بالوقوف عليه والنقل منه» ومع قناعته الواضحة هذه إلاَّ أنه يحاول ، كما حاول مع غيره من النُّصوص ، هَدْمَ مالقيَهُ عند ابن أبي الإصبع من توثيق يدل على وجود «المعجز» . يقول : «ولم يُصَرِّح بذلك غير ابن أبي الإصبع من المؤلفين . لكن يلاحَظُ عليه قوله : شروح أبي العلاء الثلاثة» - بهذه الصيغة الحاصرة - في سياق الإشارة إلى كثرة مصادره ، وليس منها (اللاَّمع) مع شهرته ، وأنَّ قوله : «عند نَظَرِه في شعر أبي الطيب» ينطبق على "اللامع" فمن الغريب أن ابن أبي الإصبع يغفل الكتاب المشهور لأبي العَلاء ، ويذكر كتاباً لم يعرفه تلاميذ أبي العلاء ! ؛ وهذا الإشكال يزول بالمرة إذا افْتَرَضْنَا أن (اللامع) و(المعجز) عنوانان لكتاب واحد على غرار كتبه الأخرى ذات العنوانين» .

ولي أيضاً بعض التعليقات على هذا النقاش :

١ - لا شك أن دفاع الباحث الكريم هنا هو أضعف مواطن مدافعاته لوجود «المعجز» لأنه ، هنا ، يقف أمام أقوى دليل على وجوده كما هو واضحٌ وكما سَأُوضِّح .

٢ - يُسْتغربُ الباحث الكريم إيراد ابن أبي الإصبع لشروح أبي العَلاءِ الثلاثة بهذه الصيغة الحاصرة في سياق الإشارة إلى كثرة مصادره وليس بينها «اللامع» .

وأسأله : وما وجه الغرابة ؟

إن ابن أبي الإصبع في سبيل تأليف كتابه النقدي ؛ «تحرير التحبير» ، احتاج ، من ضمن ما احتاج إليه ، إلى الاطلاع على بعض الكتب النقدية ومن بينها هذه الكتب الثلاثة لأبي العلاء دون غيرها من كتبه حتى ولو كان كتاباً كبيراً مشهوراً كاللامع . إن الكتب التي اطلع عليها محدودة بهذا الرقم الذي أشار إليه في مقدمته ولو أنه اطلع على اللامع أو على غيره من شروح الديوان المطولة - وما أكثرها - لنص على ذلك . لكن كل الكتب التي ذكرها ذات علاقة مباشرة بالنقد والبلاغة ، ونَصُّ ابن أبي الإصبع الذي اقتبسه من المعجز ذو اتجاه أدبي نقدي كما سيأتي شرحه .

٣ - لا أدري ما الذي دفَعَ الباحث الكريم إلى أنْ يقرر ، جازمًا ، بأن قولَ ابن أبي الإصبع «عند نظَره في شعر أبي الطَّيب ...» ينطبق على «اللاَّمع» ؟ ما الدليل ؟ .

ما الذي يمنع أن يكون ما استنبطه أبو العلاء من شعر أبي الطَّيب مذكورًا في كتابه الآخر : «معجز أحمد» ؟!

لماذا ننكر ما رآه ابن أبي الإصبع ، ووقف عليه ، ونقل منه بنفسه ، ونحاول إثبات أنَّ ما رآه - ولم نَرهُ - هو «اللاَّمع» وليس «المعجز» ؟!

٤ - ثم إن الباحث الكريم في محاولة مدافعته لهذا الدليل القوي عند ابن أبي الإصبع يلجأ - ثانية - إلى مالجأ إليه سابقًا ، وهو مَرْكَبٌ سهل ، فيقول :

«وهذا الإشكالُ يزول بالمرَّة إذا افْتَرَضْنَا أن (اللامع) و (المعجز) عنوانان لكتابٍ واحد على غرار كتبه الأخرى ذات العنوانين» .

ما رأيه إذا قلتُ له إني لن أتفق معه وأذهبَ إلى ما ذَهَبَ إليه في افتراض هذا الافتراض ، بل سألتزم الوقوف إلى جانب ابن أبي الإصبع في صحة وجود كتاب غير «اللامع» اسمه «معجز أحمد» غير «المعجز المنشور المزور» ولعل ما يدفعني إلى هذا الانحياز أن ابن أبي الإصبع - على خلاف جميع المؤلفين الذين ذكروا «المعجز» يتحدث عن هذه الكتب النقدية التي سردها في مقدمته حديث المتخصص ذي الدراية والعلم بالموضوع الذي يتحدث عنه، فهو ناقدٌ ، ويؤلف كتابًا في النقد ولا أظن أن ناقدًا مثله تمر عليه حلية مزيفة خاصة إذا كانت من صناعة أبي العلاء المعري ولمعصم كمعصم ديوان أبي الطيب المتنبي .

٥ - يقول الباحث الكريم :

«والغريب أن يرجع ابن أبي الإصبع إلى كتاب لم يعرفه تلاميذ أبي العلاء» .

وأقول : بل الغريب أن نقرر أن تلاميذ أبي العلاء لم يعرفوا «المعجز» ولذلك أتسَاءَلُ :

هل وصلت إلينا كل كتب أبي العلاء ؟

بل كل كتب وروايات وفهارس التلاميذ ؟

بل كل كتب التراث ؟

ثم ألم يقرر القفطي – وهو من يعوِّل الباحث الكريم على رواياته – أن «أكثر كتب أبي العلاء عُدِمَتْ» ؟ وإذا بقي لنا ، على هذا ، من «المعجز» اسمه واقتباس ابن أبي الإصبع منه ووقوفه عليه ، فهذا خير .

ومما مرَّ يتضح إصرارُ الباحث على نفي وجود كتاب مستقل اسمه «معجز أحمد» حتى لا يضاهي هذا المطبوعَ المزوَّرَ ويماثله ، وهو محقٌ – إلى حد ما – فيما ذهب إليه .

لكنْ : ما موقفه إذا ذَكَرَت المصادر وجودَ كتاب «مختصر» اسمه «معجز أحمد» لا يضاهي هذا المطبوع ولا يماثله ؟ أيقبلُهُ ؟

ذلك ما ينقلنا إليه الباحث الكريم في نقاشه التالي لنص ابن خلكان ؛ يقول النص :

«ولما فَرَغ من تصنيف (اللامع العزيزي) في شرح شعر المتنبي و قُرِئ عليه أخذ الجماعة في وصفه فقال أبو العَلاء : كأنَّما نظر إليَّ بلحظ الغَيب حيث يقول :

أنا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي
وأسْمَعَتْ كلماتي مَنْ به صَمَمُ

واخْتَصَرَ ديوان أبي تَمَّام وشَرَحَهُ وسمَّاه : (ذِكْرَى حَبيب) ، وديوان البحتري وسمَّاه : (عَبَث الوَلِيد) وديوان المتنبي وسمَّاه : (معجز أحمد) وتكلم على غريب أشعارهم ومَعَانيها ، ومآخذهم من غيرهم ، وما أُخِذَ عليهم ، وتولَّى الانتصارَ لهم ، والنقد في بعض المواضعِ عليهم ، والتوجيه في أماكن لخطئهم» .

يقول الباحث الكريم مُعَلِّقاً :

«ولكن النظرة النقدية تقلل من أهمية هذا النص لأن ابن خلكان يجمع مادته من مصادر كثيرة فلا يدل ذكر (اللامع) و (المعجز) في صفحة واحدة على كبير شيء . ويظهر أن الخبر المتعلق (باللامع) مصدره السِّلَفي ، كالخبر السابق عليه ، وقد أورده القفطي بحروفه ... أما الجزءُ المهم وأوله قوله : (واختصر ديوان أبي تمام) فلا يتضح من أين أخذه ابن خلكان ، والغالب أنه من غير كتاب السِّلَفي ؛ إذ لو كان فيه لقرأه القفطي ، وهو المدقق الحريص ، وعرف بوجود كتاب اسمه المعجز ، وإذن يصبح هذا النص كالنص الوارد في (تحرير التحبير) سواء بسواء ؛ أعني أنه يذكر للمعري كتاباً باسم المعجز ويغفل اللاَّمع ، وينقص عنه بعدم التصريح بالوقوف عليه والنقل منه ... يمكن أن يقال : إن الراوي ، كغيره ، سماه (المعجز) وهو (اللامع) وجعلَهُ مختصراً» .

ولي أيضًا على هذه المناقشة مداخل :

١ – يذهب الباحث هنا إلى توظيف «النظرة النقدية» واستخدامها لهدم نص ابن خلكان وربما وظفتُ الوسيلة نفسَهَا لترميم ما يحاول هدمه .

٢ – عندي أن إقحام السِّلَفي مصدراً لخبر «اللاَّمع» وحده ليس ، بالضرورة ، سليماً ذلك أن الخبر الذي أسنده ابن خلكان إلى السِّلَفي ، والذي قال عنه الباحث بين حاصرتين : [ونقل خبراً لا حاجة لنا به] هو ، في الواقع ، الخبر الذي استقاه ابن خلكان من السِّلَفي لا خبر اللامع .

يقول الخبر : «قال الحافظ السِّلَفي : أخبرني أبو محمد عبدالله ... الإيادي أنه دَخَل ، مع عمه ، علَى أبي العَلاء يزوره ، فرآهُ قاعداً على سَجَّادة لَبِد ، وهو شيخٌ ، قال : فدعَا لي ومَسَحَ على رأسي ، وكنتُ صَبِيًّا . قال : وكأني أنظر إليه السَّاعة وإلى عينيه ؛ إحداهما نادرة والأخرى غائرةٌ جداً ، وهو مُجَدَّرُ الوَجْه ، نَحيفُ الجسم» .

ثم يأتي مباشرة خبر «اللامع» في جملة جديدة : «ولما فرغ من تصنيف اللامع ... وقُرِئ عليه أخذ الجماعة في وصفه ...»

ثم يأتي خبر «المعجز» مباشرة في جملة أخرى جديدة : «واختصر ديوان أبي تمام ... »

في رأيي أن الواو في قوله «ولما فرغ ... » وفي قوله «واختصر ... » هما واوا استئناف . وإذا قرر الباحث إن الأولى عاطفة – لكي يصبح خبر «اللامع» من رواية السِّلَفي – فما حجته في أن الثانية استئنافية وليست عاطفة ؟

وعليه فإذا قلنا إن خبر «اللامع» مروي عن السِّلَفي فلا شك أن خبر «المعجز» مروي عنه أيضًا والعكس كذلك . والاستئناف في الواوين هو الراجح عندي وهذا لا يتضح إلا بإعادة قراءة نص ابن خلكان قراءة متأنية وربطه براويه ذلك «الصبي» . إن الخبرَ المرويَّ عن السِّلَفي ينصب أساساً على ذكر وصف ذلك «الصبي» لشكل وجه أبي العلاء وعينيه وجسمه لا علمه .

٣ – نعم : جاء ذكر خبر «اللاَّمع» الوارد عند ابن

خلكان عند القفطي ولكن القفطي لم ينسب الخبر إطلاقاً إلى السِّلفي .

لماذا لا يكون القفطي قد نقل خبر اللامع من مصدر آخر غير السلفي ؟

ثم لماذا لا ينقل ابن خلكان خبر اللامع وخبر المعجز من مصدر واحد أو مصدرين مختلفين ؟

وكلاهما لا يغير من الواقع شيئًا وهو حقيقة وجود كتاب للمعري «مختصر» اسمه «معجز أحمد» غير ذلك المطبوع المزور .

٣ – ثم يقول الباحث : «أما الجزء المهم وأوله قوله : (واختصر ديوان أبي تمام ...) فلا يتضح من أين أخذه ابن خلكان والغالب أنه من غير كتاب السِّلفي إذ لو كان فيه لقرأه القفطي» .

ويدفعنا هذا النص إلى استنتاج أمرين :

أ – الشك في روايات ابن خلكان – وهو الثقة فيما يرويه – لأنه لم يذكر لنا مصدره ، وهو في غالب كتابه لا يذكر مصادره . وحتى لو ذكر مصدره فإن الباحث قد قرر سلفًا عدم قبوله لنص ابن خلكان لأنه لم يصرح بالوقوف على الكتاب ولا النقل منه .

ب – حقًا : لو اتبعنا هذه القاعدة التي ينتهجها الباحث لسقطت أسماء كثيرة من كتب التراث التي وردت أسماؤها في مصادر التراث وفهارسه وكتبه ، ككتب ابن النديم وياقوت وابن خلكان وفوات الوفيات والوافي بالوفيات وسير أعلام النبلاء وغيرها وغيرها . أجزم أن هؤلاء لم يقفوا على كل كتاب ذكروه ونقلوا عنه ، ولم يطالبهم أحد بذلك فيما أعلم . وحتى لو طبقنا منهجه وطالبنا بضرورة التصريح بالوقوف على الكتاب والنقل منه هل سيقبل الباحث الكريم بذلك الكتاب وبوجوده ؟ أبدًا . هذا ابن أبي الإصبع وقف على كتاب «معجز أحمد» ونقل عنه ولكن ذلك لم ينفعه ولم يُغْنِه عند الباحث شيئًا .

٤ – الباحث مقتنع – حسب علمي – أن «اللامع» كتاب كبير أو شرح «تامّ» لا يمكن أن يوصف بالاختصار وعلى هذا فإن صفة الاختصار لا تنفي وجود المعجز بل تنفي أن يكون «المعجز» هو «اللامع» كما تنفي أن يكون «المعجز» المختصر هو «المعجز» المطبوع المزور المتصف بالطول فلماذا «يحارب» وجود هذا «المعجز» المختصر ؟

إن هذا الاختصار الذي وُصِفَ به «المعجز» يناسب في حجمه حجم الكتابين الآخرين اللذين قُرِن بهما وهما : «ذكرى حبيب» و«عبث الوليد» . و«عبث الوليد» مطبوعٌ «ينادي بأعلى صوته» دالاً على حجمه المتواضع !

٥ – كلاهما – محقق «المعجز المزور» الدكتور دياب والدكتور العزام – اعتمدا على نص ابن خلكان ، وكلاهما أخذ منه ما يناسبه . يقول الدكتور العزام عن الدكتور دياب : «وقد أخذ المحقق من كلام ابن خلكان ما وافق الغرض ، وهو ما يتصل (بالمعجز) وأن أبا العَلاء أملاه بعد (اللامع) وردَّ ما يتعلق بكونه مختصرًا .» .

أقول : وكذلك الدكتور عزام عامل نص ابن خلكان معاملة مشابهة ؛ فابن خلكان ذكر «اللامع» و«المعجز» في نص واحد لكن الباحث استبعد صحة خبر «المعجز» ، وقرر أن ابن خلكان نقل من مصدر غير السِّلفي وأن هذا المنقول عنه إنما ذكَرَ «المعجز» وأراد «اللامع» فالباحث رَدَّ المعجز مختصرًا أو مطولاً ، بل وفَسَّر قصد مؤلف الكتاب الذي نقل عنه ابن خلكان !

أليس في هذا تعسُّفٌ شديد لنص ابن خلكان الواضح ؟

٦ – وأخيرًا ؛ يلجأ الباحث الكريم للتخلص من ذكر «اللامع والمعجز» عند ابن خلكان في صفحة واحدة إلى ما لجأ إليه من قبل عند تخريجه لنصي ابن عساكر وابن أبي الإصبع فيقول : «ويمكن أن يقال : إن الراوي ، كغيره ، سمَّاه (المعجز) وهو (اللامع) وجعله مختصرًا» !!

ثم ينتقل الباحث الكريم إلى آخر مصادره وهو كتاب ابن العديم : «الإنصاف والتحري» ويحاول كما حاول من قبل مناقشة نصه وتفسيره وتخريجه ثم استبعاده .

ذكر ابن العديم للمَعَرِّي كتابًا «في معاني شعر المتنبي» مقداره ست كراريس .

يقول الباحث الكريم معلقاً :

«ولم يذكر ابن العديم في (الإنصاف والتحري) أن للمعري كتابًا بهذا الاسم [معجز أحمد] ولكنه صرَّح بأن له كتابًا في معاني شعر المتنبي مقداره ست كراريس وذهب [البعض] بأن هذا الكتاب هو (معجز أحمد) وهو مجرد اجتهاد منهم بلا شك لأن ابن العديم لم يذكر المعجز أصلاً ، ولا يتصور أن تفي هذه الكراريس القليلة بصفة المعجز المذكورة في نص ابن خلكان المذكور أعلاه» .

١ – أقول : إن ما أورده ابن العديم يثبت دون شك

وجود كتاب للمعري يهتم بتناول معاني شعر المتنبي ، وهذا الكتاب ، كما يبدو من نص ابن العديم ، كتابٌ «مختصر» يقع في هذا الحجم الذي ذكره من الكراريس .

وأسائل الباحث عن هذا الكتاب للمعري «في معاني شعر المتنبي» ما ماهيته ؟

أ – هل هو في رأيه «معجز أحمد» ؟

ب – هل هو في رأيه كتاب «اللامع» ؟

ج – هل هو في رأيه كتاب ثالث للمعري عن المُتَنَبِّي ؟

طبعًا استبعد الباحث في نقاشه السابق التساؤل الأول بحجة أن «ابن العديم لم يذكر (المعجز) أصلاً» .

ونَسْتبعدُ – هو وأنا – التساؤل الثاني من الذهن لأن هذه الكراريس القليلة لا تفي بكتاب كبير كاللامع العزيزي .

ونستبعدُ كذلك – هو وأنا – التساؤل الثالث فلا نعرفُ – كما ذكر الباحث في بحثه – كتابًا ثالثًا للمعري عن المتنبي .

إذاً : ماذا يكون هذا الكتاب الذي يتحدث عنه ابن العديم ؟

ألا يمكن أن يراجع الباحث نفسه ويعيد قراءة نص ابن العديم فلعلَّ هذا الكتاب «في معاني شعر المتنبي» أن يكون «معجز أحمد» .

٢ – يقـــول : «ولا يُتَصَوَّر أنْ تَفِيَ هذه الكراريس القليلة بصفة المعجز المذكورة في نص ابن خلكان المذكور أعلاه» .

ويمكن أن نَستنتج من هذا أن الباحث الكريم يوافق على وجود «المعجز» المختصر المذكور عند ابن خلكان ، ولكنه لم يجد بعدُ ما يسند هذه الموافقة والقبول من حيث عدد كراريسه وأوراقه !

وأقول : إن هذه الكراريس التي ذكرها ابن العديم يمكن أن تفي بصفة المعجز لأن «معجز أحمد» المذكور عند ابن خلكان «مختصرًا» قرن بأخويه : «ذكرى حبيب» و «عبث الوليد» . ولو راجَعْنَا قائمة القفطي ، التي يؤمن الباحث بمكانتها وتوثيقها ، لوجدنا أن عدد كراريس «ذكرى حبيب» ستون كراسة ، وأن عدد كراريس «عبث الوليد» عشرون كراسة . فانظر إلى الفارق الكبير بين الاثنين في عدد الكراريس . ومع ذلك فهما عند ابن خلكان وعند غيره مختصران . ثم إن النسبة ، نقصًا ، بين «عبث الوليد» و «معجز أحمد» هي مقاربة لمثيلتها بين «ذكرى حبيب» و «عبث الوليد» «فعبثُ الوليد» ينقص عن «ذكرى حبيب» بما يعادل ثلثيه ، وكذا «معجز أحمد» ينقص عن «عبث الوليد» بما يعادل ثلثيه تقريبًا . والعجيب أن هذا التناقص بين هذه المختصرات لدواوين هؤلاء الشعراء الثلاثة يتدرج تاريخيًا فأبو تمام أطولها ثم البحتري ثم المتنبي .

٣ – وحتى لو استبعدنا فكرة النِّسَب هذه فإن طريقة الكتابة ومقدار الأسطر في الصفحات ومقدار الكلمات في الأسطر كل ذلك له دَور أساسي في حجم عدد كراريس الكتاب وورقاته ، ولذلك فقد تفوق هذه الكراريس الست حجم «عبث الوليد» وقد توازيه وقد تنقص عنه قليلاً ، وكذلك الحال مع «ذكرى حبيب» فقد لا تصل كراريسهُ الستون إلى حجم «عبث الوليد» وربما زادت عنه وربما ساوته . وهذا كله ممكن لأن كتب أبي العلاء لم يكتبها ناسخ واحد حتى تكون أوراق هذه المختصرات ملتزمة بأعداد ورقاتها المذكورة .

٤ – ثم إن تحديد عدد أوراق الكراسة أمر مختلف فيه فالأستاذ المرحوم عبدالسلام هارون في كتابه : «تحقيق النصوص ص٢٥ الطبعة الرابعة» – يقول : «فكأن المجلد أطلق قديمًا على ما يُسَمَّى بالكرَّاسه التي هي إلى وقتنا هذا تقدر بعشر ورقات» .

وعلى هذا فكراريس ابن العديم السِّت تصل إلى ستين ورقة وما من شك أن هذه الورقات تفي ، بتوسع ، بصفة «المعجز» [المختصر] المذكورة في نص ابن خلكان .

٥ – وربما يكون ابن العديم قد رأى جزءًا من «معجز أحمد» أُطلقَ عليه هذا الاسم الذي سَمَّاه .

٦ – إذا كان ابن العديم لم ينص على تسمية الكتاب باسمه الصريح «معجز أحمد» فهذا ليس دليلاً على عدم وجود كتاب بهذا الاسم ولكنه ربما كان دليلاً على عدم رؤية ابن العديم للكتاب بنفسه . ثم إن تسمية الكتاب بغير اسمه الحرفي الذي أطلقه عليه مؤلفه أمر وارد وممكن فهذا كتاب المعري عن البحتري المسمى «عبث الوليد» يرد ، كما ذكر الباحث ، عند البغدادي بغير اسمه بل باسم «شرح ديوان البحتري» ولا شيء في هذا ولا عيب فيه ولا مأخذ عليه .

وفي محاولة الباحث الكريم إقناع قارئ بحثه أن لا وجود لكتاب اسمه «معجز أحمد» يذهب مرة أخرى إلى أن

هذه التسمية صنعها أعداء المعري وأطلقوها على «اللامع العزيزي» . يقول : «وربما يقال إن الناس قد وقعوا في دين أبي العلاء و وصَمُوه بالزيغ والزّندقة ومعارضة القرآن منذ عصره إلى اليوم فلا يستحيل أن ينسبوا إليه كتاباً يشير عنوانه من طرف خفي إلى وجود كتاب معجز غير القرآن ، أو يَضَعَ أحدهم (معجز أحمد) عنواناً على «اللامع» للإضرار به .» .

وأقول : هذا ممكن لو أن ديوان المتنبي وحده انفرد بالتلقيب دون غيره .

ثم أقول : إن هذه التسمية ، بحجة ما مر من نقاش ، تنطبق على «المختصر» لا على الكتاب المنشور المزور ، ولا على «اللامع» . وهي تسمية تنطوي على شيء من مماحكات أبي العَلاء البديعية وتلاعُبه بالألفاظ . وتلقيب شرحه لديوان المتنبي «بمعجز أحمد» لم يجئ منفرداً وإنما جاء ضمن تسمية ثلاثية لشرح دواوين ثلاثة :

فـأبو تمّام اسمهُ حَبيب ، وربما كـان لشعره مكانة خاصة عند أبي العلاء فوَرَّى عنها بهذه التسمية المستعارة من مطلع معلقة امرئ القيس :

قفا نبك من "ذكرى حبيب"...

والبحتري اسمه الوليد ، وفي شعره ما يقترن بالعبث الفني ، وربما الخطأ الفني في رأي أبي العلاء ، ومن هنا اختار له هذه التسمية موريا عنه وعن شعره بالطفل الوليد وعبثه .

أما المتنبي فهو «متنبئ» كما يدل عليه لقبه ، واسمه أحمد كاسم النبي - ﷺ - والنبي له معجزةٌ حقيقية هي القرآن الكريم ، أما «المتنبئ» فمعجزته ، في رأي أبي العلاء ليست إلا معجزة فنية تتناسب مع (المتنبئ لا النبي) تتمثل في ديوان شعره ، ولذلك سَمَّى كتابه عنه : «معجز أحمد» .

بل ربما عبرت هذه العناوين الثلاثة أيضاً عن موقف المعَرِّي النقدي تجاه شعر هؤلاء الشعراء الثلاثة فشعر أبي تمام لم يعد سوى «ذِكْرَى» وشعر البحتري «عَبَث» أما شعر المتنبي فهو «مُعْجِز» .

ثم ينتقل الباحث الكريم ليتحدث عن «إطباق الشراح جيلاً بعد جيل على الاحتفال (باللامع) وعدم الإشارة إلى شرح ثانٍ باسم (معجز أحمد) » .

أقول إن : احتفال الشراح «باللامع» جاء نتيجة كونه شرحاً كبيراً يغني عن الشرح الصغير المختصر . وينبغي أن لا يغيب عن بالنا أن المهتمين بتراث أبي تمام والبحتري ما زالوا يحتفلون بكتَابَي المعري عنهما ، شقيقَي المعجز ، لأنهم لا يجدون خياراً أحسن منهما كما يجدون عندما يبحثون عن رأي المعري في شعر أبي الطيب المتنبي ، ولهذا قال أبو المرشد المعري في كتابه «تفسير أبيات المعاني» ، ص١٥ : «وقد أورد في كتابه المعروف (باللامع العزيزي) ما لا فائدة فيما عداه ولا حاجة معه إلى سواه» وأبو المرشد لا ينفي الحاجة إلى «المعجز» فحسب بل إلى كل شروح ديوان أبي الطيب المطولة والمختصرة .

ثم جاء الباحث في الصفحة الواحدة والخمسين بعد المئتين فذكر أكثر من خمسة وعشرين مصدراً قال إن مؤلفيها لم يطلعوا على كتاب «معجز أحمد» . والواقع أن هذه المصادر التي ذكرها لم تعتمد الطريقة الإحصائية لكتب المعري حتى يمكننا ويمكنه الاحتجاج بعدم ذكرها أو اطلاع مؤلفيها على «معجز أحمد» . بل إن من بين هذه المصادر التي ذكرها من لم يذكر ، عند ترجمته للمعري اسم كتاب واحد من كتبه كالخطيب البغدادي في تاريخ بغداد والثعالبي في تتمة اليتيمة ، ومنهم من ذكر كتاباً أو كتابين كالباخرزي في دمية القصر فقد ذكر له «سقط الزند» و «لزوم ما لا يلزم» .

ثم إن «المعجز» ذُكِر باسمه في بعض هذه المصادر التي أشار إليها الباحث كالوفيات لابن خلكان ، وتحرير التحبير ، وبديع القرآن لابن أبي الإصبع ، وتاريخ دمشق لابن عساكر . وذُكِر بمعناه كما ورد عند ابن العديم باسم «معاني شعر المتنبي» .

أما ابن شاكر الكتبي ، مثلاً ، وهو من المصادر التي ذكر الباحث أنها لم تُشِرْ «للمعجز» فلم يترجم أصلاً للمعري ، لأنه إنما ترجم لمَن فات ابن خلكان أن يترجم لهم ، وابن خلكان ترجم للمعري كما هو معلوم .

ومن المصادر التي أورَدَتْ «معجز أحمد» مصادر ذكرها الباحث في هامشيه ٢٣ ، ٢٤ وهم النويري ، وابن حجة الحموي ، وابن الوردي ، والعماد الحنبلي ، والعباسي وغيرهم .

وممن ذكر «المعجز» و «اللامع» مَعًا ، بالإضافة إلى ابن عساكر وابن خلكان ، الصفدي في الوافي بالوفيات

[٧ : ١٠٣] ، قال : «ذكرى حبيب : شرح شعر أبي تمام» ، «معجز أحمد : شرح شعر أبي الطيب» ، «عبث الوليد : شرح شعر البحتري» ، ... «اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي» .

وذكرهما البغدادي في هدية العارفين [١ : ٧٧] وسمَّى اللامع : «اللامع الغزنوي في شرح ديوان المتنبي» ، وهو تطبيع . وسمَّى معجز أحمد : «معجز أحمد مختصر ديوان أبي تمام» ولعل في النص سقطاً .

إن كل هذا الحوار وهذه المناقشة لما ورد في بحث الباحث الدكتور العزام هو حوار يعتمد أساساً على الماحكات المنطقية والعقلية أكثر من اعتماده على الدليل المادي الذي ينبغي أن يكون مصاحباً لما أدعيه من إمكانية وجود كتاب للمعري اسمه «معجز أحمد» ، غير اللامع ، وغير المعجز المطبوع المُزَوَّر . وأظن أن من كمال البحث أن أقدم أدلة مادية تجعل ما أقول أمراً معقولاً ومقبولاً ولو في حدود :

لقد ذكر الدكتور دياب ، محقق كتاب معجز أحمد المنسوب للمعري ، في مقدمته ، في الصفحة السابعة مايلي :

«فرجَعْتُ إلى بروكلمان أستقصي ما ذكرهُ من النُسخ وأطلبها بالتصوير أو بالوَصْف ، وأخذتُ أنقب عن أماكن هذه المخطوطات فعثرتُ على ما لا يقلُّ عن عشر مخطوطات ذكرها بروكلمان وبعضَهَا لم يذكرهُ بروكلمان ، ولكن وجدتها قد ضاعَتْ منها الورقة الأولى» . !

ثم يقول في الصفحة الخمسين من مقدمته :

«٣ – وقد أشار العلامة أحمد تيمور في كتابه : (أبو العَلاء المعري) إلى أن هناك نسخة من (اللامع العزيزي) في مكتبة لا له لي ... فاستوصفتها بواسطة زميل الدراسة الدكتور مقداد يلجن فأفاد بأن الكتاب هو معجز أحمد ، ومثله في مكتبة قوله بدار الكتب المصرية ، ومثله في (الحميدية) برقم ١١٤٨ و (على عزيز) » .

وعندي ملاحظات على هذا الذي ذكَرَهُ محقق «المعجز المزور»

١ – أستغرب جداً أن يعثر المحقق الكريم على ما لا يقلُّ عن عشر نُسَخ كلُّها قد ضاعت منها الورقة الأولى .

٢ – هذه المخطوطات العشر – كما يقول المحقق – مخطوطات ذكر بروكلمان بعضها وبعضها لم يذكره ، وهذا يعني أنه اطلع على كل النسخ الثمان التي ذكرها بروكلمان ماعدا نسخة بطر سبرج التي ذكر أن الدكتور عبدالفتاح الحلو وصفها له لعدم استطاعته الوصول إليها .

أشك كثيراً في صحة هذا الزعم لأني أعرف جيداً أن من بين هذه النسخ التي ذكرها بروكلمان نسخة كاملة لم تذهب ورقتها الأولى . وقد أعاد المحقق ذكرها ومكانها ورقمها عندما اقتبس من العلامة أحمد تيمور .

هذه النسخة هي نسخة المكتبة الحميدية التي تحمل الرقم ١١٤٨ (ذكرها بروكلمان في الجزء الثاني ص٨٩ من الترجمة العربية) . إن هذه النسخة هي نسخة «اللامع العزيزي» ، وهي نسخة تامة كاملة نادرة قديمة مقابلة على النسخة الأصل التي أملاها أبو العلاء ، وذلك في شهر شعبان من عام ٤٧٨هـ ؛ أي أن المقابلة تمت بعد وفاة المؤلف بما يقرب من تسع وعشرين سنة فقط ولو أنه – أو زميله الدكتور – اطَّلَعَ عليها لحلَّتْ له كثيراً من الإشكالات التي هو ، ونحن ، في غنى عنها ، وها هي اليوم تحل كثيراً من الاستفسارات التي واجهته و واجهت الدكتور العَزَّام و واجهتني . إضافة إلى ذلك فهي كشف مهم يضاف إلى تراث أبي العلاء المعري الذي كنا نظن أنه مفقود .

أما توثيق هذه النسخة المهمة فلا أظن أني أحتاج إلى الحديث عنه فكتاب «المآخذ على شراح ديوان المتنبي للأزدي» اعتمد فيما له صلة بالمعري على اللامع العزيزي بل كانت مآخذه عليه وقد قارنتُ بينهما فما وجدتُ اختلافاً .

وقد بَيَّنتْ هذه النسخة أن «اللامع العزيزي» كتاب ضخم جداً وإذا طبع – إن شاء الله – فسيكون أكبر كتاب بين أيدينا للمعري إذْ ربما يصل إلى خمسة مجلدات كبار بعد التحقيق . ويقع هذا المخطوط في ثمان وأربعين ومئتي ورقة (٢٤٨) ، وأسطر الصفحة الواحدة تتراوح بين ٣٢ – ٣٧ سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد عشرون كلمة . وهذا المخطوط مكتوب بخط نسخي دقيق للغاية لكنه جميل . ومقاسه ٢٣,٥ × ١٧,٥ سم .

بقي أن نستفيد من هذه النسخة النادرة الكاملة للامع العزيزي للتدليل للباحث الكريم الدكتور العزام – وهو الذي تمنى وجود اللامع – على أنه كتاب مستقل عن «المعجز» وأنَّ «المعجز» مختصرٌ ، وأن «اللامع» مطول ، لكنه ليس شرحاً تاماً كما قد يتبادر إلى الذهن ويفهم من نص ابن عساكر .

لنبدأ أولاً بأقوى الأدلة التي ذكرها الباحث على وجود المعجز واستقلاله عن اللامع ، وهذا الدليل هو نص ابن أبي الإصبع الذي يحدثنا في مقدمة كتابه عن وقوفه على كتاب «معجز أحمد» ثم ينقل منه في الصفحة التسعين بعد المئتين ما نصه :

«باب الطاعة والعصيان هذا النَّوْع استنبَطَهُ أبو العَلاء المَعَري عند نظره في شعر أبي الطيب المتنبي وشرحه له من قوله :

يَرُدُّ يَداً عن ثَوْبِهَا وهو قَادِرٌ
وَيَعْصِي الهَوَى في طَيْفِها وهو رَاقِدُ

وسَمَّاه الطَاعة والعِصْيَان ، أعني المَعَرِّي ، وفَسَّره بأن قال : وهو أنْ يريد المتكلم مَعْنًى من معاني البديع فيستعصي عليه لتعذُّر دخوله في الوَزْن الذي هو آخذٌ فيه فيأتي موضعَهُ بكلامٍ غيره يتضمن معنى كلامه ويقوم به وزنهُ ويحصلُ به معنى من البديع غير الذي قَصَدَهُ كهذا البيت الذي ذكرتُهُ للمتنبي فإذا أراد أن يكون في البيت مطابقة فيحتاج لأجلها أن يقول :

يردُّ يداً عن ثَوْبِها وهو مُستيقظٌ

حتى إذا قال :

ويَعْصِي الهَوَى في طَيْفِها وهو راقِدُ

يكون في البيت مطابقة فلم يُطِعْهُ الوزنُ فأتى (بقادر) مكان (مستيقظ) لتَضَمُّنه مَعْناه فإن القادرَ لا يكونُ إلاَّ مستيقظًا ، وزيادةً : فقد عَصَاه في البيت الطباق ، وأطاعهُ الجِناس ، لأن بَيْنَ (قادر) و (راقد) تجنيسُ عَكْسٍ .»

هذا كلام المَعَرِّي على البَيْت .

ثم جاء ابن أبي الإصبع في كتابه الآخر «بديع القرآن» (ص ١٠٩ - ١١٠) فجاء تحت الباب نفسه «باب الطاعة والعصيان» فقال : «هذه التسمية تسمية المعري عندما نظر في شعر المتنبي وتكلم عليه في كتابه المترجم بـ (معجز أحمد) فأتى على قوله :

يَرُدُّ يداً عن ثَوْبِهَا وهو قادرٌ
ويَعْصِي الهَوَى في طَيْفِها وهو راقدُ

وقال : أراد المتنبي الطباق فعصاه ، وأطاعهُ الجناس ....» .

يقول الباحث الكريم (ص٢٤٥) «... ولا أستبعدُ أن يَعْثُرَ الباحثون على هذا النص في مخطوطة اللامع إذا وُجِدَتْ أو في شذراته الباقية في المصادر المخطوطة» .

وأقولُ : إنَّ مخطوط اللامع موجود بين أيدينا كاملاً ، والبحث فيه سهلٌ مُيَسَّر حيث شرحَهُ مؤلفه المَعَري حسب الترتيب الهجائي . وقد تعرض المعري للقصيدة التي منها هذا البيت بين الورقات ٤٠ / أ - ٤٢ / ب والقصيدة مطلعها :

عَوَاذِلُ ذاتِ الخَالِ فِيَّ حَوَاسِدُ
وإن ضَجيعَ الخَودِ مني لماجِدُ

غير أن البيت الذي ذكره ابن أبي الإصبع واقتبس شرحه من «معجز أحمد» في كتابيه غير موجود في «اللامع» شيء عنه ، ولم يَتَعَرَّضْ له المعري . وهذا ، فيما أظن ، دليل قوي على أن «المعجز» كتاب آخر غير «اللامع» .

٢ - يشير أبو العلاء في مقدمته للأمع إشارة واضحة إلى أنه قد ألف «مختصرًا» حول ديوان المتنبي . يقول «قال أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي من أهل معرة النعمان : سألني بعض الناس أن أقتفي مُخْتَصَرًا فيه تَفْسير شعر أبي الطيب فكَرِهْتُ ذلك» .

وهذا - إضافة إلى ما فيه من دلالة على تأليف كتاب «مختصر» عن المتنبي - يدل دلالة واضحة أيضًا على أنه ألف «المختصر» قبل المطول أو «المعجز» قبل «اللامع» على خلاف ما ذهب إليه محقق «المعجز المزوَّر» الدكتور دياب .

ثم يعلل المَعَري هذا الكُرْه لإعادة التأليف والشرح لديوان أبي الطيب المتنبي فيعزوه إلى تقدم العمر لكنه يمليه بلغة في بعضها شيء من الإحساس الصادق بتقدم السن . لِنَسْتَمِعْ إليه يحدثنا عن سبب تأليف «اللامع» :

«سألني بعضُ النَّاسِ أنْ أَقْتَفِيَ مُخْتَصَرًا في تَفْسِير شِعْرِ أبي الطيب فكرِهْتُ ذلك ، وسألْتُهُ الإعفاءَ فأجاب ، ثم تكَرَّرَ السُّؤالُ فأصْحَتُ معه في القياد ، وأنا كما قيلَ : مُكْرَهٌ أخُوك لا بَطَل ، وكم حَلْيٍ فَضَلَهُ العَطَلُ ، وأمليتُ شيئًا منه ، ثم علمتُ أنّي في ذلك من الأخسرين مالاً ، لا أكتَسِبُ به في العَاجلة ولا الآجلة جمالاً ، لأنَّ القريضَ له أزمان ، ومن بلغ سنِّي فما لَهُ من الحَتْف أمانٌ .

وذكر لي المجتهدُ - في خدمة عَزيز الدولة وغَرْسها أبي الدَّوام ثابت بن تاج الأمراء فَخر المُلْك ، عُمْدَة الإمَامَة ، وعُدَّة الدولة مُعزِّها ومَجْدِها ، ذي الفَخْرين - أطَالَ اللهُ

بقـاءَهُ وأدام أيّامَهُ – أبو القاسم علي بن أحْمد المُقرئ أنّ الأمـيـر ، بالدّوام ، أمَرَهُ أنْ يلتـمس لديّ من هذا الفن ، فَنَهَضْتُ نهضَةَ كَسير ، لا يَقْدِرُ على المَسير ، وأنشأتُ معه شيئًا على مقْداري لا مقْدار الآمر ، ولسْتُ في المناصَحَة بالمخامر ، وتقاضاني في المراد مُخْلِصٌ فيما كُلِّفَ مُبِرٌّ ، على أنيّ بالمَعْجزَة مُقرٌّ ، فكان كما قال القائل :

إذا ما تَقاضَى المَرْءَ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ

تقاضاهُ شيءٌ لا يَمَلُّ التّقاضيا

وأتممتُ ماكنتُ بدأتُ فيه والله المستعان وبه التوفيق .»

ثم يقول الناسخ في آخره : «تم الكتاب المعروف باللامع العزيزي من إملاء الشيخ أبي العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان ، رضي الله عنه ، في شرح ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبئ رحمه الله»

وإذًا : فلولا طلب الأمير عزيز الدولة ثابت بن ثمال ، أمير حلب بين السنوات ٤٣٣ – ٤٤٩ ، لما أتحفنا أبو العلاء بهذا الشرح العظيم ولبقينا على المختصر المعروف «بالمعجز» وهو «مختصر» ضائع لم يبق لنا منه غير اسمه واقتباس ابن أبي الإصبع منه .

وبقي شيء آخر ، وهو أن أدلل على صحة ما ذهب إليه الدكتور العزام (ص٢٤٤) وهو أن «اللامع» لم يكن شرحًا للديوان «بتمامه» . وسآخذ القصيدة الأولى من اللامع مثالاً :

«ذِكْرُ ماهو على القافية المهموزة : من التي أولها :

أمِنَ ازديارك في الدُّجى الرُّقَباءُ

إذ حيثُ كنتِ من الظّلام ضياءُ»

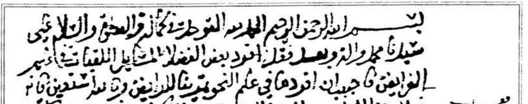
وهي قصيدة تقع في الديوان في سبعة وأربعين بيتًا تعرض أبو العلاء المَعَرِّي لشرح أربعة وعشرين بيتًا منها فقط .

والقصيدةُ الدّاليةُ التي استشهد ابن أبي الإصبع ببيت منها تقع في الديوان في أربعة وأربعين بيتًا لكن أبا العلاء اكتفى بشرح واحد وعشرين بيتًا فقط .

ولكنه ، والحق يقال ، شرح طويل جدًا غير أنه يتجه فيه إلى الشرح اللغوي أكثر من اتجاهه إلى الشرح الأدبي . ولعل «المعجز» – وهذا مجرد ظن – نَحَا مَنْحًى أدبيًا ، ولعل هذا ما جعل ابن أبي الإصبع يهتم «بالمعجز» ويجعله أحد مصادره عندما أراد تأليف كتابه النقدي «تحرير التحبير» ومن ثم يهمل «اللامع» . والنص الذي اقتبسه ابن أبي الإصبع – لا شك – نص نقدي بلاغي .

وأخيرًا : ينبغي أن أوضح أن الباحث الكريم الدكتور العزام لم يكن موقفه من وجود كتاب للمعري اسمه «معجز أحمد» موقفًا سلبيًا دائمًا فقد أشار في بحثه بوضوح إلى ذلك وإلى إمكانية كون «المعجز» كتابًا صغيرًا . يقول مستنتجًا (ص٢٤٧) : «هذه هي الوقائع ومن الواضح أنها تدور على احتمالين : فإما أن المعجز هو اللامع ، وإما أنه كان كتابًا صغير الحجم غير اللامع ، ولكني أميل – إلى أن تتضح الصورة – إلى أن المعجز لم يوجد أصلاً ، وأن بعضهم أطلق اسم المعجز لعبارة وردَتْ فيه أو للإساءة إلى المَعَرّي أو غير ذلك من الأسباب ، والله أعلم » .

ثم أقول : إن ماكتبتُه هو محاولة للإجابة عن تلك الاحتمالات وجلائها خشية أن يتوه هذا «المعجز» للمَعَرّي في خضَمّ تلك الشكوك . ومن يدري فقد يجيء يوم نعثر فيه على «المعجز» ، كما عثرنا على «اللامع» . والله المستعان .



الأستاذ الدكتور أحمد أنور عمر

(١٩٣٠ - ١٩٩٣) رائد من الجيل الأول للمكتبيين

محمد فتحي عبدالهادي

أستاذ المكتبات والمعلومات - كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس

مسقط - عمان

هذه قصة أستاذ جليل، ورائد من رواد المكتبات والمعلومات في مصر والعالم العربي عرفته منذ أكثر من ثلاثين عامًا، أستاذًا فاضلاً ثم مشرفًا مخلصًا ثم زميلاً حنونًا.

(١) المسيرة التعليمية

حصل الدكتور أحمد أنور عبدالرحمن عمر على درجة الليسانس في الآداب من قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٤٠م بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى وكان ترتيبه الأول على دفعته، ثم حصل في العام التالي على تخرجه، أي عام ١٩٤١م على دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين بالقاهرة، الذي كان يؤهل للعمل في سلك التدريس.

وتبدأ قصته مع المكتبات في يناير ١٩٤٦م حين سافر مبعوثاً إلى الولايات المتحدة لدراسة علوم المكتبات بها. وفي صيف عام ١٩٤٧م حصل على الدبلوم العالي في المكتبات من الجامعة الكاثوليكية في واشنجتن، ثم حصل في العام التالي، أي في عام ١٩٤٨م، على درجة الماجستير في علم المكتبات من جامعة متشجان بالولايات المتحدة الأمريكية.

وفي عام ١٩٦٠م حصل أستاذنا على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى في علم المكتبات (من كلية الآداب بجامعة القاهرة) مع التوصية بنشر الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى.

ولعله من الواضح أن الدكتور أحمد أنور عمر كان متفوقاً في دراسته على امتداد مسيرته التعليمية. وجدير بالذكر أن درجة الدكتوراه التي حصل عليها عام ١٩٦٠م هي أول درجة دكتوراه يمنحها قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة أقدم الأقسام الأكاديمية بالعالم العربي، كما أن العام الذي حصل فيه على درجة الدكتوراه هو أول عام يحصل فيه مصري على درجة الدكتوراه في تخصص المكتبات.

(٢) الحياة الوظيفية

بدأ الدكتور أحمد أنور عمر حياته الوظيفية في عام ١٩٤١م حين عمل مدرسًا بوزارة المعارف المصرية في العام الدراسي ١٩٤١ / ١٩٤٢م، ثم مدرسًا بمدارس الحكومة العراقية في العام الدراسي ١٩٤٢ / ١٩٤٣م، وانتقل بعد ذلك للعمل ببعض الإدارات التعليمية بوزارة المعارف المصرية، وكانت آخرها الإدارة العامة للبعثات، حتى آخر ديسمبر ١٩٤٥م، ثم كان عضو البعثة التعليمية للحكومة المصرية في أمريكا من أول يناير ١٩٤٦م حتى أكتوبر ١٩٤٨م، حيث حصل على الدبلوم العالي في المكتبات ثم الماجستير في علم المكتبات كما سبق أن أشرنا.

وكان حصول الدكتور أحمد أنور عمر على درجة الماجستير في تخصص المكتبات بداية الطريق للعمل في مجال المكتبات، حيث عمل بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية بالمكتبة الرئيسية لجامعة القاهرة رئيسًا لقسم المراجع والتبادل، وكان ذلك لمدة خمس سنوات تبدأ من أواخر ١٩٤٨م حتى أواخر ١٩٥٣م، وقد انتقل بعد ذلك

للعمل في وظيفة مدرس بمعهد الوثائق والمكتبات ، ثم بقسم الوثائق والمكتبات بعد ضم المعهد لكلية الآداب واعتباره قسمًا من أقسامها منذ سنة ١٩٥٤م . وقد ظل يشغل وظيفة مدرس منذ أكتوبر ١٩٥٣م حتى ديسمبر ١٩٦٢م حين تمت ترقيته إلى درجة أستاذ مساعد بقسم الوثائق والمكتبات في ٢٢ / ١٢ / ١٩٦٢م . وجدير بالذكر أنه حصل على درجة الدكتوراه في المكتبات عام ١٩٦٠ بعد اشتغاله مدرسًا بالجامعة وليس قبل ذلك كما هو الحال الآن .

وفي الفترة من ١٩٦٦ - ١٩٦٨م ، أعير للعمل خبيرًا بالمكتبة المركزية بجامعة بغداد ، وأعد في تلك الفترة العديد من الدراسات والتقارير التي نشرتها ووزعتها المكتبة المركزية بجامعة بغداد . ثم عاد لاستئناف عمله بقسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة . وفي العام ١٩٦٩ / ١٩٧٠م تمت ترقيته لشغل درجة أستاذ لعلوم المكتبات (ابتداءً من ١١ / ٤ / ١٩٧٠م) ، كما شغل منصب رئيس قسم المكتبات والوثائق بكلية الآداب جامعة القاهرة في الفترة من نوفمبر ١٩٦٩م حتى أول يولية ١٩٧١م .

وفي عام ١٩٧٢م طلبته دولة قطر للعمل بها مديرًا لدار الكتب القطرية ، وقام بهذا العمل لمدة سنتين طور فيها المجموعات والنظم والخدمات . وفي عام ١٩٧٤م حول إعارته من قطر إلى السعودية لكي يشارك في إنشاء ورئاسة قسم لعلوم المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لمدة عامين دراسيين (١٩٧٤ / ١٩٧٥ - ١٩٧٥ / ١٩٧٦) عاد بعدهما بعد انتهاء إعارته للتدريس بقسمه الأول وهو قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة . وقد ظل بالقسم لمدة عامين هما ١٩٧٦ / ١٩٧٧م و ١٩٧٧ / ١٩٧٨م . ثم عاد مرة أخرى للعمل بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وقضى بها عشر سنوات (١٩٧٨ / ١٩٧٩ - ١٩٨٧ / ١٩٨٨) شغل فيها منصب أستاذ لعلوم المكتبات ، كما تولى لبضع سنوات رئاسة قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بالجامعة .

وابتداء من العام الجامعي ١٩٨٨ / ١٩٨٩م عاد إلى مقره الأصلي (قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة) أستاذًا متفرغًا للتدريس والإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه لعدد من طلاب الدراسات العليا . وبعد حياة حافلة بالنشاط العملي والمهني توفاه الله في الأواخر من أكتوبر ١٩٩٢م .

ويشير هذا التاريخ الوظيفي الحافل الذي امتد نحو خمسين عامًا إلى شخصية فريدة كانت قادرة على العطاء بصدق وإخلاص لمدة نصف قرن من الزمان . وكان الدكتور أحمد أنور عمر من أوائل العاملين المؤهلين تأهيلاً عاليًا الذين عملوا بالمكتبات المصرية ، كما كان في الوقت نفسه من أوائل المؤهلين تأهيلاً عاليًا الذين قاموا بتدريس علوم المكتبات . وهو فضلاً عن هذا كان من أوائل من جمعوا بين خبرة العمل في المكتبات والتدريس في أقسام المكتبات ، فقد عمل مكتبياً لمدة تسع سنوات في جامعة القاهرة وجامعة بغداد ، ودار الكتب القطرية ، كما اشتغل بالتدريس لمدة خمس وثلاثين سنة قضى منها ثلاثًا وعشرين سنة في قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة واثنتي عشرة سنة في قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في المملكة العربية السعودية .

كان - رحمه الله - مدرسًا بمعنى الكلمة تتلمذ على يديه الكثيرون في مصر وسائر أنحاء العالم العربي ، يتحدث في المحاضرة لمدة ساعتين متصلتين بلغة عربية فصيحة سليمة دون أن ينظر في ورقة . وكان حريصًا على أن يؤدي هذا العمل بكل الإخلاص . وأذكر أنه بعد تخرجي والعمل معيدًا بقسم المكتبات والوثائق لاحظت أن أستاذي الجليل يقرأ كتابه جيدًا قبل أن يدخل قاعة الدرس لإلقاء محاضرة على طلابه .

٣ - الأنشطة العلمية والمهنية

إذا كانت المسيرة الوظيفية التي سبق الإشارة إليها تمثل الخيوط الأساسية في حياة هذا الرجل العظيم ، فإن هناك فضلاً عن هذا العديد من الأنشطة العلمية والمهنية التي قام بها الدكتور أحمد أنور عمر على امتداد سنوات طويلة من عمره . ففي وقت مبكر من حياته الوظيفية عندما كان يعمل بالمكتبة الرئيسية لجامعة القاهرة (١٩٤٨ - ١٩٥٣م) شارك في تخطيط مواد علوم المكتبات التي بدأ تدريسها في «المعهد العالي للوثائق والمكتبات» كما كان يسمى حينذاك في عام ١٩٥٠ / ١٩٥١م ، وفي ذلك العام أيضًا قدم لجامعة الأزهر مشروعًا لمبنى جديد للمكتبة المركزية لتلك الجامعة . وفي عام ١٩٥٤م انتدب خبيرًا مشرفًا على مشروع تنظيم مخطوطات مجلس الوزراء

المصري الذي اختار له تحت توجيهه عدداً من خريجي الدفعة الأولى للمعهد العالي للوثائق والمكتبات (انظر رقم ٥٠ ، ٥١ في الملحق ١) ، وبعد إتمام هذه المهمة بنجاح منحه رئيس الجمهورية وسام الجمهورية في صيف سنة ١٩٥٥م . وفي عام ١٩٦٩م عمل مستشاراً لدار الكتب القومية بالقاهرة من أجل تطوير مكتباتها الفرعية بالقاهرة وفي الفترة من أول سبتمبر ١٩٧٠م حتى نهاية فبراير ١٩٧١م عمل مستشاراً للمكتبات والتوثيق في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر . وفي مارس ١٩٧٢م عمل في دولة قطر مستشاراً لليونسكو في مجال المكتبات والتوثيق وقدم أربعة تقارير متتابعة تتضمن مقترحات مبدئية عن اتجاهات التطوير في تنظيم دار الكتب القطرية وفي إعداد أمناء المكتبات للمستقبل ، وأتبع ذلك بتقرير شامل باللغة الإنجليزية ضمنه مقترحاته للمختصين في منظمة اليونسكو عن كل ما يرجوه من تطوير للمكتبات في دولة قطر في المستقبل القريب (انظر رقم ٢٤ في ملحق ١) .

وكان الدكتور أحمد أنور عمر من أوائل من أسهموا بنشاط واضح في العديد من المؤتمرات والاجتماعات المحلية والإقليمية والدولية في مجال المكتبات والمعلومات ، ورغم أننا سنتناول ذلك في عنصر لاحق يختص بإنتاجه الفكري ، إلا أننا نشير هنا إلى أن البداية كانت في صيف عام ١٩٥٣م عندما أوكلت إليه اليونسكو قيادة إحدى الشعب الثلاث للمؤتمر الدولي للنهوض بالمكتبات العامة في أفريقيا الذي عقد في نيجيريا ، وكانت هذه الشعبة هي الشعبة الثالثة الخاصة بالإعداد التخصصي لأمناء المكتبات العامة في أفريقيا . وفي أكتوبر ١٩٧١م كان رئيساً لوفد مصر في حلقة الخدمات المكتبية والببليوجرافيا والتوثيق والمخطوطات العربية المنعقدة في دمشق ، وقد تم انتخابه مقرراً عاماً لتلك الحلقة .

وقد قام الدكتور أحمد أنور عمر بالتدريس في دورات تدريبية كثيرة جداً ابتداءً من عام ١٩٥٥م سواء في مصر أو في غيرها من البلاد العربية ، ومن هذه الدورات التدريبية : الحلقة التدريبية التي أقامها مركز التوثيق التربوي بالقاهرة في عام ١٩٧٠م ، والدورة التدريبية لأمناء وأمينات المكتبات التي أقامتها وزارة المعارف بدولة البحرين في عام ١٩٧٧م . كما أسهم أسهاماً فعالاً في الأنشطة المتنوعة لجمعيات المكتبات والوثائق بمصر . وتشير القائمة الببليوجرافية لإنتاجه الفكري الملحقة بالدراسة إلى أن أقدم هذه الإسهامات كان في أعمال جمعية مكتبات القاهرة عام ٤٩/١٩٥٠م (انظر رقم ٢ في القائمة) .

وكان الدكتور أحمد أنور عمر عضواً في العديد من اللجان المختصة بالمكتبات والتوثيق . فقد كان على سبيل المثال عضواً (عام ١٩٦٩م) في لجنة التوثيق التربوي المشكلة لوضع سياسة مركز التوثيق التربوي بوزارة التربية والتعليم بمصر والمكونة من كبار التربويين من وكلاء الوزارة ومديري التعليم الثانوي والإعدادي والإبتدائي ومركز الوسائل التعليمية بها ، كما كان عضواً في لجنة الإعلام التابعة للشعبة القومية لليونسكو بمصر التي بدأت في يناير ١٩٧٠م . وكان يمثل فيها تخصص المكتبات والتوثيق بجانب وجود التخصصات الإعلامية الأخرى التي اختير ممثلوها عن الإذاعة والصحافة والتلفزيون . وكان أيضاً عضواً باللجنة الاستشارية للإعلام بجامعة الدول العربية عام ١٩٧١م ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر والمكتبات بجامعة القاهرة . وكان أخيراً عضواً في اللجنة العلمية الدائمة للمكتبات والوثائق ، وهي اللجنة التي يقع على عاتقها فحص الإنتاج العلمي وتقييمه قبل ترقية أفراد من هيئة التدريس داخل التخصص .

وقد أشرف الدكتور أحمد أنور عمر على العديد من طلاب الدراسات العليا ، وتخرج على يديه الكثيرون من الحاصلين على درجات الماجستير والدكتوراه ومنهم من وصل منذ سنوات إلى درجة الأستاذية في تخصص المكتبات والمعلومات . وتشير القائمة التي يتضمنها الملحق الثاني للدراسة إلى أنه أشرف على إعداد ١٨ رسالة ماجستير ودكتوراه ، وهي كلها – عدا رسالة واحدة (انظر رقم ١٧ بالملحق الثاني) بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض – قد نوقشت بقسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة عبر ربع قرن من الزمان (١٩٦٦ – ١٩٩٢م) . وكان – رحمه الله – مشرفاً عظيماً ، يساعد الطلاب في اختيار الموضوعات للدراسة والبحث ، ويساعدهم في إعداد مخططات الرسائل ويتابعهم من حين لآخر حتى أنه كان يصرّ على أن يقدم كل طالب تقريراً دورياً عن نشاطه في البحث . وكان يقرأ الرسائل في

مسوّداتها الأولى بدقة شديدة ، ويبدي ملاحظاته القيمة ولا يسمح بطبع الرسالة ومناقشتها إلا بعد اطمئنانه على جودتها ، ثم كان يدافع عن طلابه بحماس الأب في المناقشة العلنية لرسائلهم . وهو فضلاً عن هذا قد شارك في لجان مناقشة العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه ، وكانت آخرها في السعودية قبل وفاته بأيام .

٤ - العطاء الفكري

كان الدكتور أحمد أنور عمر من أوائل المتخصصين الذين أسهموا بالكتابة في مجال المكتبات والمعلومات في عالمنا العربي . وقد امتد النشاط الفكري لهذا الرائد على مدى خمسة وأربعين عامًا ، ابتداءً من عام ١٩٤٦م وحتى عام ١٩٩٠م . حيث قدم في عام ١٩٤٦م كتاباً مترجمًا عن الإنجليزية (انظر رقم ٤٧ في ملحق ١) . وصدرت الطبعة الثالثة من كتابه مصادر المعلومات (انظر رقم ٥٦ ملحق ١) عام ١٩٩٠م . وعلى الرغم من أن نشاطه الفكري قد امتد عبر عدة عقود من القرن العشرين، إلا أن أزهى عقود النشاط هي الستينات والسبعينات حيث قدم فيهما ٣٨ عملاً (من ٥٧) .

وقد نشر الدكتور أحمد أنور عمر معظم أعماله بمصر (٤٠ عملاً) ومع هذا فإن هناك بعض الأعمال التي نشرت خارج مصر منها (عشرة) أعمال في بغداد و (أربعة) أعمال في الرياض و (عمل واحد) في كل من الدوحة ودمشق ووهران بالجزائر . ويشير الإحصاء لمجموع صفحات أعماله إلى أكثر من ثلاثة آلاف وخمس مئة صفحة . وليس من بين أعماله سوى خمسة أعمال مترجمة فقط ، منها ثلاثة كتب (في مجالي الأدب والتعليم) نشرها في فترة مبكرة من حياته (انظر أرقام ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ من ملحق ١) ثم مقالة عن المكتبات المدرسية (انظر رقم ٤٠ من ملحق ١) وكتاب عن تأليف الكتاب المدرسي وإخراجه (انظر رقم ٥٥ من ملحق ١) .

وكانت مجالات الاهتمام الموضوعية متعددة ومتنوعة لدرجة كبيرة عند أستاذنا الدكتور أحمد أنور عمر . وهذه سمة من سمات الرواد الأوائل في تخصص المكتبات والمعلومات ، ومع هذا فقد حظي مجال الإجراءات الفنية والإعداد الببليوجرافي بالاهتمام الأول ، يليه مجال المكتبات العامة ، ثم المكتبات الجامعية ، ومصادر المعلومات .

وتشير قائمة الإنتاج الفكري للأستاذ الدكتور أحمد أنور عمر (ملحق ١) إلى أن هذا الإنتاج الفكري يتوزع ما بين دراسات وتقارير ، ومقالات منشورة في دوريات ، وأوراق مقدمة إلى مؤتمرات وحلقات دراسية ، وكتب مؤلفة ومترجمة ، فضلاً عن أطروحة الدكتوراه لأستاذنا .

ويلاحظ أن النشاط الفكري التخصصي للدكتور أحمد أنور عمر قد بدأ بإسهام واضح في أنشطة جمعية المكتبات التي كانت موجودة في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات ، التي كان اسمها جمعية مكتبات القاهرة ثم تحول إلى جمعية المكتبات المصرية . وقد اشتملت أعمال الجمعية المنشورة عبر عدة سنوات على أربع دراسات له (انظر أرقام ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ في ملحق ١) . ومن الدراسات ما أعد لأغراض دراسية أو تدريبية (انظر أرقام ٥ ، ١٠ ، ٢٣ في ملحق ١) . وجدير بالذكر أن دراسته الموسعة عن المراجع والخدمة المرجعية كانت ذات أهمية كبيرة للطلاب الذين يدرسون مقرر «المراجع الأجنبية» في أوائل الستينات . وتشتمل هذه الدراسة على مقدمات تعريفية بفئات المراجع ، فضلاً عن نصوص مقتبسة بالإنجليزية تصف أبرز المراجع الأجنبية . ومن أبرز دراسات الدكتور أحمد أنور عمر تلك الدراسات التي أعدها ونشرها في بغداد (عشر دراسات) عندما أعير خبيراً بالمكتبة المركزية لجامعة بغداد (١٩٦٦ - ١٩٦٨م) . ومن هذه الدراسات ما يعرف بمصادر معلومات (أرقام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ في ملحق ١) ومنها ما يتناول عمليات وأنشطة تتم في المكتبات (أرقام ١٦ ، ١٧ ، ١٨ في ملحق ١) . ومنها أيضا دراسات تقريرية عن مكتبات جامعية (أرقام ١٩ ، ٢٠ في ملحق ١) . ومن أهم الدراسات التي قدمها في بغداد دراسته الخاصة بإنشاء معهد للدراسات العليا في علوم المكتبات بجامعة بغداد (رقم ١٢ في ملحق ١) ، وأيضًا خطة التصنيف التي وضعها بمساعدة أوديت بدران لتصنيف الخرائط (رقم ١١ بملحق ١) . وهذه الخطة هي الخطة العربية الوحيدة المتاحة حتى الآن لهذا النوع من أنواع المواد .

وقد قدم الدكتور أحمد أنور عمر سبع أوراق في مؤتمرات وحلقات دراسية أبرزها دراسته عن الخدمات المكتبية التي قدمها في الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية ... التي عقدت بدمشق عام ١٩٧١م (انظر رقم ٢٨

في ملحق ١) ، كما كانت دراسته عن الإعداد الببليوجرافي التي قدمها في مؤتمر الإعداد الببليوجرافي للكتاب العربي الذي عقد بالرياض عام ١٩٧٣م رائدة في هذا المجال (انظر رقم ٢٩ في ملحق ١) .

وقد نشر الأستاذ الفاضل العديد من المقالات والدراسات في الدوريات العربية (١٥ مقالة يضاف إليها ثلاث مقالات سبق تقديمها كدراسات أو أوراق مؤتمرات) . ومن أبرز مقالاته تلك التي تتناول الإعداد المهني والنمو المهني للمكتبيين (أرقام ٣٥ ، ٣٦ في ملحق ١) فقد كان – رحمه الله – متحمساً أشد الحماس للإعداد المهني التخصصي للشخص الذي يعمل في مكتبة ما إيماناً بأن ذلك هو الطريق الوحيد والصحيح لكي يؤدي عمله بكفاءة واقتدار . وقد ذكر في بداية مقاله عن النمو المهني لأمناء المكتبات (رقم ٣٦ في ملحق ١) . «أن الإعداد المهني لابد وأن يتم في الأساس عن طريق الدراسة المتخصصة ، فلكي يمارس الإنسان مهنة المكتبات يجب أن يدرس أولاً علم المكتبات» . وكان له فضل كبير في إنشاء أول معهد لدراسة المكتبات بمصر عندما ألقى حديثاً عام ١٩٤٩م في الجمعية المصرية للمكتبات في حضور وزير المعارف في ذلك الوقت نادى فيه بفكرة إنشاء معهد عال لعلم المكتبات وهو ما تحقق بالفعل في عام ١٩٥٠م (انظر رقم ٣٥ في ملحق ١) . ومن مقالاته المهمة ما نشره عن دور المكتبة الجامعية في خدمة البحث العلمي (أرقام ٣٧ ، ٣٩ في ملحق ١) وعن مؤشرات قياس الميول القرائية (رقم ٤٤ في ملحق ١) .

ورغم قلة الكتب التي خلفها لنا الدكتور أحمد أنور عمر ، إلا أن كتبه الأربعة هي علامات بارزة في تاريخ التأليف العربي في مجال المكتبات والمعلومات ، وقد قرأها ودرسها الكثيرون والكثيرون من طلاب المكتبات والمعلومات في عالمنا العربي ، والدليل على ذلك تعدد طبعات هذه الكتب (انظر أرقام ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ في ملحق ١) .

ويعدّ كتابه : «المعنى الاجتماعي للمكتبة» الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٨م (رقم ٥٢ في ملحق ١) من أوائل الكتب الدراسية العربية في مجال المكتبات . وهذا الكتاب الذي يتناول أسس الخدمة المكتبية العامة والمدرسية مكتوب بلغة عربية رصينة ، وندرك من الإهداء الذي يتصدر الكتاب مدى حب المؤلف للمكتبات حيث يقول :

«إلى أبناء شعوبنا العربية في كل مكان .

حيث علمني صغارهم أن أعنى بالمكتبة المدرسية لتثري حياة النشء بالخبرات ، وعلمني كبارهم أن أعنى بالمكتبة العامة لتفتح للجميع طريقاً صاعداً إلى حياة أفضل» .

وهو يرى أن المكتبات رسالة ، ولذلك يبدأ كتابه : المعنى الاجتماعي للمكتبة بجزء أول من رسالة المكتبة العامة ، ويبدأ كتابه : الإجراءات الفنية للمكتبات بتمهيد أوله : «المكتبة رسالة – وهذه الرسالة في أبسط صورها .. هي تدبير المطبوعات والمواد المكتبية الأخرى ثم تيسيرها للقراء والرواد والمنتفعين» .

وقد صدرت الطبعة الأولى من كتابه الثاني وهو : «الإجراءات الفنية للمكتبات» عام ١٩٦١م (انظر رقم ٥٣ في ملحق ١) . ويتناول الكتاب إجراءات العمل في عمليات التزويد والإعداد والصيانة . والكتاب مهدى إلى المكتبيين .. «عرفاناً بجهودهم المباركة في سبيل حماية الفكر والعلم والتراث لصالح جموع نرجو لها أن تفد إلى المكتبات لتسأل فتعلم ، ولتقرأ فتتعلم ، ولتستوعب فتنمو ، ولتفكر فتخلق ، ولتستنتج فتبني» [تمهيد ص٦] .

أما كتاب : «المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ» الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦١م (انظر رقم ٥٤ في ملحق ١) فهو من أهم الكتب العربية في مجال المكتبات بصفة عامة ، ويتناول مؤسسة من أهم مؤسسات المجتمع وهي المكتبة العامة . ويهتم الكتاب في قسمه الأول بمفاهيم الخدمة المكتبية العامة ، ونشر الخدمة على نطاق قومي ، ونقط الخدمة المكتبية ، والخدمة المكتبية المتنقلة . أما القسم الثاني فيهتم بطرق تقييم المكتبة العامة ، والدعوة المكتبية من حيث فلسفتها وإدارتها ووسائلها وتطبيقاتها . وجدير بالذكر أن موضوع الدعوة المكتبية من الموضوعات المهمة التي تفتقر إليها مكتبتنا .

وكتابه الأخير هو : «مصادر المعلومات في المكتبات» وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٧٧م والطبعة الثالثة عام ١٩٩٠م (انظر رقم ٥٦ في ملحق ١) . ومصادر المعلومات التي يعنيها المؤلف في هذا الكتاب هي «سجلات المعرفة التي نستهدف نشرها أو نقلها أو تداولها» ... وليس همه هو « [معالجتها] بوصفها شتاتاً لمفردات بل بوصفها تجمعات تنتظم في نسق مدروس داخل مقر

يحتويها بهدف تيسيرها للانتفاع» [مقدمة :ص٧] .

أما أطروحة أستاذنا للدكتوراه (انظر رقم ٥٧ في ملحق ١) من واقع المكتبات العامة ومستقبلها في مصر فقد كانت فاتحة الدراسات الأكاديمية الميدانية في مجال المكتبات . والاستبيان الذي وضعه صاحب الأطروحة لجمع البيانات اللازمة للدراسة أداة من أهم الأدوات التي اعتمد عليها الكثير من الباحثين فيما بعد .

٥ - كلمات ختامية

كان الأستاذ الدكتور أحمد أنور عمر – رحمه الله – مثال التفاني والإخلاص في العمل ، ومثال الدقة والعطاء الصادق . وكان – رحمه الله – جياش المشاعر ، صادق الانفعالات ، يجيد العربية والإنجليزية ، ويكتب الشعر وإن لم ينشره . وكان زميلاً فاضلاً لأقرانه وأبنائه يحترم الجميع ويعاملهم بحب ومودة . زرته في منزله عدة مرات ، فقد تعودت أن أجلس إلى أستاذي في منزله مرة كل صيف على الأقل ، وكانت آخر مرة زرته فيها في شهر أغسطس ١٩٩٢م ، كان في صحة طيبة يتجاذب أطراف الحديث هنا وهناك ، ولم أكن أدري وقتها ونحن نتعانق في نهاية اللقاء أن هذا هو آخر لقاء بيننا .

المصادر

تم الاعتماد على عدد من المصادر أبرزها :

(١) التاريخ العلمي للأستاذ دكتور أحمد أنور عبدالرحمن عمر أستاذ علوم المكتبات (المتفرغ) بكلية الآداب ، جامعة القاهرة / أحمد أنور عمر – ١٩٩٢م . – ٥ ورقات [بخط اليد] .

(٢) بيان مؤهلات وخبرات ومؤلفات دكتور أحمد أنور عمر أستاذ علوم المكتبات بجامعة القاهرة / أحمد أنور عمر . – [١٩٧٢م] . – ١٦ ورقة [بالآلة الكاتبة] .

(٣) الآثار العلمية لأعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة . – القاهرة : جامعة القاهرة ، ١٩٨٩م . – المجلد الأول ، ص٣٢٥ – ٣٢٧ .

(٤) الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات / إعداد محمد فتحي عبدالهادي . – ط٢ . – الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٩٨١م .

(٥) الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات في عشر سنوات : ١٩٧٦ – ١٩٨٥ / إعداد محمد فتحي عبدالهادي . – الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٩٨٩م .

(٦) الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات : ١٩٨٦ – ١٩٩٠م / إعداد محمد فتحي عبدالهادي . – الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية . [تحت الطبع] .

ملحق (١)

قائمة ببليوجرافية بالإنتاج الفكري للأستاذ الدكتور أحمد أنور عمر

أولاً : دراسات وتقارير

(١) Cataloging and classificatcn . - p 23 - 37 in Institute for Librarians . - Cairo : United States Offices of Information and Educatianal Exchange , 1949 .

(٢) Co-operative potentialities among Cairo librarians .- p46 - 52 in Cairo library Associatian . Proceedings for the a cademic year 1949 - so . - Cairo : The Association , 1950 .

(٣) مقترحات بشأن إنشاء المكتبة الجديدة للجامعة الأزهرية . – القاهرة : مطبعة الأزهر ، ١٩٥١ . – ٢٣ص .

(٤) خطط مقترحة لتنظيم خدمة المراجع بمكتبات الجامعات . – ص ٤١ – ٥٦ في جمعية مكتبات القاهرة . نشاط الجمعية الثقافي في سنة ٥١ – ١٩٥٢ . – القاهرة : الجمعية ، ١٩٥٣م .

(٥) علم الفهرسة . – القاهرة ، ١٩٥٤/٥٣ . – مجلد واحد (متعدد الترقيم) .

(٦) المركزية واللامركزية في عمليات شراء وإعداد الكتب في المجموعات المكتبية . – ص ٣٠ – ٤٥ .

في جمعية المكتبات المصرية . نشاط الجمعية الثقافي عن سنة ٥٢ – ١٩٥٣ . – القاهرة : الجمعية ، ١٩٥٤م .

(٧) خواطر عن المؤتمر الدولي لليونسكو في عبادان بنيجيريا في شهري يوليو وأغسطس ١٩٥٣ . – ص ٣٦ – ٤٨ .

في جمعية المكتبات المصرية . نشاط الجمعية الثقافي في سنة ٥٣ – ١٩٥٤ . – القاهرة : الجمعية ، ١٩٥٥م .

(٨) أنظمة استعارة الكتب في المكتبات . – القاهرة ، ١٩٥٧ . – ١٦ص .

(٩) أنظمة حجز الكتب في المكتبات . – القاهرة ، ١٩٥٧م . – ٩ص .

(١٠) المراجع الأجنبية وخدمة المراجع . – القاهرة : الجمعية المصرية للوثائق والمكتبات ، ١٩٦١ . – مجلدان .

(١١) جداول لتصنيف الخرائط بالمكتبة المركزية – جامعة بغداد / أحمد أنور عمر ، أوديت بدران . – بغداد : المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، ١٩٦٧ . – مجلد واحد (متعدد الترقيم) .

(١٢) مشروع إنشاء معهد الدراسات العليا في علوم المكتبات بجامعة بغداد . – بغداد : المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، ١٩٦٧ . – ٦٠ص .

(١٣) المراجع : أنواعها وخصائصها : مقدمة في المراجع وأدوات الإعلام . - بغداد : المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، ١٩٦٧ . - ٢٥ص . - (التعريف بعلوم المكتبات؛ ١) .

(١٤) مجموعات النشرات والقصاصات بالمكتبات . - بغداد : المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، ١٩٦٧ . - ٢٥ص . - (التعريف بعلوم المكتبات ؛ ٢) .

(١٥) الببليوجرافيا : تعريفها وأنواعها واستعمالاتها . - بغداد : المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، ١٩٦٧ . - ١٧ص . - (التعريف بعلوم المكتبات ؛ ٣) .

(١٦) رؤوس الموضوعات في الفهارس الهجائية . - بغداد : المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، ١٩٦٨ . - ٢٨ص . - (التعريف بعلوم المكتبات ؛ ٤) نشرت في : صحيفة المكتبة . - مج ٢ ، ع١ (يناير ١٩٧٠م) . - ص٥ - ٤٠ .

(١٧) قسم الإعارة بالمكتبة : عمليات التسجيل والإعارة والحجز والإحصاء . - بغداد : المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، ١٩٦٨م . - ٢٤ص .

(١٨) عمليات تبادل المطبوعات : تنظيمها وإجراءاتها . - بغداد : المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، ١٩٦٨م . - ١٤ص .

(١٩) دراسة عن بعض مكتبات الكليات ومعاهد الدراسات العليا التي تمت زيارة الخبير لها في المدة من ١٩٦٨/٣/٣٠ - ١٩٦٨/٥/٨ . - بغداد : المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، ١٩٦٨ . - ٧٩ص .

(٢٠) تقرير عن المكتبة المركزية لجامعة البصرة . - بغداد : المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، ١٩٦٨م . - ١٢ص .

(٢١) المكتبات الفرعية لدار الكتب القومية بالقاهرة : نظرات في أدائها اليومي ، من نتائج دراسة ميدانية أجراها في الفترة من أغسطس - أكتوبر ١٩٦٩م . - القاهرة ، ١٩٧٠م . - ٦٠ ، ٢ ، ٦ص .

(٢٢) تقرير عن حلقة الخدمات المكتبية والببليوجرافيا والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية المنعقدة في دمشق من ٢ - ١١ أكتوبر ١٩٧١م . - القاهرة ، ١٩٧١م . - ١٣ص .

(٢٣) تنظيم المعلومات في المكتبات ومراكز التوثيق . - ص٣٠ - ٥٨ .

في مركز التنظيم والميكروفيلم بالأهرام . ملحق محاضرات الدورة التعريفية لوزارة الحربية من ٣ - ٥ سبتمبر ١٩٧٢م . - القاهرة : المركز ، ١٩٧٢م .

(٢٤) Report on Unesco mission in Qatar for libraries and documentation . - Cairo , 1972 . - 25p .

ثانيـاً : أوراق فى مـؤتمرات وحلقـات دراسية

(٢٥) المكتبات العامة : مفهومها وخدماتها وتنظيمها . - ١٢ص .

في مؤتمر المكتبات العامة . - القاهرة : محافظة القاهرة، فبراير ١٩٦٢م .

نشر ملخصًا في : عالم الكتب . - س٤ ، ع٢ (مارس - أبريل ١٩٦٢) . - ص ٦ - ٧ ، ١٤ .

(٢٦) مواد التوثيق وأنواعها . - ص١٤ - ٢٦ .

في حلقة التوثيق التربوي في البلاد العربية . - القاهرة : جامعة الدول العربية ، الإدارة الثقافية ، ١٩٧٠م .

(٢٧) التوثيق في خدمة أهداف التنمية . - ص ١٥ - ٢٤ .

في ندوة التوثيق التربوي وأثره في التنمية . - القاهرة : مركز التوثيق التربوي ، ١٩٧٠م .

(٢٨) الخدمات المكتبية : مفاهيمها وفوارقها النوعية ومتطلباتها . - ص٦٩ - ٩٨ .

في الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة «الببليوغرافيا» والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية ، دمشق ٢ - ١١ أكتوبر ١٩٧١م ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . - دمشق: جامعة دمشق ، ١٩٧٢م .

(٢٩) الإعداد الببليوجرافي : أساسياته ونظمه وأجهزته وحصيلته . - ص٣٠٥ - ٣٣٥ .

في مؤتمر الإعداد الببليوجرافي للكتاب العربي ، الرياض ٢٤ نوفمبر - ١ ديسمبر ١٩٧٣م ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . - الرياض ، ١٩٧٤م .

(٣٠) تقرير عن الخدمات المكتبية في دولة قطر . - ٢٠ص .

في المؤتمر الإقليمي للتخطيط الوطني لخدمات التوثيق والمكتبات في البلاد العربية . - القاهرة ، فبراير ١٩٧٤م .

(٣١) النشر الذي يمكن أن تتولاه الجامعات العربية ودوره في تبادل المطبوعات وتبادل الإعلام الببليوجرافي .

في الملتقى العربي الأول حول التبادل والتعاون بين مكتبات الجامعات العربية . - وهران : جامعة وهران ، ١٩٨٢م .

نشر في عالم الكتب . - مج٥ ، ع٣ (سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٤م) . - ص٤٧٤ - ٤٨٢ .

ثالثاً : مقالات فى دوريات

(٣٢) النهوض بالمكتبات العامة في آسيا : مؤتمر اليونسكو بمدينة دلهي . - مجلة التربية الأساسية . - مج٤ ، ع٢ (١٩٥٧م) . - ص٨٥ - ٩٢ .

(٣٣) مكتبة دلهي العامة : دراسة إحصائية ، لفرانك م . جاردنر . - مجلة التربية الأساسية . - مج٤ ، ع٤ (١٩٥٧م) . - ص٥٨ - ٦٦ .

(٣٤) تخطيط التوسع المكتبي في الإقليم الجنوبي . - عالم المكتبات . - س٣ ، ع١ (يناير - فبراير ١٩٦١م) . - ص١٨ - ٢٤ .

(٣٥) الإعداد المهني لأمناء المكتبات في الجمهورية العربية المتحدة : عرض ونقد وتوجيه . - عالم المكتبات . - س٦ ، ع٢ (مارس - أبريل ١٩٦٤) . - ص ٣١ - ٤١ .

(٣٦) النمو المهني لأمناء المكتبات : واجب الأفراد وواجب الهيئات . - عالم المكتبات . - س٧ ، ع٢ (مارس - أبريل ١٩٦٥م) . - ص٦ - ٩ .

(٣٧) المكتبة والبحث : ٠١ طبيعة البحث العلمي وانعكاساتها على مكتبات الجامعات . - مجلة المكتبة العربية . - مج٢ ، ع٣ ، ٤ (١٩٦٥م) . - ص٥ - ١٦ .

(٣٨) الميكروفيلم : استعمالاته وفهرسته . - مجلة الكتاب العربي . - ع٥٠ (يوليو ١٩٧٠م) . - ص٦ - ١٤ .

(٣٩) المكتبة والبحث : ٠٢ احتياجات البحث تفرض تطوير الأداء في مكتبات الجامعات . - صحيفة المكتبة . - مج٢ ، ع٣ (أكتوبر ١٩٧٠م) . - ص٢٠ - ٣٦ .

(٤٠) المكتبات المدرسية في سيلان / ايفلين ج . ايفانز ؛ ترجمة أحمد أنور عمر . - مجلة اليونسكو للمكتبات . - س١ ، ع١ (نوفمبر ١٩٧٠م) . - ص١٦ - ٢٦ .

(٤١) فهرسة المواد من غير الكتب . - صحيفة المكتبة . - مج٣ ، ع٣ (أكتوبر ١٩٧١م) . - ص١٧ - ٢٢ .

(٤٢) مجموعات النشرات وطرق معالجتها بالمكتبات . - صحيفة المكتبة . - مج٤ ، ع١ (يناير ١٩٧٢م) . - ص٤٤ - ٥٦ .

(٤٣) في إطار السنة الدولية للكتاب : المكتبات المدرسية جزء أساسي في العملية التربوية . - التربية (قطر) . - ع٨ (أبريل ١٩٧٢م) . - ص١٣ - ١٥ .

(٤٤) مؤشرات لقياس الميول القرائية في الدول العربية . - مكتبة الإدارة . - س ٤ ، ع١ (أبريل ١٩٧٥م) . - ص١ - ١٦ .

(٤٥) خطط مقترحة لتنظيم خدمة المراجع بمكتبات الجامعات . - مجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) . - ع٩ (١٩٧٩م) . - ص٥٥٩ - ٥٧٥ .

(٤٦) طبيعة البحث العلمي وانعكاساتها على مكتبات الجامعة . - مجلة كلية اللغة العربية (جامعة الإمام محمد بن سعود) . - ع١٠ (١٩٨٠م) . - ص٤٦١ - ٤٧٢ .

رابعاً : الكتب المؤلفة والمترجمة

(٤٧) ما الإنسان / تأليف مارك توين ؛ تعريب أحمد أنور عمر . - القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦م . - ١٢٦ص .

(٤٨) كيت كارسون / تأليف أوجستا ستيفنسن ؛ تعريب أحمد أنور عمر . - القاهرة : مطبعة دار المعارف ، ١٩٥٢م . - ١٦٩ص .

(٤٩) التعليم العالي في الولايات المتحدة : نظرة إجمالية / تأليف فرانسيس روجرس ؛ ترجمة أحمد أنور عمر . - القاهرة : شركة الإعلانات الشرقية ، ١٩٥٤م . - ١٦٤ص .

(٥٠) التصنيف التحليلي لمحفوظات الدولة . - القاهرة المطبعة الأميرية ، ١٩٥٦م . - ١٦٤ص .

(٥١) كشاف أبجدي للتصنيف التحليلي لمحفوظات الدولة . - القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٩٥٦م . - ٢٣٣ص .

(٥٢) المعنى الاجتماعي للمكتبة : دراسة لأسس الخدمة المكتبية العامة والمدرسية . - القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨م . - ٢٠٩ص .

صدرت الطبعة الثانية عام ١٩٦١م ، والطبعة الثالثة عام ١٩٦٤م ، والطبعة الرابعة عام ١٩٧٤م ، وهي كلها للناشر نفسه ، أما الطبعة الخامسة فقد صدرت بالعنوان نفسه عن دار المريخ للنشر بالرياض عام ١٩٨٣م في ٢٤٢ صفحة .

(٥٣) الإجراءات الفنية للمكتبات ، ج١ : عمليات التزويد والإعداد . - القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦١م . - أ - ك ، ٢٦٢ص .

صدرت الطبعة الثانية بالبيانات التالية : الإجراءات الفنية للمكتبات : عمليات التزويد والإعداد والصيانة . - ط٢ ، مراجعة ومزيدة . - القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٤م . - أ - ع ، ٣٠٣ص ، وقد صدرت الطبعة الثالثة عام ١٩٧٦م ، والطبعة الرابعة عام ١٩٧٩م ، والطبعة الخامسة عام ١٩٨٣م ، وهي كلها للناشر نفسه .

(٥٤) المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ . - القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦١م . - ٤٣٢ص .

صدرت الطبعة الثانية عام ١٩٧٠م ، والطبعة الثالثة عام ١٩٧٨م ، والطبعة الرابعة عام ١٩٨٣م ، وهي كلها للناشر نفسه .

(٥٥) إعداد أصول الكتاب المدرسي : دليل للمؤلفين في الدول النامية / أعده لليونسكو أ . ج . لفريدج ... [وآخ] ؛ ترجمة أحمد أنور عمر ؛ مراجعة محمد خيري حربي . - القاهرة : مركز التوثيق التربوي ، [١٩٧١م] . - ٨٠ص .

- الكتاب المدرسي : تأليفه وإخراجه الطباعي / ترجمة أحمد أنور عمر . - الرياض : دار المريخ للنشر ، [١٩٨٠م] . - ٩٩ص .

(٥٦) مصادر المعلومات . - القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إدارة التوثيق والمعلومات ، ١٩٧٧م . - ١٨٤ص . - (سلسلة دراسات من المعلومات ؛ ٥) .

صدرت الطبعة الثانية بالبيانات التالية : مصادر المعلومات في المكتبات ومراكز التوثيق . - ط٢ ، مراجعة ومزيدة . - الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٩٨٠م . - ٢٤٣ص ، وصدرت الطبعة الثالثة بالبيانات التالية : مصادر المعلومات في المكتبات . - ط٣ . - القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٠م . - ١٩٨ص .

خامساً : أطروحة الدكتوراه

(٥٧) الخدمة المكتبية العامة في الإقليم الجنوبي . - القاهرة ، ١٩٦٠م . - مجلد واحد (متعدد الترقيم)

أطروحة (دكتوراه) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

ملحق (٢)

الأطروحات التي أشرف عليها الأستاذ الدكتور أحمد أنور عمر

(١) الأسس العلمية والعملية لتخطيط التنظيم الببليوجرافي في الحقل الاقتصادي بالجمهورية العربية المتحدة / محمد عبده السيد صيام . - القاهرة ، ١٩٦٦م . - ٢٥١ ورقة .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم

المكتبات والوثائق .

(٢) أدوات اختيار الكتب في المكتبات : دراسة نقدية مقارنة والتخطيط لأدوات اختيار عربية / شعبان عبدالعزيز خليفة . - القاهرة ، ١٩٦٦م . - ٢٦٨ ورقة .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(٣) دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافي لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف / عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور . - القاهرة ، ١٩٦٧م . - أ - و ، ٣٠٠ص .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(٤) التوثيق العلمي ودوره في خدمة البحث في الجمهورية العربية المتحدة / حشمت قاسم . - القاهرة ، ١٩٧١م . - أ - ك ، ٥٠٧ ، ٣٤ ورقة .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(٥) الفهارس والببليوجرافيات بمكتبات الجامعات الثلاث بالقاهرة من الناحيتين الوصفية والموضوعية : دراسة ميدانية مقارنة/ محمد فتحي عبدالهادي . - القاهرة ، ١٩٧١م . - أ - س، ٥٨٩ ورقة .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة : كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(٦) تقييم الخدمات المكتبية العامة في محافظة القاهرة : دراسة ميدانية / محمد أبو الفتح نصار . - القاهرة ، ١٩٧٢م . - مجلدان .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(٧) التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي / عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور . - القاهرة ، ١٩٧٢م . - أ - ز ، ٤٩٦ ورقة .

أطروحة (دكتوراه) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(٨) حركة نشر الكتب في مصر : واقعها ومستقبلها / شعبان عبدالعزيز خليفة . - القاهرة ، ١٩٧٢م . - مجلد واحد (متعدد الترقيم) .

أطروحة (دكتوراه) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(٩) تطبيق نظام المصطلح الواحد التوثيقي على علوم المكتبات وإنشاء قائمة معربة بمصطلحات هذه العلوم / شوقي محمود علي سالم . - القاهرة ، ١٩٧٣م . - ١٠ ، ٢٣٠ ، ١٨٦ ورقة .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(١٠) تخطيط التعاون بين المكتبات الطبية في القاهرة الكبرى في مجالات التزويد والإعداد الببليوجرافي والخدمة / محمد المصري عثمان . - القاهرة ، ١٩٧٤م . - مجلدان .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(١١) إنشاء قائمة رؤوس موضوعات عربية في العلوم الاجتماعية مع مسح ميداني لتقنينها على أسس نظرية وتجريبية / محمد فتحي عبدالهادي . - القاهرة ، ١٩٧٥م . - مجلدان .

أطروحة (دكتوراه) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(١٢) الخدمة المكتبية العامة للأطفال بالقاهرة / سهير أحمد محفوظ . - القاهرة ، ١٩٧٦م . - ٣٢١ ، ٣٠ ورقة .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(١٣) المكتبة في المدرسة المصرية : دراسة تطبيقية على مكتبات محافظتي القاهرة والمنوفية / حسني عبدالرحمن الشيمي . - القاهرة ، ١٩٧٦م .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(١٤) الإعداد المهني لأمناء المكتبات العامة في الجمهورية العربية المتحدة / إعداد محمد مجاهد يوسف . - القاهرة ، ١٩٧٧/١٩٧٨. - مجلدان .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(١٥) دراسة ميدانية على قراءات الكبار بالمكتبات العامة بالقاهرة / كمال محمد عرفات نبهان . - القاهرة ، ١٩٧٩م . - أ - ل ، ٤١٠ ، ٢٤ ورقة .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(١٦) فهارس دار الكتب من الناحيتين الوصفية والموضوعية / سيدة ماجد محمد ربيع . - القاهرة ، ١٩٧٩م . - ١٥ ، ٥٩٥ ، ٥ ورقات .

أطروحة (ماجستير) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .

(١٧) الخدمات المكتبية للمعوقين مع التركيز على واقعها والتخطيط لتطويرها في المملكة العربية السعودية / هند بنت علي لبان . - الرياض ، ١٩٨٨م . - ٢٥٢ص .

أطروحة (ماجستير) - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . كلية العلوم الاجتماعية . قسم المكتبات والمعلومات .

(١٨) النشر الأكاديمي بالجامعات المصرية / حسناء محجوب . - القاهرة ، ١٩٩٢م .

أطروحة (دكتوراه) - جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم المكتبات والوثائق .



التقنية المعلوماتية المستخدمة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية
دراسة للمشكلات والحلول (*)

سالم محمد السالم

استاذ مساعد بقسم المكتبات والمعلومات

كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

ملخص البحث

لقد أقبلت المكتبات ومراكز المعلومات السعودية على استيراد التقنية المعلوماتية الحديثة وتطبيقها في أعمالها ، وذلك لما لمسته من توفير للوقت والجهد والمال من خلال استعانتها بالآلة . وبرغم أن الاتجاه نحو النظم الآلية قد حل الكثير من المشكلات التي كانت تعاني منها المكتبات ومراكز المعلومات ، إلا أن التقنية أيضًا قد جلبت مشكلات وصعوبات أخرى لبيئة المكتبات والمعلومات وبقيت عاجزة عن تلبية جميع الاحتياجات المكتبية والمعلوماتية .

وتتعرض هذه الدراسة لتحليل أهم المشكلات المرتبطة بالاستخدامات التقنية الحديثة في المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة ، وتقديم بعض التوصيات والمقترحات التي تساعد على التخفيف من حدة تلك المشكلات . وسيتم التركيز على بعض الجوانب التي تعد - في نظر الباحث - معوقات جوهرية أمام الاستخدام الأمثل للتقنية المعلوماتية كتلك المتعلقة باللغة العربية ، وضعف التعاون والتنسيق على المستوى المحلي ، والعجز في القوى البشرية ، والفجوة التقنية الناشئة نتيجة العجز عن التصنيع المحلي للتقنية . ومن ثم سيطرح الباحث بعض الخيارات والبدائل التي تحدد الموقف من نقل التقنية المعلوماتية ، ودور المكتبيين وأخصائيي المعلومات في مواجهة التحدي التقني ، وما إذا كان خيار الاستيراد أفضل من خيار التصنيع أو العكس .

مقدمة

إدراكًا من الدول النامية والمملكة العربية السعودية - على وجه الخصوص - للدور الذي تلعبه التقنية في عملية التنمية الشاملة فقد اتجهت إلى نقل التقنية من العالم الصناعي المتقدم ، واستوردت أحدث المنتجات التقنية في كافة مجالات الحياة الزراعية والصناعية والتعليمية والترفيهية والمكتبية والمعلوماتية . ولقد كان من الطبيعي في ظل الظروف التي تعيشها المملكة مثل ندرة الأيدي العاملة المدربة والمؤهلة وعدم كفاءة القاعدة التقنية والحاجة إلى تحقيق معدلات تنموية عالية خلال مدة قصيرة أن تعتمد على التقنية المستوردة خلال خططها التنموية الأولى للتعجيل بمسيرة التنمية (1) .

وتقنية المعلومات ، كنمط من أنماط التقنية المعاصرة ، بدأت تغزو المكتبات ومراكز المعلومات بشكل ملحوظ ومتزايد . فالمكتبة أو مركز المعلومات كأية مؤسسة أخرى لديها العديد من الأعمال الروتينية والفنية والكتابية التي تحتاج إلى إنجازها بأقل جهد وأقصر وقت ممكن . ويمكن

* بحث قُدّم للمؤتمر الوطني الثالث عشر للحاسب الآلي الذي استضافته مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية وجمعية الحاسبات السعودية في مدينة الرياض للفترة ما بين ٤ - ٧ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ الموافق ٢٨ نوفمبر إلى ١ ديسمبر ١٩٩٢م .

تعريف مصطلح «التقنية المعلوماتية» Information Technology بأنه تطبيقات المعرفة العلمية والتقنية في معالجة المعلومات من حيث الإنتاج والصيانة والتخزين والاسترجاع بالطرق الآلية (٢) . ولذا تستخدم الآلة حالياً لإنجاز أعمال تتعلق بعمليات التزويد ، والفهرسة والتصنيف والإعارة والجرد والمراجع وطبع البطاقات وضبط الدوريات وإعداد الكشافات والبيليوجرافيات وإنجاز الأعمال الإدارية والمالية الأخرى ، وإعداد الخطابات والتقارير والنشرات والإحصاءات ونحو ذلك من الأعمال التي تؤديها المكتبة أو مركز المعلومات .

هذا ؛ وعلى الرغم من أن أغلب المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة قد تمكنت من اقتناء الأجهزة والنظم المتطورة في مجال تقنية الحاسوب والاتصالات ، فإن معظمها لايزال عاجزاً عن تحقيق الاستفادة الكاملة من إمكانات تلك الأجهزة والنظم وتوظيفها كأداة فعالة في معالجة المعلومات وتخزينها واسترجاعها . وتجمع الدراسات والبحوث التي تمت في المجال على أن المكتبات ومراكز المعلومات السعودية تواجه مجموعة من الصعوبات والعقبات التي تعرقل عملية النقل الفعال للتقنية المتطورة واستخدامها في تلبية احتياجات المستفيدين وإرضاء متطلباتهم .

ونظرة فاحصة إلى واقع التقنية المطبقة حالياً في معالجة العمليات المكتبية والمعلوماتية توحي بأن هناك «مشكلة» تستدعي التوقف عندها وسبر أغوارها وتحليل عواملها . ذلك أن ما نملكه اليوم من آلات ومعدات ليست من صنعنا وتفكيرنا ؛ بل هي تقنية مصنعة بأيادٍ وعقول غربية ولا تمت إلى البيئة المحلية بصلة ، كما أن الملاحظة المستمرة لما يجري في عالم المكتبات ومراكز المعلومات السعودية مع التقنية المستوردة تثبت أن هذه التقنية لا تتمشى غالبًا مع الأهداف التي تنشدها الدولة من نقل التقنية ، مثل الدقة في الاختيار والتركيز على الأجهزة والنظم الملائمة وتعويد الأفراد (العاملين والمستفيدين) على قبولها واستيعابها والإفادة منها وتطويرها وتطويعها لتلائم الاحتياجات المحلية . ومن هذا المنطلق نشأت فكرة هذه الدراسة ، التي ترمي إلى عرض وتحليل المشكلات التي تعانيها المكتبات ومراكز المعلومات السعودية مع التقنية المستوردة ، وإبداء بعض الحلول والمقترحات التي قد تساعد على التخفيف من حدة المشكلات ، وعلى جني أفضل الثمرات من تقنية المعلومات المنقولة .

هدف الدراسة وأهميتها

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة تحديد أهم الصعوبات التي تقف عائقًا أمام تقنية المعلومات المطبقة حاليًا في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية ، ومحاولة تقديم بعض المقترحات التي يمكن لمتخذ القرار الاستئناس بها عند التخطيط لاستيراد التقنية . كما تهدف الدراسة أيضًا إلى طرح أبعاد الحلول حول قضية استيراد التقنية المعلوماتية وبيان وجهات النظر حول هذه القضية . وتسعى الدراسة لتحقيق هذه الأهداف من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية :

١ - ما هي أهم الصعوبات التي تقف عائقًا أمام الاستخدام الأمثل للأجهزة والبرامج المطبقة في المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة ؟

٢ - كيف يمكن التغلب على تلك الصعوبات والإفادة من التقنية بشكل أفضل ؟

٣ - ما الخيارات والبدائل المطروحة حول قضية نقل التقنية المعلوماتية ؟

وتنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية المشكلة المدروسة نفسها . فمعروف أن آلية المكتبات والمعلومات قد أحدثت تغيرات وتطورات سريعة في الوظائف المكتبية والمعلوماتية، وأخذ المكتبيون وأخصائيو المعلومات يتنافسون على امتلاك أحدث أنماط التقنية المصنعة في البلاد الغربية . وهذا يستدعي وقفة متأنية مع هذا الحدث الجديد ، وتحديد الموقف تجاهه . فإما أن يتم تطويع التقنية الأجنبية للاحتياجات المحلية ، أو أن يتم تصنيع للتقنية المحلية التي تنافس الأجنبية .

كما تنبع أهمية هذه الدراسة أيضًا من تأكيدها على قيام عملية استخدام التقنية المعلوماتية في المكتبات ومراكز المعلومات على أسس وقواعد علمية واضحة لامكان فيها للاجتهادات الشخصية والتحيزات الفردية ، بحيث تكون هناك خطة واضحة لدى كل جهة توضح الأجهزة والبرامج التي ترى أنها توائم احتياجاتها وسبل نقلها وصيانتها وتدريب المستفيدين عليها . ولذا ستتم فيما بعد مناقشة المشكلات المرتبطة بتطبيقات الحاسوب في بعض المكتبات ومراكز المعلومات السعودية لكي يطلع المسئولون - أليست

كذلك ؟ - على تلك المشكلات ويستفيدوا من تجارب الآخرين ويتعلموا من نجاحهم وفشلهم .

منهج وأسلوب الدراسة

ولتحقيق هدف الدراسة قام الباحث باتباع أسلوب البحث المكتبي ومراجعة وتحليل الإنتاج الفكري الذي تم في المجال محاولاً استخلاص النتائج وتقديم التوصيات التي تحقق أهداف هذه الدراسة . ويدمج الباحث أسلوب البحث المكتبي مع خبرته الفعلية في التدريس والتدريب على المستوى الأكاديمي ، ومشاهداته وملاحظاته خلال التعامل مع الحواسيب القابعة في بعض المكتبات ومراكز المعلومات التي يكثر تردد الباحث عليها ، وخاصة في منطقة الرياض ، هذا بالإضافة إلى معايشة الكاتب للواقع نفسه وقيامه ببعض الزيارات الميدانية للجهات ذات الصلة بالموضوع .

حدود الدراسة

تتناول الدراسة الحالية المشكلات التي تعاني منها المكتبات ومراكز المعلومات السعودية فيما يتعلق بالتطبيقات التقنية . هذا وبرغم أن مفهوم «التقنية المعلوماتية» يمكن أن يتسع ليشمل جميع الأجهزة والبرامج المستخدمة لمعالجة العمليات والخدمات المكتبية والمعلوماتية، وذلك مثل الحواسيب والأجهزة السمعبصرية والمصغرات الميكروفلمية وآلات التصوير والاستنساخ والناسوخ والتلكس والهاتف ونحوها ، فسينصب النقاش والتحليل في هذه الدراسة على الصعوبات التي تواجه التطبيقات الحاسوبية بصفة خاصة . وربما كان لهذا الحصر ما يبرره ، فالحاسوب يعد الركيزة الأساسية لتقنية المعلومات المستخدمة في المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة ؛ بل وحتى خارج المملكة . والحاسوب أيضًا يعد من أهم المستجدات التقنية التي انتشرت بعد النصف الثاني من القرن العشرين ، وأخذ تأثيره يدخل في مختلف مجالات الحياة وميادينها بما في ذلك بالطبع مؤسسات المعلومات .

ولن يتعرض الباحث في هذه الدراسة المقتضبة لجميع المشكلات التي تواجه التطبيقات الحاسوبية ، وإنما سيقتصر على الصعوبات الجوهرية ، التي تمثل بالفعل عقبات أساسية أمام الاستخدام الأمثل لآلية المكتبات والمعلومات . وسيتم التركيز بصفة أساسية على المشكلات الببليوجرافية والتقنية واللغوية ، والتي لو تم التغلب عليها لأمكننا معالجة المجموعات العربية والوصول إلى حلول آلية لخدمات المعلومات العربية . كما أن الباحث لن يتعرض للحديث عن أهمية استخدام الحاسوب والوظائف والتسهيلات التي يمكن أن يقدمها للمكتبات ومراكز المعلومات ، وذلك على افتراض أن القارئ على إلمام بهذا الجانب وأيضًا لكونه خارج عن نطاق هذه الدراسة .

التطبيقات الآلية المكتبية والمعلوماتية في إطار تاريخي وفكري

تعود فكرة نقل التقنية إلى دول العالم النامي إلى مطلع الستينات عندما طالبت الدول الفقيرة بالحصول على التقنية التي تستحوذ عليها الدول المتقدمة . ويذكر الغامدي (٣) أن مشوار المكتبات مع الحاسوب يعود إلى المدة التي وضعت فيها الحرب العالمية الثانية أوزارها ، حيث بدأ العالم الغربي يتوغل في الصناعة والابتكار والتطور . وحينما بدأت ظاهرة انفجار المعلومات في الظهور ، أحست المكتبات بالعجز عن السيطرة على هذا الانفجار وبدأت بدراسة البدائل والحلول التي تساعدها على معالجة الكم الهائل من الإنتاج الفكري الذي يتزايد يومًا بعد آخر . وكان الحاسوب هو الحل المناسب ، فتسابقت المكتبات إلى الاستفادة منه وتسخيره لأداء الإجراءات المكتبية والروتينية والفنية كالاختيار والتسجيل والفهرسة والتصنيف والإعارة وإعداد القوائم المرجعية والاتصال المباشر ، ونحو ذلك من الأعمال . وللحصول على معلومات مفصلة حول التطبيقات الحاسوبية في المكتبات يمكن الاستعانة بدراسة عاشور (٤) في هذا الصدد .

ولقد كان لظهور أشرطة الفهرسة المقروءة آليا (MARC) من قبل مكتبة الكونجرس الأمريكية دور مشهود في بناء قواعد المعلومات الببليوجرافية . ويمكن عدّ أول تجربة للمكتبات مع الحاسوب في بداية الخمسينات حينما كان التركيز على أجهزة الحاسب الآلي الكبيرة Main Frame ، والتي تلتها في الستينات أجهزة صغيرة الحجم Mini - Computers . وأخذ التطور في الأجهزة والمعدات والنظم يشق طريقه في الثمانينات وإلى

الوقت الحاضر بحيث ظهرت في السوق الآن أشكال حاسوبية في غاية الإبداع (٥) .

وقد اتجهت المكتبات السعودية ، وخاصة الجامعية إلى التحسيب في أعمالها وإجراءاتها منذ أواخر السبعينات ، وإن كان تشغيل الأنظمة لم يبدأ فعلياً إلا في أوائل الثمانينات وأواسطها (٦) . وبفضل الحاسوب زاد حجم الخدمات المكتبية وتعددت أنماط الخدمات المعلوماتية برغم أن هناك مشواراً طويلاً للرضا عن الاستخدام التقني ، وذلك لما يكتنف عملية نقل التقنية المعلوماتية من سلبيات وما يعتورها من عقبات تمثل محور الدراسة للصفحات التالية .

عرض وتحليل لأهم المشكلات المرتبطة بتطبيق التقنية المعلوماتية

على الرغم مما أحدثته التقنية الحديثة من تطورات إيجابية في خدمات المكتبات والمعلومات وما أحدثته من تأثيرات على العاملين والمستفيدين ومن حل للكثير من المشكلات التي تعاني منها المكتبات ومراكز المعلومات ، فإن التقنية نفسها تجر معها مشكلات عديدة وذلك لكونها أجنبية على البيئة وغريبة على البلد وأهله . وأزمة التقنية الملائمة والتكيف مع التقنية المستوردة ليست مشكلة سعودية فحسب ؛ بل هي مشكلة عربية وعالمية . فجميع الدول النامية تقريبًا تعاني من عدم تلبية التقنية لاحتياجاتها المحلية . ويعد النجداوي (٧) من أبرز الكتاب الذين تعرضوا لهذه القضية بالبحث والمناقشة ، ويلخص مجموعة من الصعوبات التي تعوق الاستخدام الأمثل للتقنية المستوردة في المكتبات ومراكز المعلومات في العالم العربي. وسيكتفي الباحث بذكر بعض من هذه الصعوبات، التي تنطبق في نظره إلى حد كبير على الحالة في المملكة العربية السعودية، وذلك مثل :

١ - النقص في الأيدي العاملة المدربة في مجالات العلوم والتقنية .
٢ - مشكلة الترميز بالنسبة للغة العربية وتطبيقاتها في الحواسيب .
٣ - عدم وجود تشريعات تساعد في التعرف على المعلومات الممكن تداولها داخل كل بلد عربي .
٤ - عدم كفاءة الاتصالات داخل البلد العربي الواحد ، وبين الدول العربية مع بعضها ، وبين الدول العربية والدول الغربية .
٥ - تعدد أجهزة وأنظمة الحواسيب في العالم العربي .
٦ - رفض المكتبيين التقليديين لكل ما هو جديد خاصة في مجال التطبيقات الآلية .

أما على مستوى المملكة بالذات فإن قضية المشكلات المرتبطة بالتطبيقات التقنية تعد من القضايا الجوهرية التي تشغل بال المكتبيين وأخصائيي المعلومات والباحثين ومتخذي القرار . ويذكر السويدان (٨) في هذا السياق أنه رافق مراحل إدخال الحاسوب في أعمال المكتبات ومراكز المعلومات السعودية بعض الصعوبات ، ومن أهمها :

١ - اختيار الأجهزة والبرنامج / البرامج المناسبة .
٢ - تعريب البرامج الأجنبية المقتبسة من الخارج .
٣ - عدم وجود التنسيق المطلوب بين المكتبات ومراكز المعلومات مع أنها تقبع في بلد واحد .
٤ - تعديل الأنظمة والبرامج بما يتلاءم مع الاحتياجات التي تفرضها طبيعة اللغة العربية واحتياجات المكتبات السعودية بشكل خاص .
٥ - نقص الخبرات والطاقات البشرية المدربة والمؤهلة في هذا المجال .
٦ - صعوبات أخرى تتعلق بالتعامل مع بعض الشركات المسوقة لأجهزة الحاسب والبرامج .

وفي رسالته لدرجة الدكتوراه . ناقش الطيب Al-Tayyeb (٩) المشكلات المرتبطة بالتقنية المعلوماتية المستوردة في العالم النامي وفي المملكة على وجه الخصوص مناقشة مستفيضة ومدعمة بالأرقام والإحصاءات . ويؤكد الطيب على أن نقل التقنية من موطنها الأصلي ومن دولة متقدمة إلى دولة في طريقها نحو التقدم لابد أن يترتب عليه مجموعة من العثرات التي قد تحد من الاستفادة القصوى للآلة المنقولة ، وذلك لوجود مجموعة من الاختلافات الجوهرية في الاتصالات واللغة والعادات والتقاليد والأنظمة بين المجتمعات الصناعية وغير الصناعية ، التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على أسلوب النقل . ويقف نقص التخطيط وضعف الاستعداد حجر عثرة في هذا الشأن . ذلك أن بعض الجهات في المملكة تقوم بشراء الأجهزة والمعدات قبل إعداد دراسة لمعرفة مدى تهيؤ الأفراد لاستقبال الحدث الجديد ، وللتعامل مع أنماط حضارية حديثة . وما ينطبق على

الجهات الأخرى ينطبق إلى حد بعيد على مؤسسات الخدمات المعلوماتية .

ونظرًا لتعقد قضية المشكلات المرتبطة باستخدام التقنية في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية فقد أقيمت حول هذه القضية العديد من المؤتمرات والندوات المحلية نذكر منها «ندوة استخدام التكنولوجيا الحديثة في أعمال المكتبات : أبعاد ومشاكل المكتبات في دول الخليج العربي»، التي نظمتها جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران عام ١٤٠٣هـ (١٠) ، و«ندوة التقنية الحديثة في تنظيم وإدارة المعلومات» ، التي نظمها معهد الإدارة العامة بالرياض عام ١٤٠٧هـ (١١) ، و«ندوة استخدام الحاسب الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية» ، التي نظمتها مكتبة الملك عبدالعزيز العامة عام ١٤٠٩هـ (١٢) ، وأخيرًا «ندوة استخدام اللغة العربية وتقنية المعلومات» ، التي نظمتها أيضًا مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الفترة من ٨ - ١٢ ذي القعدة ١٤١٢هـ (١٣) . وهذا فضلاً عن الندوات الأخرى التي أقامتها جهات عديدة في الدولة لمناقشة أبعاد التقنية المنقولة وانعكاسها على التنمية من جوانبها كافة والتطويع التقني ونحو ذلك من المواضيع التي توحي في مجملها بأن هناك مشكلة مع استيراد التقنية ، وأن هذه المشكلة ربما تستمر إلى أن نصل إلى مرحلة التصنيع المحلي للتقنية .

ومما يجدر ذكره أنه كان من ضمن التوصيات التي توصلت إليها ندوة استخدام الحاسب الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية (والتي عقدتها مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض (١٤) في الفترة من ٦ - ٧ ربيع الثاني لعام ١٤٠٩هـ / ١٥ - ١٦ نوفمبر لعام ١٩٨٨م بمقر نادي ضباط الحرس الوطني) مما له علاقة وثيقة بموضوع هذه الدراسة ما يلي :

١ - ضرورة التأكيد على المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة بإعداد دراسة وافية مسبقة تشتمل على كل الجوانب الفنية والإدارية قبل الشروع في اختيار واستخدام نظام معين ، والاستفادة قدر الإمكان من تجارب الغير .

٢ - ضرورة العمل على تنمية المهارات البشرية السعودية في التعامل مع كل أنماط التقنية الحديثة المستخدمة في المكتبات ومراكز المعلومات . ويمكن أن يتم ذلك عن طريق التنسيق بين المؤسسات التعليمية والتدريبية في أقسام المكتبات والمعلومات بالجامعات والكليات السعودية ، وفي المراكز والمكتبات ذات الخبرة في التعامل مع التقنية المعلوماتية .

٣ - ضرورة التعاون والتنسيق بين المكتبات ومراكز المعلومات السعودية في مجال استخدام الحواسيب ، والاستفادة من التجارب السابقة في هذا المجال سواء في تطوير البرامج أو التدريب أو الاستفادة من البيانات الببليوجرافية .

٤ - التأكيد على من يقومون بالتعاقد مع الشركات والجهات صاحبة الحقوق في التقنية الحديثة في أن يكونوا على وعي ومعرفة بالقوانين التي تحفظ حقوق المستفيدين في دول تلك الشركات ، حتى تتمتع المؤسسات السعودية بالحقوق والميزات المتاحة نفسها في تلك الدول مع مراعاة الجوانب الشرعية في هذه العقود .

وقبل أن ندخل في صلب الموضوع ونعطي مناقشة تحليلية مستفيضة لواقع المشكلات التي تواجه المكتبات ومراكز المعلومات السعودية مع التقنية الحديثة فسنسرد في النقاط التالية نماذج لتلك المشكلات :

- اختيار الأجهزة والبرامج المناسبة .
- اللغة وتعريب البرامج الأجنبية .
- اختلاف البنية الأساسية للمعلومات من النواحي المناخية والعلمية والثقافية .
- ضعف التعاون والتنسيق بين مؤسسات المعلومات في المملكة .
- اختلاف الأنظمة المستوردة وافتقارها للتوافق والتكامل .
- ضعف القوى البشرية المدربة والمؤهلة .
- التبعية التقنية وضعف التطوير المحلي للتقنية .
- عدم مشاركة المستفيدين في صنع القرار ، وتهيئتهم للتعامل مع التقنية .
- صعوبة ملاحقة التطور التقني السريع .
- عوائق أخرى مالية وإدارية وفنية وبشرية .

ومع أن كل واحدة من هذه العقبات تستحق إشباعها بحثًا ودراسة ، فإن الباحث سيقتصر على ماهو أساسي في نظره لكي يلتزم مع الحدود التي رسمها في بداية

الدراسة ، التي كان من ضمنها الاقتصار على الصعوبات الجوهرية التي لو تم التغلب عليها ومعالجتها لتغير واقع التقنية المطبقة في بيئة المكتبات والمعلومات السعودية ، ولأمكننا خدمة الإنتاج الفكري العربي بشكل أفضل . فمشكلة اللغة العربية ، وضعف التعاون والتنسيق بين المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة ، ونقص التدريب للقوى العاملة ، والعجز في تصنيع التقنية المعلوماتية محلياً ، هذه العقبات مجتمعة تمثل أصل المشكلة لهذه الدراسة ومن الطبيعي أن يتم التركيز عليها دون غيرها .

اللغة والتعريب

تمثل اللغة العربية في حد ذاتها عائقًا أمام استخدام التقنية الحديثة لغالبية الأفراد في المملكة ولغالبية الشعوب في العالم العربي . فالعربية هي اللغة الرسمية لتلك البلاد، وهي لغة التخاطب والتفاهم على المستويين الرسمي والشعبي في مختلف مجالات الحياة . لذا «يعتبر تعريب الحاسب الآلي أمرًا في غاية الأهمية بالنسبة إلى المجتمعات العربية . ذلك أن التعريب هو الأسلوب الطبيعي لإدخال وتوسيع انتشار هذه التقنية المتطورة إلى المجتمعات العربية ، وتهيئة الأجيال الناشئة لاستيعابها وحسن التعامل معها» (١٥) . فهناك اليوم طلب متزايد لاستخدام النصوص العربية في مدخلات ومخرجات نظم المعلومات وفي تأسيس بنوك معلومات عربية . والحاسوب كما نعلم نشأ وتطور أصلاً لخدمة المجتمعات المصنع لها ولخدمة لغاتها ، ولكن تحدي التطور والتنمية فرض على المملكة والدول النامية ضرورة الاستفادة من إمكاناته . وتتمثل المشكلة هنا في عدم وجود الرموز والتمثيلات المعيارية العربية الملائمة بحيث يمكن أن يقبل عليها صانعو الحواسيب وتصلح بكفاءة مع النصوص العربية . ولذا تظل مشكلة التعريب العقبة الأساسية في انتشار الحواسيب وتطبيقاتها في المملكة والعالم العربي . ذلك أن للغة العربية سماتها الفريدة التي تتميز بها عن بقية اللغات ، التي يجب أن تؤخذ في الحسبان عند تعريب الأجهزة ، أو تصميم أجهزة خاصة بالمستفيد العربي . ومن أهم هذه السمات عدد الحروف العربية (٢٨ حرفًا) وأشكالها حسب موقعها في الكلمات ، وأسلوب الكتابة من اليمين إلى اليسار ، والتشكيل والأشكال الجمالية والفنية للحروف (١٦).

وقد عالج قضية اللغة والتعريب كل من عاشور (١٧) ، ويونس (١٨) ، والسالم (١٩) ، كما عالجها أيضًا المشاركون في الندوة التي نظمتها منذ مدة قصيرة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بعنوان : ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات . ولأن هذه القضية يجب أن تعالج في إطار عربي وليس محلي ، فتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنه منذ أن دخل الحاسوب العالم العربي في أوائل الستينات ، رافق ذلك اهتمام بعمليات التعريب واستخدام اللغة العربية في أجهزة الحواسيب وخاصة في معالجة المعلومات وعمليات الإدخال والإخراج ، وعقدت لهذا الغرض العديد من المؤتمرات والندوات على الصعيد العربي ، وذلك مثل :

١ - الحلقة الدراسية المتعلقة باستخدام الحاسب الإلكتروني في مجال الببليوجرافيا والتوثيق ، التي عقدت في الخرطوم عام ١٩٧٥م .
٢ - المؤتمر العربي التحضيري للندوة الدولية للاستراتيجية والسياسات الإعلامية التي عقدت في تونس عام ١٩٧٦م .
٣ - الاجتماع الأول للجنة اللغة العربية في الإعلامية coarw / IBM التي عقدت في روما عام ١٩٧٧م .
٤ - الاجتماع الثاني للجنة اللغة العربية في الإعلامية ، التي عقدت في تونس عام ١٩٧٩م .
٥ - ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسبات الإلكترونية ، التي عقدت في القاهرة ١٣ - ١٤ من الشهر الرابع لعام ١٩٧٧م (٢٠) .

ونحو ذلك من اللقاءات التي تم من خلالها تقديم بعض التوصيات المتعلقة بالشفرة العربية الموحدة ومعيار الرموز العربية في المجالات الإعلامية والمعلوماتية ، وتطويع التقنية للكتابة بالخط العربي الصحيح .

ولقد امتدت محاولات الأفراد والمؤسسات لتطويع استخدام التقنية مع الحروف العربية ، أو تطويع الحروف العربية للاستخدام مع التقنية المستوردة على مختلف الأصعدة المحلية والعربية (وخاصة في مصر والعراق والمغرب) ، والقومية (وخاصة عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، والعالمية (وخاصة في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية) ، وذلك بهدف إيجاد الرموز والتمثيلات المعيارية العربية الملائمة للاستخدام في

الحواسيب . ونتج عن هذه الجهود وضع مواصفات قياسية لاستخدام الحرف العربي في الحواسيب ، أطلق عليها «المواصفات القياسية العربية رقم ٤٤٩» [٢١] . وقد تم خلال العقد الماضي التغلب على بعض المشكلات التي تواجهها المكتبات ومراكز المعلومات في معالجة المجموعات العربية ، وذلك عندما ظهرت الشفرة العربية الموحدة ASM (0449/1982) وطبقتها شركات الحواسيب في صناعاتها للأجهزة والمعدات والنهايات الطرفية لكي تناسب ظروف المستفيد العربي [٢٢].

هذا ؛ وعلى الرغم مما بذل من محاولات وجهود لحل مشكلة اللغة فإننا لم نصل بعد إلى حلول نهائية ومرضية لمعالجة هذه المشكلة . فالملاحظ على أغلب أجهزة الحواسيب المطبقة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية والعربية أنها مطورة أو معدلة من نظم أجنبية لتناسب الاحتياجات العربية ، ولم نستطع بعد تصنيع حواسيب عربية . ومع ما حدث من تطورات في مشاريع المكنة العربية فلاتزال الوحدة الطرفية العربية في حاجة إلى تحسينات إضافية أهمها :

– تحسين مفاتيح الوحدة التي تحمل الحروف ، فهي لاتزال صعبة الاستعمال مقارنة بالوحدة الطرفية الإنجليزية .

– يلاحظ أن إدخال المعلومات من الوحدة الطرفية إلى الحاسوب لا يتم مباشرة كما هو الحال في اللغة الإنجليزية ، وإنما يتم التخاطب مع الحاسوب عن طريق وسيط ؛ لأن الحاسوب الرئيسي لا يفهم الشفرة العربية ، ولأن تمثيل هذه الشفرة يقتصر على النهايات الطرفية .

– كذلك فإن طابعة السطور تحتاج إلى تحسينات بحيث يمكن طباعة المعلومات المطلوبة في الطابعة المتصلة في الوحدة الطرفية بشكل مباشر [٢٣] .

وفي ظل تلهف المكتبات ومراكز المعلومات على حيازة التقنية قامت شركات الحواسيب «باستغلال الوضع وتقديم حلول غير مدروسة بقصد إرضاء عملائها المشترين وتلبية طلباتهم ، وأدى هذا بالتالي إلى وجود مئات من الرموز العربية المشتتة والمستخدمة في الحاسبات الآلية المختلفة ، نتج عنه تضارب في استخدام هذه الحاسبات مع اللغة العربية» [٢٤] . ومن جانب آخر فقد اتجهت شركات الحواسيب إلى اتخاذ بعض الحلول المؤقتة ، وذلك مثل إنتاج أنظمة ومعدات ثنائية اللغة (عربي – لاتيني) مثل الحاسوب ماركة «العربي» مقدم من شركة المهندس السعودية ، وهو نظام متطور عن حاسوب نرويجي الصنع. وأيضًا مثل الحاسوب «يورب» EURAB ، وهو جهاز لاتيني وعربي صممته وكالة الفضاء الأوربية ويمتاز بقدرته على طباعة الأحرف العربية بالحركات أو التشكيل . كما قامت شركة أبل APPLE بتعريب جهاز «ماكنتوش بلاس» MACINTOCH PLUS وطورته خصيصًا ليلائم احتياجات الدول العربية . والجدير بالذكر أنه يتوافر لهذا الجهاز إمكانات معالجة النصوص باللغتين العربية والإنجليزية مما يتيح للمستفيد إدخال وتخزين وعرض ومعالجة البيانات بهاتين اللغتين . يضاف إلى النماذج السابقة بعض الحواسيب المطورة مثل «صخر» وهو معرب عن نظام MSX الياباني ، و «عرب كلير» وهو مطور من نظام SINCLAIR الإنجليزي ، و «الأمير» وهو مرادف لجهاز IBM الشخصي ، و «الرائد» ونحوها [٢٥] .

ولكن يجب ألا ننسى أن جميع أجهزة الحواسيب الثنائية اللغة والمتوافرة في السوق السعودية والعربية مطورة أو معدلة عن نظم أجنبية ، ولذا تظل مشكلة تصميم أجهزة محسبة عربية الأصل والنشأة قائمة ، وتظل الحاجة ماسة لإجراء المزيد من الأبحاث التي تعالج تعريب الحاسوب ، وإيجاد الحلول الجذرية لمعضلة اللغة . كما يجب ألاننسى أنه مازالت تواجه صانعي الحواسيب مشكلة إنتاج نظم معربة ، وذلك لعدم وجود مقياس عربي واحد مقبول لدى جميع الصانعين . فالتعريب يفرض إجراء تصميمات خاصة لأجهزة حاسوب تناسب اللغة العربية . وقد لاحظ أحد الخبراء [٢٦] في هذا المجال «أن الجهات الصانعة لم تتفق على أسلوب واحد للتعريب ، أو حتى على طريقة ترميز البيانات في الأنظمة العربية . كما يعمل مطورو البرامج ثنائية اللغة بطريقة مستقلة عن صانعي الأجهزة أنفسهم ، ويبيعون برامجهم باستقلال تام عن الموردين الرسميين» [٢٦] .

وقبل أن نختتم هذا الجزء من الدراسة المتعلق باللغة والتعريب فلابد أن نشيد بالجهود التي بذلتها ، ومازالت تبذلها ، بعض المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة في هذا الإطار ، ونخص بالذكر مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

فلهاتين الجهتين بالذات محاولات مشكورة لتطويع التقنية المستخدمة في المكتبات السعودية . ولدى الباحث تفكير جاد بإعداد دراسة مستقلة تتناول دور المدينة في نقل وتطويع التقنية المعلوماتية في المملكة . أما بالنسبة لمركز الملك فيصل فقد عالج أحد الباحثين (٢٧) تجربة المركز في عملية تعريب نظام مينايسز MINISIS ، في ورقة عمل مقدمة إلى إحدى الندوات التي أقيمت في المملكة منذ ثلاث سنوات . وتشير الورقة إلى أهمية التعريب على المستوى العربي وإلى أهمية الاتفاق حول هذا الموضوع ، وذلك لكي تستطيع المراكز العربية تبادل المعلومات والخبرات فيما بينها ولكي يستطيع الباحث العربي الحصول على المعلومة التي يريدها من أي قطر عربي بيسر وسهولة . والجدير بالذكر أن تجربة المركز مع نظام مينايسز وتعريبه على نظام لغة السي (C) ، والتي لا ترتبط بجهاز معين قد لقيت ترحيبًا من إحدى الندوات السعودية (٢٨) ، والتي ناشدت المركز بالاستمرار في عملية التعريب لكي تستفيد منه المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة . كما أوصت الندوة بأن يكون مركز الملك فيصل هو الجهة المسئولة عن توزيع النظام المعرب .

ضعف التعاون والتنسيق فيما يتعلق بتوحيد الأجهزة والأنظمة

إن من يعايش واقع التقنية المطبقة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية يلاحظ بسهولة ضعف التعاون والتنسيق بين الهيئات التي تستحوذ على التقنية . وتتجلى مظاهر هذه المشكلة في عدة جوانب . فلقد أدى عدم التنسيق إلى تنوع الأجهزة والأنظمة المستخدمة ، مما ترتب عليه قيام كل مكتبة بتصميم وتنفيذ التطبيقات اللازمة لها ، وهي في غالبيتها تطبيقات متشابهة ومتماثلة مع ما يجري في المكتبات الأخرى . وقد أدى ذلك إلى ضياع الكثير من الموارد بسبب الازدواجية والتكرار ، مما يوحي بضرورة التنميط والتوحيد القياسي ، والتعاون بهدف استخدام أنظمة موحدة في مجالات وظيفية متعددة.

كما أن عدم التنسيق قد أدى إلى عدم الانسجام بين موارد وإمكانات مختلف مؤسسات المعلومات مما سيضع في المستقبل صعوبات متعددة أمام إمكانات ربط الأجهزة والنظم المتباينة بعضها مع بعض في إطار شبكة معلومات وطنية ، وكذلك صعوبة تبادل الخبرات والتجارب والبيانات بين مختلف المكتبات ومراكز المعلومات برغم أنها جميعًا تقبع في دولة واحدة . وقد لاحظ هذه المشكلة كل من التونسي AL-Tunisi (٢٩)، والغامدي AL-Gamidi (٣٠)، وحافظ Hafez (٣١) ، الذين أجمعوا على أن تبادل مصادر المعلومات بين المكتبات ومراكز المعلومات السعودية وإتاحتها لفئات المستفيدين كافة على مستوى المملكة مرهون بعوامل عديدة ، تمثل التقنية الموحدة أحد جوانبها الأساسية . وأظهرت دراسة التونسي AL-Tunisi (٣٢) أن اختلاف الأنظمة المطبقة يمثل أحد المشكلات الأساسية التي تعرقل التعاون في مجال الإعارة بين المكتبات ، ولذا كان من توصيات دراسته ضرورة إجراء المزيد من الأبحاث المتعلقة بتباين أنماط التقنية المستخدمة ، التي تعوق إنشاء نظام الشبكة الوطنية للمعلومات .

ومما يزيد المشكلة تعقيدًا أن المكتبات السعودية قد اتجهت إلى التحسيب بطريقة فردية ، حيث اختارت كل مكتبة البرنامج الذي رأته مناسبًا لمتطلباتها والأجهزة المتوافرة لديها ، دون أخذ تجارب المكتبات السعودية الأخرى بعين الحسبان . وترتب على ذلك التنافر صعوبة التعرف على المصادر المتوافرة ، فالباحث في إحدى المكتبات في الرياض مثلاً لا يعرف ما هي مصادر المعلومات والخدمات المتاحة في المكتبات ومراكز المعلومات في جدة . ولكي نزيد الصورة توضيحًا ، فسنسوق بعض نماذج من الواقع . فجامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، وجامعة الملك سعود ، ومعهد الإدارة العامة قد اختارت نظام دوبس / ليبس Dobis / Libis الذي تسوقه شركة IBM ، ويشتغل على الحواسيب المصنعة بواسطة تلك الشركة ، علمًا بأن معهد الإدارة لم يستمر في استخدام ذلك النظام طويلاً واستبدله مؤخرًا ببرنامج عام لمعالجة البيانات الببليوجرافية أطلق عليه نظام «ابن النديم» . والغريب في الأمر أنه لم يحدث تنسيق يذكر بين الجهات الثلاث المذكورة رغم وحدة النظام الذي وقع عليه الاختيار أصلاً . وأغرب من ذلك أن كل جهة قد بذلت جهودًا منفصلة في تعريب نظام دوبس / ليبس . كما وقع اختيار مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ومكتبة الملك فهد الوطنية ، ومركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية على نظام مينايسز MINISIS الذي قامت بتطويره إحدى

الشركات الكندية وقام بتعريبه مركز التوثيق والمعلومات بجامعة الدول العربية في تونس . ويشتغل نظام مينايسز على الأجهزة التي تصنعها شركة Hewlett packard دون غيرها من الأجهزة . أما مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية فقد طورت برنامجًا خاصاً بها لتخزين واسترجاع المعلومات باللغتين العربية والإنجليزية على غرار نظام Dialog الأمريكي . وبالنسبة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فقد قامت بتطوير برنامج محلي للفهرسة خاص بها ، ويعمل على أجهزة Data General المتوافرة بالجامعة ، دون الاستعانة بالبرامج المطبقة في الجهات الخارجية الأخرى (٣٣) .

وغني عن القول إنه في ظل عدم التجانس في التطبيقات الحاسوبية يصعب على المكتبات ومراكز المعلومات السعودية الاتصال بينها آلياً بسهولة واستفادة كل جهة من تجارب الجهات الأخرى . وقد أحسنت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة صنعًا حينما تنبهت لهذه القضية منذ أعوام وعقدت من أجلها ندوة تعالج استخدام الحاسب الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية . ودار محور الندوة الأساسي حول الصعوبات التي تواجه المكتبات في تحسيبها لأعمالها وخدماتها ، وذلك مثل التعاون وإنشاء قواعد وشبكات المعلومات وتعريب الأنظمة الأجنبية المستخدمة في المكتبات وإمكانات تطبيق الفهرسة التعاونية المحسبة بين المكتبات السعودية . وقد طرح أحد المشاركين (٣٤) في الندوة عدة خيارات يمكن الاستئناس بها في عملية تحسيب المكتبات السعودية وتحقيق التعاون والتنسيق بينها وتقليل الجهود المبذولة وخفض التكاليف . وتتلخص هذه الخيارات فيما يلي :

١ - اقتباس نظام OCLC وذلك بوصفه - من وجهة نظر صاحب الاقتراح - نموذجًا عالمياً رائدًا يمكن للمكتبات أن تحتذيه . ولكن يؤخذ على هذا النظام أنه باهظ التكاليف ، وأن تنفيذه يتطلب وجود معايير متفق عليها في إجراءات الفهرسة ومحتويات بطاقات الفهارس .

٢ - تبادل البيانات الببليوجرافية بين المكتبات السعودية على أشرطة ممغنطة ، مع احتفاظ كل مكتبة بأجهزتها وبرامجها التي تكون غالبًا غير مطابقة لما لدى المكتبات الأخرى . وقد تبنت الإدارة العامة للمعلومات بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية مشروعًا من هذا القبيل ، وذلك بهدف إعداد مواصفة عربية لتبادل البيانات الببليوجرافية على غرار مواصفة MARC المعروفة . ولكن تقف في سبيل هذا المشروع التعاوني مشكلة عدم اتفاق المكتبات على محتويات الحقول كالمدخل الرئيسي ورقم التصنيف ورؤوس الموضوعات والمداخل الإضافية ، ونحو ذلك مما يعيق عملية التعاون في هذا الاتجاه .

٣ - أن تمتلك إحدى المؤسسات الحكومية المهتمة بقطاع المكتبات والمعلومات في المكتبة مثل مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية أو مكتبة الملك عبدالعزيز العامة أو مكتبة الملك فهد الوطنية برنامجًا متكاملاً Integrated Library Software يعمل على الحاسبات الشخصية ويؤدي الوظائف المكتبية المختلفة ، ويتاح للمكتبات الأخرى استخدامه مجانًا أو بعد دفع رسوم رمزية . ويمكن للجهة التي تتولى هذا المشروع أن تطور البرنامج من الصفر ، أو تشتري التعليمات الأصلية لأحد البرامج المكتبية الكثيرة المتوافرة عالمياً ، ثم تعربه وتعدله وتنقحه باستمرار ليناسب احتياجات المكتبات السعودية ، ويكون قادرًا على معالجة المجموعات العربية . ويذكر صاحب الاقتراح أنه قد أخذ بهذا الخيار الثالث بعض المكتبات في الدول النامية كماليزيا .

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن غياب السياسة الوطنية التي تحكم عملية نقل التقنية واستخدامها في المكتبات وغياب المعايير القياسية Standards يؤديان إلى استخدام كل مكتبة لنظم مختلفة مما يعوق عملية تبادل هذه النظم ، ويعوق حتى التفاهم بين العاملين في المجال برغم وجودهم في دولة واحدة . ومعروف أنه من الأهمية بمكان استخدام تطبيقات نمطية موحدة في جميع الإجراءات والعمليات المكتبية بحيث يكون هناك نظام موحد للفهرسة والتصنيف والإعارة وهكذا . والواقع أن المملكة والدول النامية عمومًا مازالت تعاني من مشكلة المعيارية في الإجراءات والنمطية في التطبيقات . فالتقدم في مجال شبكات المعلومات الوطنية يعتمد بشكل جوهري على إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات التي تعترض تطور وتبني التقنيات .

ولعل مما يثلج الصدر أنه مازالت الجهود والمحاولات تبذل لتطوير معايير موحدة لتخاطب أجهزة الحاسوب ولدخول المكتبات ومراكز المعلومات السعودية في شبكة معلومات وطنية . ويقوم الباحث (٣٥) حالياً بدعم وإشراف من الإدارة العامة للمعلومات بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بدراسة ميدانية تهدف إلى التعرف على مدى إمكانية تعاون المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة مع مدينة الملك عبدالعزيز في مجال خدمات المعلومات . وقد تطرق الباحث في دراسته إلى معوقات التعاون مع التركيز على الجوانب التقنية واختلاف الأنظمة والمعايير ونحو ذلك مما يعيق المشاريع التعاونية . وياليتنا نستفيد من تجارب الدول المتقدمة في مضمار المعيارية ، وتوحيد الجهود التي تبذل في سبيل توصيل الخدمات المعلوماتية إلى أكبر عدد ممكن من المستفيدين وذلك مثل :

- تطوير قواعد الفهرسة الأنجلو - أمريكية ١، ٢ (AACR 1 & 11) .
- التقنين الدولي للوصف الببليوجرافي ISBD .
- الفهرسة المقروءة آليا MARC .
- قائمة رءوس موضوعات مكتبة الكونجرس .

فهذه التقنينات وأمثالها يتقيد بها كل مشترك في شبكات المكتبات والمعلومات . هذا بالإضافة إلى محاولات المنظمة الدولية للمقاييس (ISO) والمعهد الوطني الأمريكي للمقاييس (ANSI) لتطوير معايير قياسية بهدف تعميمها وتبنيها من قبل المؤسسات الببليوجرافية . مما ينتج عنه في النهاية تذليل الصعوبات وجعل تبادل المعلومات ومشاركة المصادر من خلال الشبكات المكتبية والمعلوماتية أمرًا ميسورًا (٣٦) .

ضعف القوى البشرية المؤهلة للتعامل مع التقنية

يعد عامل القوى البشرية من أقوى العوامل المؤثرة في عملية نقل التقنية المعلوماتية إلى الدول النامية . «فقد أشارت إحدى الدراسات عن الدول الآسيوية بأن بطء عملية الانتفاع الكامل من الحاسبات وعدم تقدمها يعود أساسًا إلى عدم توافر الكوادر المؤهلة المدربة في هذا المجال» (٣٧) . وما ينطبق على العالم النامي في هذا الخصوص ينطبق على المملكة ، التي تعاني من ندرة الكوادر الفنية المتخصصة في مجال التقنية المعلوماتية ، وخاصة الكوادر التطويرية كالمحللين والمبرمجين ومهندسي الصيانة وغيرهم .

وقد تصدى لظاهرة العجز في التأهيل البشري العديد من المتخصصين في مجال المكتبات والمعلومات كالنملة (٣٨) وطاشكندي (٣٩) ، والمرغلاني (٤٠) ، كما تصدرت الظاهرة نفسها قائمة الموضوعات التي عالجتها الندوات والمؤتمرات التي أقيمت على أرض المملكة . ويرى المرغلاني (٤١) أن مفهوم «القوى البشرية» يشمل : قلة الأفراد المدربين ، والنظرة غير الواقعية لمهنة المعلومات ، وضعف التعليم المستمر ، وقلة الخبرة في مجال العمل الجماعي . ويقترح عدة أساليب لرفع كفاءة وتأهيل القوى البشرية العاملة في استخدام الحاسوب في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية ، وذلك بالتركيز على ما يلي :

١ - التأهيل الأكاديمي من خلال أقسام علوم المكتبات والمعلومات بجامعات المملكة ، التي بدأت منذ أعوام بتضمين مواد في الخطة تتعلق بالتقنية واستخدامها .

٢ - إقامة البرامج التدريبية . ولمعهد الإدارة العامة في هذا المجال بالذات جهودًا مشكورة ، حيث يهدف المعهد إلى تأهيل الكفاءات الوطنية في أعمال المكتبات المختلفة وإعدادها للعمل المكتبي والمعلوماتي عن طريق تقديم مواد تتناول التطبيقات التقنية في المكتبات ومراكز المعلومات .

هذا بالإضافة إلى بعض الدورات والحلقات الدراسية التي قدمتها ، ومازالت تقدمها ، بعض الجامعات السعودية والهيئات الحكومية في هذا المضمار .

٣ - تعزيز دور المكتبات ومراكز المعلومات السعودية في تنمية الكوادر البشرية وتهيئتها بشكل أكبر للتعامل مع التقنية ولمتابعة تطوراتها . ويمكن أن يتحقق ذلك الدور عن طريق إتاحة الفرصة العاملين للمشاركة في برامج التعليم المستمر Continuing Education التي تقدمها أقسام المكتبات والجمعيات المهنية ومختلف أنواع المكتبات ومراكز المعلومات بهدف تحديث الخبرات والمهارات التقنية للمكتبيين وأخصائيي المعلومات . ويمكن أن يتم التطوير المهني على شكل دورات قصيرة ، حلقات دراسية ، مؤتمرات

وندوات برامج التدريب أثناء الخدمة ، الاستشارات ، ورش العمل ، الزمالة ، حضور المواد المتعلقة بالتقنية كمستمع أو كطالب في الأقسام العلمية ، العضوية في المجتمعات المهنية ، الاطلاع والقراءة في مجالات التخصص ، التأليف وكتابة الأبحاث والدراسات . هذا ويجب ألا نغفل الدور الذي يمكن أن تسهم به بعض الجهات الأخرى في رفع كفاءة وتأهيل القوى الوطنية العاملة في مجال التقنية المعلوماتية ، وذلك مثل المنظمات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) والمنظمات الدولية (اليونسكو) ونحوها في تنظيم وعقد دورات تدريبية . كما أنه باستطاعة الشركات المنتجة لأنظمة الحواسيب أن تهتم بتوفير برامج للتدريب والتعليم المستمر لموظفي المكتبات ومراكز المعلومات التي تتعامل معها (٤٢) .

ظاهرة التبعية التقنية والعجز عن التصنيع المحلي للتقنية

تعد ظاهرة التبعية التقنية من أهم الأبعاد السلبية لنقل التقنية بصفة عامة وتقنية المعلومات بصفة خاصة من بلد متقدم إلى بلد نام ، وذلك نتيجة للتفاوت في القدرات بين البلدين ، مما يخلق شعورًا بالضعف أو النقص لدى الجهة المستوردة للتقنية ويجعلها تقع تحت رحمة الدول المتقدمة ، وذلك بسبب اعتمادها الكامل على التقنية الأجنبية . ولذا يعاب على المكتبات ومراكز المعلومات السعودية ضعف قدرتها على استيعاب وتشرب التقنية المعلوماتية المنقولة ، وذلك لعوامل عديدة منها عدم التوافق غالبًا لما هو مستورد مع ظروف المملكة وضعف البنية الأساسية للمعلومات Infrastructure كحجم الطاقة المتوافرة وأجهزة الاتصالات والخدمات الأخرى ، والمستوى المتدني للمهارات والتدريب ونحو ذلك من العوامل البيئية والفنية والبشرية .

هذا وتشير خطة التنمية الخامسة (٤٣) صراحة إلى وجود «فجوة تقنية» ، أي بمعنى وجود فجوة «بين مستوى التقنية المستخدمة وإمكانات المملكة الراهنة في تطويع هذه التقنية المستوردة وتعديلها حسب احتياجاتها أو حتى إنتاجها محلياً» . والملاحظ أنه برغم نجاح المكتبات ومراكز المعلومات في إدخال التقنية واستخدامها ، فإن قدراتها على التطوير والإبداع لا تزال بعيدة عن تلك المستويات التي تحققت في الدول الصناعية . فالتقنية المستخدمة حالياً صنعت أصلاً لتلائم البيئة الغربية من النواحي المناخية والعلمية واللغوية . ويؤكد هذه الحقيقة النملة (٤٤) ، والذي يرى أن استيراد التقنية أو امتلاكها ليس مؤشرًا على تقدم علمي ما لم تكن التقنية نابعة من البيئة ذاتها .

ويرى أحد الخبراء (٤٥) الذين أشبعوا قضية التبعية التقنية بالبحث والدراسة أن عجز الدول النامية عن تكوين «قاعدة تقنية وطنية» يعد عائقًا جوهرياً أمام تقدمها التقني وسببًا أساسياً في تبعيتها للعالم الغربي المتقدم في التصنيع التقني . ولذلك بينما تعجز الدول المستوردة للتقنية عن فك ما يسمى بـ «الحزمة التقنية» Techno-logical Package ؛ فإن الدول المصدرة للتقنية تقوم بنفسها بتصنيع العناصر التقنية محلياً وتركيبها وتشغيلها بواسطة الخبرات الوطنية . وقد لاحظ كاتب هذه الدراسة أن المكتبات ومراكز المعلومات السعودية مازالت تعتمد على الكوادر الأجنبية خصوصًا في عمليات الاختيار والتشغيل والصيانة . وهذه الكوادر قد تكون أقل اهتمامًا من الكوادر الوطنية نتيجة لعدم انتمائها للوطن ولصعوبة تعرفها على المتطلبات والاحتياجات الحقيقية للمكتبات التي تستخدم التقنية . هذا فضلاً عن بعض المشكلات التي قد تنجم نتيجة صعوبة الاتصال والتفاهم بين الكوادر الأجنبية والوطنية . كما أن اعتماد المكتبيين على البرامج الجاهزة قد يضيف بعدًا آخر للمشكلة ، وقد يؤدي إلى عرقلة عملية بناء الكوادر الوطنية ويؤثر سلبياً على طموحاتها .

ويجب ألا نظن أن ما يتوافر حالياً في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية من أجهزة وآلات ومعدات وأدوات هي بالضرورة أفضل أنواع التقنية ؛ بل هي في واقع الأمر تلك التي تستطيع تلك الجهات الحصول عليها . ولعل هذا مما يزيد من مشكلة التبعية سوءًا ، إذ إن هناك بعض المستلزمات المؤسسية كالنظم والأجهزة الإدارية والفنية والتخطيطية والتشريعية التي لا تقبل النقل ألبتة ؛ لأنها صنعت أصلاً لمواجهة خصائص ومتطلبات بيئية ذات ظروف مختلفة . ونقلها في هذه الحالة من مجتمع نام إلى مجتمع في طريقه نحو النمو يقلل من كفاءتها ويؤثر على فعاليتها ، وهي على أية حال ليست سهلة النقل كما قد

يتصور البعض . وحتى لو تم نقلها بسهولة فلن تؤتي ثمارها المرجوة بالدرجة نفسها المتوقعة لها . ولعل هذا ماحدا بالشيشيني (٤٦) إلى «القول بأن تسمية نقل إحدى أو بعض مستلزمات استخدام التكنولوجيا نقلاً للتكنولوجيا ليس إلا نوعًا من التجاوز أصبح شائعًا في الكتابات الاقتصادية . وقد بدأ استخدامه أصلاً نتيجة لعدم وجود إدراك حقيقي لطبيعة التكامل الوظيفي القوي بين المستلزمات المؤسسية والفنية والعينية للتكنولوجيا . وهذا التكامل لا يقوم على أسس فنية فحسب ، ولكن يقوم أيضًا على أسس حضارية ودينية وتاريخية ، مما يجعل الفصل بين مستلزمات التكنولوجيا عملية صعبة وغير مضمونة النتائج» وبعبارة أخرى يمكن أن نقول إن ما يتم حالياً من نقل للتقنية المعلوماتية في بيئة المكتبات ومراكز المعلومات ومن نقل للتقنية عمومًا في بيئات وأوساط أخرى لا يمثل نقلاً بالمعنى الصحيح للكلمة ، ولكنه عبارة عن عمليات شراء تجارية وصفقات لا يترتب عليها تحسين الوضع بالصورة المنشودة ، التي نطمح إلى الوصول إليها .

وقبل أن نختتم هذا الجزء من الدراسة المتعلق بمشكلات تطبيقات التقنية الحديثة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية وبصفة خاصة مشكلات التطبيقات الحاسوبية ، فلا بد من الإشارة إلى صعوبات وعوائق أخرى لها علاقة بالمستفيدين وبملاحقة التطور التقني السريع . فرأي المستفيد لا يؤخذ في الحسبان عند اتخاذ قرار الشراء ، كما أن التقنية تلبي فقط احتياجات المستفيدين الحاليين وتهمل احتياجات المستفيدين المتوقعين . وأغلب الجهات مازالت تطالب المستفيد بالحضور شخصياً للجهة نفسها لكي يستفيد من معطيات التقنية ، وقلما يحصل المستفيد على المعلومات التي يبحث عنها من مسكنه أو متجره أو مكان عمله ، مع أن الدول المتقدمة تمكنت من ربط المستفيد بالخدمات حيثما كان منذ سنوات وجعلت المعلومات في متناول يد المستفيد بمجرد الاستعانة بأية طرفية تقع عليها يده مما يوفر الكثير من الوقت والجهد والمال . ولم نشهد بعد في غالبية المكتبات ومراكز المعلومات السعودية تكثيف عدد أخصائيي المعلومات المدربين والمؤهلين والمتفرغين لإرشاد المستفيدين وتدريبهم على الاستخدام المباشر لقواعد وشبكات المعلومات .

يضاف إلى ما سبق وجود هوة سحيقة بين الفنيين العاملين (المكتبيين وأخصائيي المعلومات) والمستفيدين ، مما يجعل الاتصال والتفاهم بين هاتين الفئتين ضعيفًا . وقد ترتب على ذلك تصميم أنظمة لا تلبي في معظمها الاحتياجات الحقيقية للمستفيدين . وهذا فضلاً عن ضعف الاتصال بين العاملين ومصممي الأجهزة الذين تنقصهم الاحتياجات المكتبية والمعلوماتية ، مما أدى في النهاية إلى عدة مشكلات من أبرزها أن المكتبيين يتركون لصانعي الأجهزة مهمة تحديد شكل ونوع الأجهزة والأنظمة دون المشاركة بشكل فعال للتأكد من تلبية التصاميم لاحتياجات ومتطلبات العمل . والواقع أن التوصل إلى حلول لهذه العقبات مسئولية مشتركة ، إذ يقع على عبء متخذ القرار في المكتبات ومراكز المعلومات مهمة تحديد احتياجاتهم وأهدافهم بطريقة واضحة ، كما أنه يجب على صانعي الأجهزة أن يتفهموا الاحتياجات الحقيقية للمؤسسات المكتبية والمعلوماتية .

أما الصعوبة المتعلقة بالتطور التقني السريع ، أو كما يطلق عليها الغامدي (٤٧) مشكلة «التقلب التقني» فقد نشأت نتيجة الحملات الدعائية التي تبثها شركات الحواسيب في سوق المنافسة حول قدرات وطاقات أجهزتها مما يغري الكثيرين بشرائها دونما دراسة مكثفة ودقيقة لتلك الأنظمة ومدى مطابقتها مع احتياجات وأعمال كل مكتبة أو مركز معلومات على حدة . وينشأ عادة عن التسرع في الاختيار فشل في التطبيق ، وهنا قد تلجأ الجهة إلى نظام آخر يتلافى عيوب النظام السابق . ومما له علاقة بهذا الجانب أن عزوف بعض الشركات المنتجة للأنظمة عن تطوير أنظمتها قد يجبر متخذ القرار في المكتبات الذين سبق لهم اختيار هذه الأنظمة على التغيير والتحويل إلى أنظمة أخرى أكثر مرونة وتجاوبًا مع الواقع . وهذا التحول في حد ذاته يتطلب مبالغ مالية باهظة وجهودًا كبيرة ويؤدي إلى عرقلة الأعمال والخدمات . ولذا لابد من النظر بروية وموضوعية إلى مستقبل الشركات الصانعة للنظم الآلية ومالديها من إمكانات واستعدادات مستقبلية لتطوير وتطويع أنظمتها وبرامجها . والمشاهد أن «التطور التقني السريع في أنظمة الحاسب الآلي من جهة وفي برامجه من جهة أخرى يؤدي إلى مشكلات في الضبط البيبليوجرافي خاصة عند استعمال الأقراص المصغرة (Compact

Disks) ، فاختلاف المعلومات على سبيل المثال في هذه القنوات التقنية من إصدارة إلى أخرى ، وتطور واختلاف المعايير والمواصفات لخزن واسترجاع المعلومات ما هو إلا واحد من المشكلات التي يصنعها التقلب والتطور التقني أمام الضبط الببليوجرافي» (٤٨) .

الخيارات والبدائل

وبعد أن استعرضنا بإيجاز أهم المشكلات المحيطة بنقل التقنية المعلوماتية واستخدامها في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية ، فلعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : ما الموقف إذًا من التقنية الحديثة ؟ وللإجابة عن هذا السؤال في إطار الظروف التي تعيشها خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة نذكر أن هناك ثلاثة خيارات في هذا الصدد ، لكل منها سلبياته وإيجابياته :

١ - فالخيار الأول يتمثل في استمرار شراء الأجهزة من الدول الصناعية .

٢ - والخيار الثاني يتمثل في الاتصال بقواعد المعلومات في الدول الغربية عن طريق الاتصالات السلكية واللاسلكية .

٣ - أما الخيار الثالث فيتمثل في بناء أنظمة خاصة بالمكتبات ومراكز المعلومات في المملكة ، وتعتمد على تبني التقنية المستوردة وتطويعها لخدمة أغراضها وتلبية احتياجاتها في حفظ وتخزين واسترجاع المعلومات ، ومن ثم ربط هذه الأنظمة المحلية مع النظم العالمية لاسترجاع المعلومات الضرورية عند الحاجة . ولا يخلو أي من هذه الخيارات الثلاثة من محاذير ، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أن معظم النظم الغربية وجدت لمواجهة احتياجاتها المحلية ، التي قد لا تتناسب مع الأحوال السائدة في الدول الأخرى ، وأيضًا إذا وضعنا في الحسبان تأثر الخيار الثاني بالعلاقات السياسية بين الدول نفسها .

وأمام التحدي التقني الخطير الذي يواجه المكتبيين وأخصائيي المعلومات في المملكة وفي غالبية الدول النامية مازال الخلاف يدور حول قضية استيراد التقنية من دول أجنبية في مقابل التصنيع المحلي للتقنية . والحقيقة أن خيار الاستيراد أو التصنيع لا يمكن إقراره في لحظات . ولعل مما يدعو للدهشة في هذا الشأن أن تكلفة الاستيراد أقل من تكلفة التصنيع ، كما أظهرت ذلك إحدى الدراسات الميدانية التي أجريت في إحدى الدول العربية (٤٩) . والواقع أنه إذا كان للاستيراد مشكلاته ؛ فإن للتصنيع مشكلاته أيضًا . ولذا فقد يكون الأفضل للمملكة أن تستمر في استيراد تقنية المعلومات وتسخرها لمعالجة العمليات والإجراءات المكتبية والمعلوماتية ، بشرط أن تكون عملية الاستيراد جزءًا من سياسة تستهدف تنمية القدرات البشرية والمادية لبناء قاعدة تقنية وطنية تنهض بمهام الاختيار الأفضل للتقنية المستوردة وتعمل على أقلمتها وتطويعها . وفي الوقت نفسه تكون قادرة على تطوير تقنية محلية باعتمادها على الطاقات الوطنية المتاحة .

ولنعلم أن العبرة ليس كون التقنية محلية أم مستوردة بقدر ما هي إيجاد خطة وطنية محكمة تسير عليها الدولة لتصل إلى هدفها ولو بعد حين . ولنا من تجارب الدول الأخرى متقدمة كانت أم نامية عبرة وعظة في هذا المجال. فجميع البلدان التي انطلقت في تصنيعها في القرن التاسع عشر قد اعتمدت في البداية على تقنيات أجنبية مصدرها الرئيسي إنجلترا ، ومن ثم استغنت عن التقنية المستوردة بتلك المصنعة محليًا . ففرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وروسيا كل هذه الدول لم تصل إلى وضعها الصناعي الحالي إلا بعد أن طوعت الميكنة المستوردة . وتمثل اليابان بالذات تجربة فريدة من نوعها في مجال التطويع التقني ، حتى لقد أصبحت اليوم تمثل القيادة والريادة في تقنيات المعلومات والاتصالات وخاصة تقنية الحاسوب . ولا تقل التجربة الصينية في هذا المجال أهمية عن التجربة اليابانية ، فبفضل اعتمادها على نفسها وعلى طاقات أبنائها عمدت إلى استيعاب تقنية الغرب وتمكنت من إنتاج التقنيات العصرية المعقدة . وتبنت بعض الدول النامية كالهند والبرازيل سياسة وطنية لدعم صناعة الحاسوب محليًا ، كما أحرزت دول أخرى تقدمًا ملحوظًا في إنتاج الحواسيب مثل هونج كونج وكوريا الجنوبية وتايوان وأندونيسيا وماليزيا وسنغافورة (٥٠) .

هذا على أن نجاح صناعة الحواسيب في الدول المذكورة آنفًا لا يعني بالضرورة ضمان نجاحها في المملكة ؛ لأن ظروفها تختلف عن ظروف الدول الأخرى . فالمملكة تعاني من نقص في المهارات الإدارية والفنية اللازمة للتعامل مع التقنية الحديثة . ومعروف أيضًا أن

مايصلح لبيئة قد لا يصلح لبيئة أخرى ولا يتفق مع عاداتها وتقاليدها وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وهنا يأتي دور مراكز البحث العلمي والتقني في الدولة التي يتعين عليها نقل التقنية الملائمة وتطويرها محلياً والقيام بالوظائف التالية :

١ - مواءمة التقنية المستوردة لواقع البلد وظروفه .

٢ - التمهيد لمباشرة عمليات النقل التقني في المستقبل عن طريق تنمية الخبرات البشرية العاملة في الجهات الحكومية لتهيئتها علمياً ونفسياً لاستقبال التقنية الجديدة وتطبيقها .

٣ - دراسة التقنية المنوي استيرادها أو التي تم استيرادها في محاولة لتطويعها أو إدخال بعض التعديلات عليها لمواءمتها مع البيئة المحلية .

٤ - وضع أسس ومعايير اختيار التقنية المستوردة طبقًا لأهداف التنمية والظروف السائدة في البيئة .

٥ - المشاركة في الندوات واللقاءات والمؤتمرات العلمية للاطلاع على ما يستجد في المجال ولمواكبة أحدث التطورات في العالم والتعرف عن كثب على مشكلات التقنية والاستفادة من تجارب الدول الأخرى في حل هذه المشكلات (٥١) .

ولعلنا نشهد في المستقبل مزيدًا من التطوير والإبداع للتقنية المعلوماتية وإجراء المزيد من الدراسات الميدانية التي تكشف عن واقع الاستخدام ومشكلاته في المكتبات السعودية ، وذلك بفضل إسهامات مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ، والتي أنشأت إدارة مستقلة لهذا الغرض أطلق عليها «إدارة نقل وتطوير التقنية للتعاون الدولي» ، وأيضاً بفضل إسهامات جمعية الحاسبات السعودية ، التي يتوقع أن تبذل ما في وسعها لربط المهتمين بالتطبيقات الحاسوبية ولمعالجة ما يعتور التطبيقات من صعوبات .

الخاتمة والتوصيات

لقد كان هدف هذه الدراسة هو عرض وتحليل المعوقات التي تواجهها المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة مع المكننة ، وبيان السبل التي يمكن من خلالها تلافي تلك الصعوبات ، ولتحقيق هدف الدراسة اتبع الباحث أسلوب البحث المكتبي ، مع الملاحظة والمشاهدات المكتسبة من خلال المعايشة لواقع المهنة المكتبية والمعلوماتية . ويتضح لنا من العرض السابق أن التقنية لم تصل بعد إلى تحقيق الأهداف المنشودة من استيرادها وذلك لعوامل لغوية وبشرية وفنية وإدارية عديدة مازالت تقف حجر عثرة أمام الاستخدام التقني المنشود .

وقد انطلقت مشكلة الدراسة الحالية أساسًا من مبدأ عدم وجود تقنية معلوماتية في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية مصنعة بأيادٍ وعقول وطنية وتعمل بالكامل باللغة العربية ، مما حدا إلى البحث عن أنظمة أجنبية ومحاولة تعريبها لتوائم التطبيقات المحلية . ويعزز هذه المشكلة أنه في ظل غياب السياسة الوطنية لاستخدام التقنية في المكتبات ، فإن الاستيراد لم يستند إلى دراسة تقديرية لتحديد الجدوى الفنية والاقتصادية ، كما أنه لم يكن نتيجة للاحتياجات الفعلية ؛ بل كان في بعض الحالات للتظاهر بالتحديث واستخدام آخر مبتكرات العلم والتقنية . والواقع أن «انطواء التكنولوجيا المستوردة على قيم ومعايير الدول الصناعية يجعل من الضروري إخضاعها لتحليل منهجي يرتكز على القيم والفلسفة والمصالح القومية للطرف المحتاز (المستفيد) لتحديد جدوى مرغوبية نقلها من منطلق مواءمتها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية» (٥٢) .

ومهما قيل عن المشكلات المترتبة على نقل التقنية واستخدامها في المكتبات ومراكز المعلومات ، فإن الحل لا يكمن في الانعزال عن العالم المتقدم والاعتماد الكامل على القدرات المحلية ؛ لأن هذا السلوك قد يقود إلى اتساع الفجوة التقنية بين المملكة والعالم الصناعي . وربما كان أفضل الحلول هو أن تستمر المكتبات السعودية في استيراد التقنية المعلوماتية ، على أن تكون عملية الاستيراد جزءًا من سياسة وطنية تستهدف تنمية القدرات البشرية والمادية لبناء قاعدة تقنية وطنية تنهض بمهام الاختيار الأفضل للتقنية الأجنبية وتعمل على أقلمتها وتطويعها ، وفي الوقت نفسه تكون قادرة على تطوير تقنية محلية باعتمادها على الطاقات المتاحة ، وفي هذا الاتجاه تسير العديد من الدول النامية كما أوضحنا ذلك في الصفحات السابقة .

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا اعترفنا بالحقيقة المرة وهي أنه بينما تمر عملية نقل التقنية المعلوماتية بعدة مراحل تتمثل في نقل التقنية الملائمة ، واستغلالها بكفاءة

واستيعابها ، والتحكم فيها وتطويرها بما يلائم الاحتياجات الفعلية للجهة المستوردة ، ومن ثم تصنيعها محلياً فإننا لم نصل بعد إلى المرحلة الأخيرة وهي مرحلة التصنيع ، التي تعد في الواقع أعلى مراحل الرقي التقني حيث تعتمد الدولة على قدرات أبنائها في اختراع وتصميم وإنتاج وتسويق التقنية .

والخلاصة : أن المشكلة لا تكمن في التقنية بحد ذاتها أو في استيرادها بقدر ما تكمن في الحاجات التي توجه لها وتستخدم فيها . فمما لا شك فيه أن التقنية وسيلة وليست غاية ، وسيلة لرفع الإنتاجية وتوفير وقت وجهد العاملين وإرضاء احتياجات المستفيدين المعلوماتية بشكل أفضل . ومن هذا المنطلق فإنه في ظل المستوى التقني الحالي للمملكة وتطلعها نحو التنمية والتطور ، وفي ظل تطلع المكتبات ومراكز المعلومات نحو تقديم خدمات مكتبية ومعلوماتية متطورة يبدو - في نظر الباحث - أنه لا خيار بديل عن استيراد التقنية المعلوماتية الملائمة للمستفيد السعودي . ولكن يجب أن يتم الاستيراد تحت مظلة سياسة وطنية تهدف إلى الاستفادة بأقصى شكل ممكن من تقنية الغرب وتوظيفها لصالح البيئة المعلوماتية في المملكة .

وينبغي على متخذي القرار معالجة المشكلات الناجمة عن الاستيراد ، فأمامهم فرصة كبيرة للاستفادة من التقدم العلمي والتقني الحديث إذا ما عملوا بمبدأ الحلول المطروحة للتغلب على الصعوبات والمشكلات التي تحد من نقل التقنية المعلوماتية ، ومن ثم تطويرها لتلائم احتياجاتها المحلية . وفي هذا الإطار يطرح الباحث التوصيات التالية، التي تساعد على جني أفضل الثمرات من تقنية المعلومات المطبقة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية :

١ - تدريب العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية على الأساليب التقنية الحديثة لتقديم خدمات المعلومات وتهيئتهم نفسياً واجتماعياً للتعامل مع الأنماط العصرية .

٢ - تصميم وتنفيذ برامج للمستفيدين تعمل على زيادة وعيهم بالتطبيقات الحاسوبية في المكتبات ومراكز المعلومات ، وتبين لهم مجالات استخدام الحاسوب ومزاياه ، وتزيل عنهم الخوف المرتبط بالآلة .

٣ - تطوير سياسة وطنية لتقنية المعلومات تحكم عملية الاستيراد ، وتعمل على صياغة اللوائح والنظم لأنشطة المعلومات ، وتهتم بتطويع التقنية المستوردة حسب احتياجات المكتبات ومراكز المعلومات المحلية .

٤ - تشجيع البحوث العلمية النظرية والتطبيقية التي تعالج المشكلات المرتبطة باستخدام التقنية المعلوماتية في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية ، مع التركيز على أبحاث اللغة والتعريب . ولعل مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالتعاون مع الجهات الأخرى وخاصة جمعية الحاسبات السعودية تتولى هذا الأمر ، وتكون بمثابة مركز يقوم بعمل الدراسات والاجتماعات الدورية للمهتمين بتعريب الحاسوب .

٥ - تشجيع المؤسسات الوطنية على الاستثمار في مجال التقنية المعلوماتية وعلى قيامها بتوفير البرامج والأجهزة التي قد تغني عن الاستعانة بالمصادر الأجنبية .

٦ - الاستفادة من تجارب الدول النامية الأخرى ، وخاصة التي تتشابه في ظروفها مع المملكة ، في حل المشكلات التي اعترضتها مع تطبيق التقنية المستوردة والسبل التي اتخذتها في تطويع التقنية لظروفها المحلية ، وتبادل الخبرات العلمية مع هذه الدول .

٧ - تكثيف التعاون بين المهتمين بالتقنية المعلوماتية على مستوى المملكة من علماء وباحثين وإداريين ، وبصفة خاصة المكتبيين وأخصائيي المعلومات . وذلك لمناقشة الصعوبات والعقبات التي تعترض التطبيقات في المكتبات ومراكز المعلومات ولإبداء الحلول والمقترحات التي قد تخفف من حدة الصعوبات .

٨ - التخلص من عملية الاستيراد العشوائية التي تعتمد على الرغبات الشخصية دون إجراء دراسات مسبقة لمعرفة الفوائد التي ستجنيها المكتبة أو المركز من استخدام التقنية ، والتركيز دوماً على اقتناء أفضل أنواع التقنية المعروضة في السوق العالمية .

٩ - العمل على تكثيف عدد المبتعثين للخارج للتخصص في مجال التقنية المعلوماتية ، ومن ثم إحلالهم محل الأجانب فور وصولهم إلى أرض الوطن ، وذلك كما فعلت اليابان في هذا المضمار ، وأثبتت التجربة اليابانية نجاحها .

المراجع والهوامش

١ – وزارة التخطيط . **خطة التنمية الخامسة : ١٤١٠–١٤١٥هـ** . الرياض: الوزارة ، ١٤١٠هـ . ص١٠٤ .

٢ – يونس ، عبدالرزاق . **تكنولوجيا المعلومات** . الأردن : جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٨٩ . ص ١٧ .

٣ – الغامدي ، فالح عبدالله . «استخدام أجهزة الحاسب الآلي في المكتبات : المبررات والعوائق» . **عالم الكتب** . مج١٣ ، ع٢ (رمضان – شوال ١٤١٢هـ) . ص ١١٤ – ١٢١ .

٤ – عاشور ، محمد صالح جميل . «استخدام الحاسب الإلكتروني في المكتبات» . **المجلة العربية للمعلومات** . مج٦ ، ع ١ (١٩٨٥) . ص ١٢٠ – ١٤٥ .

٥ – الغامدي ، فالح عبدالله . استخدام أجهزة الحاسب الإلكتروني ... ص ١١٤ – ١١٥ .

٦ – الأطرم ، محمد بن عبدالله . «التعاون بين المكتبات السعودية في مجالات التحسيب» . **ندوة استخدام الحاسب الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية : ٦ – ٧ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ** . مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة (٢) . الرياض : المكتبة ، ١٤٠٩هـ . ص١٧ – ٢٤ .

٧ – النجداوي ، أمين . «مشاكل تطبيقات الحاسبات الإلكترونية في المكتبات ومراكز المعلومات في الأقطار العربية» . **المجلة العربية للمعلومات** . مج٣ ، ع١ (١٩٨٢) . ص٧٥ – ٨٩ .

٨ – السويدان ، ناصر محمد . «كلمة ألقيت بمناسبة افتتاح ندوة استخدام الحاسب الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية المنعقدة في الفترة ٦ – ٧ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ» . **ندوة استخدام الحاسب الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية : ٦ – ٧ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ** . مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة (٢) . الرياض المكتبة ، ١٤٠٩هـ . ص ٧ – ٨ .

٩ – AL-TAYYEB, Mohmmad Ali . **Information Technology Transfer to Saudi Arabia** . Ph . D . dissertation . University of Pittsburgh , 1982. pp. 91 - 92 .

١٠ – جامعة البترول والمعادن . عمادة شؤون المكتبات . **ندوة استخدام التكنولوجيا الحديثة في أعمال المكتبات ، أبعاد ومشاكل المكتبات في دول الخليج العربي : بحوث الندوة** . الظهران : الجامعة ، ١٤٠٣هـ .

١١ – معهد الإدارة العامة . ندوة التقنية الحديثة في تنظيم وإدارة المعلومات . الرياض : المعهد ، ١٤٠٧هـ .

١٢ – مكتبة الملك عبدالعزيز العامة . **ندوة استخدام الحاسب الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية** . الرياض : المكتبة ، ١٤٠٩هـ .

١٣ – مكتبة الملك عبدالعزيز العامة . ندوة استخدام اللغة العربية ...

١٤ – مكتبة الملك عبدالعزيز العامة . ندوة استخدام الحاسب ... ص ١٣٠ – ١٣١ .

١٥ – يونس ، عبدالرزاق . تكنولوجيا المعلومات ... ص ٨٩ .

١٦ – المرجع السابق . ص ٨٩ – ٩١ .

١٧ – عاشور ، محمد صالح . «تجارب استخدام الحاسب الآلي في معالجة المجموعات العربية» . **حولية المكتبات والمعلومات** . مج١ ، ع٢ (١٤٠٥– ١٤٠٦هـ) . ص٣٧ – ٥٠ .

١٨ – يونس عبدالرازق . تكنولوجيا المعلومات ... ص ٨٩ – ١٠٨ .

١٩ – السالم ، إبراهيم عبدالله . «تعريب الأنظمة الأجنبية المستخدمة في المكتبات والمعلومات» . **ندوة استخدام الحاسب الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية : ٦ – ٧ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ** . الرياض مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ١٤٠٩هـ . ص ٣٣ – ٣٩ .

٢٠ – النجداوي ، أمين . مشاكل تطبيقات الحاسبات ... ص٧٥ – ٨٩ .

٢١ – يونس ، عبدالرزاق . تكنولوجيا المعلومات ... ص ٩٢ .

٢٢ – عاشور ، محمد صالح . تجارب استخدام ... ص ٤٢ – ٤٣ .

٢٣ – المرجع السابق . ص ٤٧ – ٤٨ .

٢٤ – يونس عبدالرزاق . تكنولوجيا المعلومات ... ص ٩٢ .

٢٥ – المرجع السابق . ص ٩٣ – ٩٥ .

٢٦ – المرجع السابق . ص ٩٣ .

٢٧ – السالم ، إبراهيم عبدالله . تعريب الأنظمة الأجنبية ... ص ٣٣ – ٣٩ .

٢٨ – مكتبة الملك عبدالعزيز العامة . ندوة استخدام الحاسب ... ص١٣١ .

٢٩ – AL-Tunisi , Hammadi Ali . **Feasibility of Establishing A National Information Network System for Saudi Arabia : An Analysis** ph . D. dissertation . University of Pittsburgh . 1988 .

٣٠ - Al-Ghamidi , Falih A . **Planning For An Automated cooperative Library Network of university Libraries Saudi Arabia : An Exploratory study** . ph . D. dissertation . University of Florida 1988 .

٣١ - Hafez , Abdulrasheed A. A prescriptive Model fr planning and Implementing A Resource Sharing and Information Networking System Among Saudi University Libraries . ph . D. dissertation . Indiana University , 1989 .

٣٢ - Al-Tunisi , Hammadi Ali . Feasibility of Establishing ... pp . 160 - 161 .

٣٣ - الأطرم ، محمد بن عبدالله . التعاون بين المكتبات السعودية ... ص ١٧ - ٢٤ .

٣٤ - المرجع السابق . ص ٢٠ - ٢٣ .

٣٥ - السالم ، سالم محمد . دراسة مدى إمكانية التعاون والتنسيق بين المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة العربية السعودية ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية في مجال خدمات المعلومات (دراسة تحت الإعداد) .

٣٦ - يونس ، عبدالرزاق . تكنولوجيا المعلومات ... ص ٩٨ .

٣٧ - برهان ، محمد نور . «معوقات الاستخدام الأمثل لتكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية في الإدارة العامة في الدول العربية» في : **استخدام الحاسبات الإلكترونية في الإدارة العامة في الدول العربية : نظرة تحليلية مستقبلية** . القاهرة : المنظمة العربية للعلوم الإدارية : إدارة البحوث والدراسات ، ١٩٨٥ . ص ٥٩ .

٣٨ - النملة ، علي إبراهيم . «العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب» . **عالم الكتب** . مج٥ ، ع٣ (١٤٠٥هـ) . ص٤٨٣ - ٤٩٢ .

٣٩ - طاشكندي ، عباس صالح . «القوى البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة» . **عالم الكتب** . مج٦، ع ٤ (١٤٠٦هـ) . ص ٤٦٦ - ٤٨٠ .

٤٠ - Marghalani , Mohamad A . "Factors Affecting Information Technology Transfer in developing Countries" Libri v.37, no . 3 (Sep. 1987) . pp . 239 - 245 .

٤١ - المرغلاني ، محمد أمين . تقنية المعلومات والعوامل المؤثرة في نقلها للدول النامية . **عالم الكتب** . مج ١١ ، ع٤ (ربيع الآخر ١٤١١هـ) . ص ٥٠٠ - ٥٠٣ .

٤٢ - ـــــ . « أساليب رفع كفاءة وتأهيل القوى البشرية العاملة في استخدام الحاسوب الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية » . **ندوة استخدام الحاسب الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية : ٦ - ٧ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ** . مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض (٢) : المكتبة ، ١٤٠٩هـ . ص ١١٩ - ١٢٩ .

٤٣ - وزارة التخطيط . خطة التنمية الخامسة ... ص ٣٤٤ .

٤٤ - النملة ، علي إبراهيم . «البنية الأساسية لنظام وطني للمعلومات » **مكتبة الإدارة** . مج ١٣ ، ع ١ (المحرم ١٤٠٦هـ) . ص ٢٦٤ - ٢٧٩ .

٤٥ - الشيشيني ، نادية . «**نقل التكنولوجيا والتبعية التكنولوجية في الدول النامية** » . مجلة العلوم الاجتماعية . مج١١، ع٤ (ربيع الأول ١٤٠٤هـ) ص٥٧ - ٨٢ .

٤٦ - المرجع السابق . ص ٦١ - ٦٢ .

٤٧ - الغامدي ، فالح عبدالله . استخدام أجهزة الحاسب ... ص١٩١ .

٤٨ - المرجع السابق . ص ١١٩ .

٤٩ - يونس ، عبدالرزاق . «نقل تكنولوجيا الحاسوب إلى الأردن : خيار الاستيراد أم خيار التصنيع ؟ » . **المجلة العربية للإدارة**. مج ١٤ ، ع ٢ (١٩٩٠) . ص ٨١ - ٩٨ .

٥٠ - عيسى ، نجيب . «مشكلة التكنولوجيا في العالم الثالث : مقارنة أولية» . **الفكر العربي** . ع ٤٥ (آذار ١٩٨٧) . ص٢٩ - ٣٠ .

٥١ - قاسم ، جميل قاسم . **نقل التكنولوجيا وعملية التنمية : وجهة نظر الدول النامية** . الأردن : المنظمة العربية للعلوم الإدارية ، ١٩٨٤م . ص ٧٨ - ٩٠ .

٥٢ - قريش ، محمود الرشيد . **ديناميكية نقل التكنولوجيا في الدول العربية** . الدوحة : دار الثقافة ، ١٤٠٦هـ . ص٣٦ - ٤٠ .

التعقيبة في المخطوط العربي

أحمد شوقي بنبين

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة محمد الخامس – الرباط

إن دراسة المخطوط العربي دراسة مخطوطية كوديكولوجية لا تزال في بداياتها الأولى ، على الرغم من المجهودات التي يقوم بها بعض الأفراد والجماعات في مختلف المراكز العلمية الأوربية . فإذا كان القدماء يشيرون عرضًا في تصانيفهم ومصادرهم إلى بعض عناصر علم المخطوطات العربي ؛ فإن المحدثين لم يستطيعوا حتى الآن ملء هذا الفراغ إذ لم يدرسوا المخطوط العربي بوصفه قطعة مادية تمكن الباحثين في مجال الفيلولوجيا من الكشف عن عدد من القضايا الفكرية والحضارية والتاريخية والاقتصادية قد لا يمكن اكتشافها أو استنباطها إذا اقتصر البحث فقط على تناول متون هذه المخطوطات . أما المخطوط الغربي فلقد خطا خطوات كبيرة في هذا المجال مما جعل الاقتداء بعلماء الغرب والاستفادة من تجاربهم في علم المخطوطات ضربة لازب بالنسبة للباحثين من العرب والمستشرقين – على قلتهم – المهتمين بهذا العلم . ومن موضوعات هذا العلم التي لم تدرس حتى الآن دراسة مخطوطية بل مازالت حقلا بكرا في التراث العربي ظاهرة وقف الكتب (١) ودوره في تأريخ المخطوط غير المؤرخ ، ومسألة الرموز والاختصارات (٢) في المصنفات القديمة وعلى الأخص منها كتب الحديث ، وظاهرة الكراس أو الكراسة (٣) وتقنية التعقيبة التي هي موضوع هذا البحث .

التعقيبة (٤) عبارة عن نوع من الترقيم استعمله القدماء لترتيب المؤلفات من جهة ، ولمساعدة المختصين في صناعة المخطوط ، كالمترجمين والمسفرين وسواهم ، في ترتيب ملازم المخطوط من جهة أخرى ، ولم يكن المخطوط العربي ليختص وحده بهذه الخاصية ؛ بل اننا نجدها في معظم مخطوطات اللغات الأخرى من سامية وهندية ، أوربية قديمة أو وسيطية ، فمتى ظهرت التعقيبة كلون من ألوان الترقيم في المخطوط بوجه عام ؟ ومن كان أسبق إلى الاهتداء إلى استعمالها في المخطوطات ؟ وهل كان هناك تأثير وتأثر بين مجموعات النساخ في مختلف البقاع والعصور فيما يخص استعمال هذه التقنية ؟

يبدو من خلال الأبحاث الكوديكولوجية الخاصة بهذه الظاهرة (٥) أن التعقيبة كانت معروفة في اللغات السامية وفي بعض اللغات الهندية الأوربية في العصر القديم واختفت في القرون المسيحية الأولى وطوال العصر الوسيط لتعود إلى الظهور خلال النهضة الأوربية الأولى في القرن الثاني عشر الميلادي ثم إلى الانتشار في مختلف اللغات الغربية قبيل عصر النهضة الحديثة . وفي اللوحات (٦) الطينية المكتشفة في مكتبة أشور بانبال في مدينة نينيوي القديمة بالعراق ، التي ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد اعتاد النساخ أن يعيدوا كتابة آخر سطر (٧) من اللوحة السابقة في اللوحة التي تليها وذلك ليتمكن القارئ من قراءة متتابعة ، ولم تكن هذه الظاهرة لتقتصر على اللوحات المنسوخة في عهد أشوربانبال فقط (٨) بل تم العثور على لوحات أخرى في المكتبة نفسها نسخت في عهود سابقة تحمل هذا اللون من التعقيبة ، وتؤكد مكتشفات «أوكَريت» (٩) استعمال هذه الظاهرة في اللغات السامية الأخرى حيث إن اللغة الأوكاريتية تستعمل نوعًا من التعقيبة لا يختلف كثيراً عن تلكم التي يستعملها أهل بابل وأشور ، مما يدل على انتشار استعمال هذه التقنية في مخطوطات اللغات القديمة تلكم الوثائق التي اكتشفت في هيكل «بعل» بمدينة نفر (١٠) بالعراق حيث ظهرت عليها تعقيبات على غرار التعقيبات السالفة الذكر .

وقد لاحظ المختصون في علم المخطوطات الإغريقي أن النساخ اليونانيين في العصر القديم استعملوا تقنية مشابهة لتقنية الأشوريين لترتيب لفافات البردية الواحدة (١١) إن المتتبع لهذه الظاهرة في المخطوطات القديمة يلاحظ أن استعمالها ينتهي بانتهاء العصر القديم (١٢) حيث إنها

تختفي في العصر الوسيط ولم تعد إلى الظهور في مخطوطات الغرب إلا في القرون القليلة التي سبقت عصر النهضة الحديثة (١٣) . يلاحظ المختصون في الكوديكولوجيا الإغريقية مثلاً أن المخطوطات اليونانية الوسيطية كانت مرقمة ولم تعد إلى نظام التعقيبة إلا في عصر النهضة ، باستثناء الحالات الشاذة التي ترجع إلى ما قبل هذا العصر بقليل ، ويؤكد المختصون أن العودة إلى هذا النظام كان نتيجة الاحتكاك الذي تم بين اليونان والثقافة اللاتينية بحيث كان النساخ اللاتينيون ، في بداية العصر الوسيط ، يرقمون الملازم لترقيب المخطوطات برقم في ظهر آخر ورقة الملزمة أو في وجه أول ورقة منها . وفي أواسط هذا العصر أصبح يلاحظ في المخطوطات اللاتينية استعمال الحروف محل الأرقام ويسمى هذا الاستعمال بوضع العلامة . وبعد القرن العاشر الميلادي حيث بدأت أوربا تستيقظ من سباتها وتحتك بمختلف الحضارات والثقافات كالثقافة العربية مثلاً ، أصبح يلاحظ في مخطوطاتها استعمال التعقيبة وهي كتابة كلمة أو كلمتين من الملزمة التالية على ظهر آخر ورقة من الملزمة السابقة . فما هو إذن السبب الذي دفع النساخ اللاتينيين إلى الانتقال من الترقيم بالأرقام ثم بالحروف إلى الترقيم بالتعقيبة ؟ هل كان ذلك بمحض الصدفة أم حدث تأثر و تأثير بين هذه الشعوب ذات اللغة اللاتينية أو اللغات المتفرعة عنها وبين أجناس أخرى كانت تستعمل هذه التقنية ؟ إن الكوديكولوجيين الغربيين لم يدركوا العوامل التي دعت إلى التحول من نظام الترقيم والعلامة إلى نظام التعقيبة ، على كل الحال إن الشعوب الغربية أصبحت تستعمل هذه التقنية في مخطوطاتها في القرون الأخيرة من العصر الوسيط على غرار الشعوب السامية ، فإذا تم هذا عن طريق الصدفة فإنه يعد شيئًا ممكنًا عند علماء الأنثروبولوجيا الذين يعدون أن تشابه التقنيات لا يعني بالضرورة وجود علاقة بين المجموعات التي اهتدت إلى استعمالها ، فالطباعة بحروف متحركة (١٤) مثلاً هي تقنية قد ظهرت عند شعبين مختلفين هما الصين وكوريا من جهة و أوربا من جهة ثانية ، ولم يعثر الباحثون على أية دلائل تثبت وجود علاقة ما بين هذه الشعوب التي اهتدت بمحض الصدفة إلى هذه الظاهرة .

أما إذا كان اهتداء هذه الشعوب إلى استعمال هذه التقنية في المخطوطات الغربية ناتجًا عن التأثر والتأثير ، فما هي أقدم المخطوطات التي تحمل التعقيبة في مختلف اللغات الأوربية في آخر عصور العصر الوسيط ؟ بعبارة أخرى ما هي اللغة التي سبقت إلى استعمال هذه التقنية ثم تكون قد أثرت في اللغات الأخرى ؟ يجمع الباحثون على أن استعمال نظام التعقيبة في العالم اللاتيني بدأ منذ القرن الحادي عشر الميلادي - وما كان قبل ذلك يعد شاذًا - وكاد يكون عامًا في نهاية القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر حيث ظهرت الجامعة لأول مرة في البلاد الغربية ، يقول «دستري» (١٥) : إن التعقيبة ظهرت مع بداية جامعة باريز خصوصًا فيما كان يسمى بالمخطوطات الجامعية (١٦) . وتثبت الأبحاث الكوديكولوجية الأخيرة أن أولى الدول الغربية التي استعملت مبكرًا التعقيبة في ترتيب المخطوطات هي إسبانيا وإيطاليا ، ومنها انتقلت هذه التقنية إلى باقي اللغات الغربية (١٧) . يلاحظ في فرنسا أن أقدم المخطوطات الفرنسية التي استعمل فيها نظام التعقيبة تلكم التي نسخت في الجنوب الغربي الذي عرف نشاطًا ثقافيًا كبيرًا واتصالاً علميًا مهمًا مع مملكات الإسبان المسيحية في القرن الحادي عشر الميلادي ، ومن المحتمل أن يكون قد تمخض هذا التلاحم بين الجانبين عن تأثر الفرنسيين بطرق النساخة الإسبانية ، ولا شك أن هذه الطرق تحمل من بين ما تحمل نظام التعقيبة ، والسؤال المطروح الآن هو التالي : كيف اهتدى كل من إسبانيا وإيطاليا إلى نظام التعقيبة في المخطوطات في مدة مبكرة ؟ هل أثر أحدهما في الآخر أم أخذ الطرفان معًا من منبع ومصدر واحد ؟ (١٨) احتمال ظاهرة التأثير والتأثر احتمال مستبعد لتباعد البلدين جغرافيا وليس هناك ما يثبت وجود علاقة ثقافية ما بينهما على الرغم من كون اللغة الإسبانية واللغة الإيطالية لغتين لاتينيتين ، يحتمل إذن أن يكون البلدان قد نهلا من مصدر واحد . فما هو المصدر الذي من المحتمل أن يكون قد أثر في البلدين معًا من حيث طرق نساخة المخطوطات ؟

إن نظام التعقيبة الذي اختفى في مخطوطات اللغات العربية في القرون الأولى من العصر الوسيط قد ظل معمولاً به في بعض اللغات السامية وعلى الأخص منها اللغة العربية ، وإذا بحثنا في العلاقات بين كل من إسبانيا وإيطاليا وبين إحدى الشعوب السامية في هذه الفترات نجد أن للدولتين الأوربيتين معًا علاقات اجتماعية وثقافية

مع العرب منذ أواخر القرن الأول الهجري بالنسبة لإسبانيا ومنذ القرن الهجري الثاني بالنسبة لإيطاليا خاصة صقلية ، إنه لايخفى على أحد ذلكم التلاحم والتمازج اللذان سادا هذه الشعوب عدة قرون ، وذلكم النشاط الثقافي الكبير الذي اتسم به العقل العربي في كل من صقلية ومدن إسبانيا المسلمة ، خاصة في ميدان الترجمة التي لعبت دوراً أساسياً وفعّالاً في تطوير الحضارة الغربية ، ومن المحتمل جداً إذن أن تكون طرق نساخة المخطوطات العربية بما في ذلك نظام التعقيبة قد دخلت ميدان النساخة في البلدين المذكورين باعتبار العلاقات المتينة التي كانت تربط بينهما وبين العرب .

انطلاقاً من اعتقادنا بصحة هذا الاحتمال انبرينا للبحث في استعمال هذه التقنية في النساخة العربية ، وذلك بدراسة أقدم مابقي من مخطوطاتنا المحفوظة في مختلف الخزانات العالمية . يعتقد المختصون في هذا المجال أن التعقيبة لم تظهر في المخطوط العربي إلا بعد القرن الرابع الهجري وأن النساخ العرب المسلمين لم يستعملوا أية وسائل أخرى لترقيم المخطوط (١٩) ، فكيف يقبل عاقل هذا الرأي ؟ أيعقل أن ينسخ مخطوط بدون اللجوء إلى وسيلة من الوسائل لترتيب أوراقه تيسيراً على قارئه أو دارسه ؟ إن البحث عن المخطوطات القديمة ودراستها دراسة كوديكولوجية حديثة لمن شأنه أن يثبت عكس ما قاله بعض المختصين في شأن التعقيبة وترقيم المخطوطات بوجه عام . وقبل القيام بهذا العمل العلمي الذي يفتقر حتى الآن إلى كفاءات مادية وبشرية في العالم العربي ، نكتفي بالإشارة إلى مجموعة من المخطوطات القديمة التي ظهرت فيها التعقيبة قبل القرن الخامس بكثير. وقد فحصنا بعضها وثبت لدينا حسب تجربتنا المتواضعة أن التعقيبة أصيلة في المخطوط ولم تكن من إضافة ناسخ آخر كما قد يكون محتملاً بالنسبة لمخطوطات أخرى . قد وصل إلى علمنا أن الخزانة الظاهرية بدمشق تحتفظ بنسخة من ديوان الفرزدق بها تعقيبة وقد نسخت عام ٣٣١هـ أي في القرن الرابع الهجري ، وتضم الخزانة الوطنية الفرنسية بباريز نسخة من كتاب «المدخل الكبير في علم أحكام النجوم» لأبي معشر البلخي نسخها على المطرز عام ٣٢٥هـ وقد استعمل نظام التعقيبة لترتيب الكتاب (٢٠) .

وتحتفظ خزانة جستر بيتي (دبلن ، إيرلندة) بمخطوط بخط ابن البواب يحمل تعقيبة ، وقد نسخه عام ٣٩١ للهجرة (٢١) . إذا كانت هذه النماذج ترجع كلها إلى القرن الرابع الهجري فإن بعض ما بقي من مخطوطات القرن الثالث يحمل التعقيبة كذلك ، ككتاب تاريخ ملوك العرب لعبدالملك الأصمعي الذي نسخه ابن السكيت بخط يمينه في العاشر من شهر شوال عام ٢٤٣هـ (٢٢) ، وقد بدا لنا بعد الفحص الشديد أن اليد التي نسخت الكتاب هي التي وضعت التعقيبة بحيث يلاحظ تشابه تام بين الحروف . وقد يدل هذا على استعمال هذا النظام منذ البدايات الأولى للتأليف العربي ، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا ينبغي اعتبار هذه التقنية ظاهرة عامة في المخطوط العربي بحيث إن مجموعات أخرى من مخطوطات القرنين الثالث والرابع لا تحتوي على تعقيبة (٢٣) ، وقد يرجع السبب في ذلك إلى عدم استعمالها في جميع مراكز التنسيخ الشرقية أو لأنها ضاعت أثناء ترقيم المخطوطات وتفسيرها في فترات متعاقبة من التاريخ حيث كان مقص المسفر لا يعرف إلى الرحمة من سبيل ، ولا يعد هذا غريباً إذا تتبعنا دراسة هذه التقنية في المخطوطات العربية التي نسخت بعد القرن الخامس الهجري .

إن الوقوف على مجموعات خطية ترجع إلى القرنين الخامس والسادس الهجريين يؤكد ما قلناه بالنسبة لمخطوطات الفترات السابقة . بعضها يحمل تعقيبة بدون ترقيم ، وبعض آخر يحمل التعقيبة في بعض الأوراق أو في جزء من أجزاء المخطوط ، وصنف ثالث يستعمل التعقيبة حسب الكراريس بحيث لا تظهر التعقيبة إلا بعد إحصاء عشر ورقات ، وقد تظهر أحياناً فقط في ثلاث أو أربع ورقات في المخطوط كله ، وقد لا نجد لها أثراً في كثير من مخطوطات هذا العهد . وقد تكون عبارة عن حرف أو كلمة أو كلمتين أو عبارة ، وقد تكون حرفاً في الجزء الأول من المخطوط وكلمة في الجزء الآخر . ومن حيث شكل كتابتها فإنها تكون على العموم أفقية أو مائلة في أسفل الجهة اليسرى من الورقة أو في وسطها ، وقد تجيء أحياناً عمودية (٢٤) كما جاء في كتاب «شرح الألفات» لأبي بشار الأنباري وكتاب شرح منازل السائرين للكاشاني المحفوظ كلاهما بمكتبة برلين الوطنية بألمانيا (٢٥) ، إن الملاحظات التي نبديها بالنسبة لمخطوطات الفترة

السالفة الذكر قد نعثر عليها في مخطوطات العصور الإسلامية المتأخرة . فما هي إذن الأسباب التي يمكن أن تكون وراء هذه الاستعمالات المختلفة لهذا العنصر الصغير من عناصر علم صناعة المخطوط في المخطوطات العربية منذ بداية التأليف إلى عصر الطباعة ؟ (٦) ، إن المخطوطات التي ينعدم فيها الترقيم سواء بالتعقيبة أو بالأرقام أو بالعلامة أو تلكم التي ترقم بواسطة التعقيبة ولم يبق منها إلا الحرف الأول من الكلمة ، هي مخطوطات أعيد تجليدها وترميمها عبر القرون في غالب الظن ، فلا يمكن أن ينسخ مخطوط ويجلد دون أن يلتجئ الناسخ أو الصانع إلى نوع من أنواع الترقيم المذكورة ليمكن تتبع قراءة الكتاب ، كما لا يعقل أن تظهر التعقيبة كاملة في بعض الأوراق ولا يظهر منها إلا الحرف الأول في بعضها الآخر ، أما فيما يخص المخطوطات المرقمة بالتعقيبة في أشكال مختلفة فإن ذلك يرجع إلى اختلاف مراكز النسخ التي تمت فيها نساخة هذه المخطوطات على الرغم من تزامن النسخ، ولا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات بصفة نهائية إلا بالوقوف على مجموعات خطية متزامنة نسخت كل مجموعة منها في مركز معين . فتحديد الزمان والمكان هو الشرط الذي يمكننا من دراسة الاستعمالات المختلفة لهذه التقنية ، ولن يتأتى هذا بمجرد دراسة رصيد مكتبة واحدة أو مكتبتين لأن أرصدة مختلف المكتبات من المخطوطات العربية تتكون من مجموعات ذات مصادر مختلفة متعددة . وبالإضافة إلى ذلك فإن العديد منها يفتقر إلى ذكر مكان النسخ كما يحدث غالباً بالنسبة لاسم الناسخ وتاريخ النسخ ، إن تحديد أنماط التعقيبة في المخطوط العربي يدعو إلى وضع نوع من الفهارس أو الكشافات يسمى فهرس أو كشاف المخطوطات المنسوخة في المكان الواحد كما نصنع الآن في مختلف المكتبات والمراكز العلمية بالنسبة للمخطوطات المؤرخة التي وضعت لها فهارس خاصة ، إن هذه الكشافات هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن الكوديكولوجي أو المختص في علم المخطوطات من دراسة هذه التقنية وأنواع استعمالاتها في المخطوط العربي ، وبدونها قد يتعذر البحث في هذا المجال ، وما وقفنا عليه من مخطوطات عربية في مختلف الخزانات الدولية لا يكفي لاستخلاص نتائج نهائية تتعلق بنظام التعقيبة ، وإن احتمال ظهورها في المخطوطات العربية قبل غيرها من مخطوطات اللغات الغربية في القرون الأخيرة من العصر الوسيط يستوجب المزيد من البحث في المخطوطات العربية وفي مخطوطات إيطالية وإسبانية خاصة تلكم التي نسخت في شمال البلاد منذ القرن الرابع الهجري ، إن هذه المخطوطات تعد الجسور الثقافية التي أوصلت الثقافة إلى الغرب وإن دراستها تدعو إلى الإلمام بالباليوغرافيا خاصة الباليوغرافيا اللاتينية التي كتبت بها لغات الثقافة في أوربا في العصر الوسيط ، وهذا النوع من البحث المقارن حتى الآن عبارة عن محاولات فردية ، ولن يصل إلى النتائج المتوخاة إلا في إطار مؤسسات دولية على أن تقوم به جماعات من الباحثين يعرفون لغات الغرب القديمة ، وبما أن هذا النوع من المؤسسات غير موجود وأن الملمين باللغة اللاتينية من العرب المختصين في علم المخطوطات قليلون فإن دراسة التعقيبة تكاد تكون دراسة متعذرة في الوقت الراهن ، فليكن إذن هذا البحث المتواضع نداء إلى المختصين في هذا المجال لينهضوا بمثل هذه الأبحاث التي قطعت أشواطًا مهمة في الدراسات الكوديكولوجية الغربية .

الهوامش

(١) انظر بحثنا عن ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، العدد ٦٣ ، سنة ١٩٨٨م .

(٢) على الرغم مما قام به القدماء ، أمثال العراقي والنواوي وعياض وأبي الصلاح وابن جماعة والعلموي والخطيب البغدادي صاحب كتاب الجامع لأخلاق الراوي والسامع الذي لم يصل إلينا ، فإن هذه المسألة لا تزال بحاجة إلى معالجة المحدثين لها معالجة مخطوطية .

(٣) الكراسة في معظم المخطوطات هي عشر ورقات وقد تكون ثماني كما قد تكون إحدى عشرة ورقة فهل يرجع هذا الاختلاف إلى تعدد مراكز النساخة أو إلى أسباب أخرى لم يتم الكشف عنها حتى الآن .

(٤) يقال لها الرقاص أو الوصلة في الجامعات المغربية العتيقة كالقرويين وأبي يوسف .

(٥) خاصة البحث الذي قام به الأستاذ «فيزان» حول التعقيبة في موضوع : «بعض الملاحظات حول ظاهرة التعقيبة» (بالفرنسية) .

(٦) معظم هذه اللوحات محفوظ بمكتبة المتحف البريطاني بلندن . إن الملك الذي جلس على عرش آشور بين ٦٦٨ و ٦٢٦ ق . م قد جمع في قصره مكتبة كانت تضم وثائق جد مهمة تتعلق بملكه وملك من سبقه من الملوك كما كانت تضم نسخًا من أهم النصوص المتعلقة بآداب البابليين القديمة .

(٧) أطلق كل من الألمان والإنجليز على هذا اللون من التعقيبة كلمتي

Frangzeil et Catchline ولم يقتصر الأشوريون على استعمال التعقيبة في ترقيم اللوحات واللفائف فقط بل استعملوا الترقيم بالأرقام كذلك .

(٨) ربما استعمل الحيثيون هذه الظاهرة قبل الأشوريين . فقد تبين بعد اكتشاف المكتبة الرسمية الحيثية بعاصمتهم (حتوساس Hahusas) أنه إذا كان النص في أحد الرقم (كتب أو لوحات) يكتمل في رقم آخر يبدأ بالجملة الأخيرة الواردة في الرقم السابق . انظر «تاريخ الكتاب» تأليف : د أ لكسندر ستيبتشفيتشن ترجمة محمد الأرناؤوط : القسم الأول ص٢٤ عالم المعرفة ١٩٩٣م .

(٩) نسبة إلى (أوغريت) وهي أطلال مدينة اكتشفت في رأس الشمرة بالجنوب الغربي لمدينة حلب بسوريا عام ١٩٣٠م . يبدو أنها كانت مزدهرة في الألف الثاني ق م . والمكتشفات عبارة عن لوحات طينية مكتوبة بالكتابة المسمارية باستثناء بعض الوثائق القليلة . ومعظم نصوصها مكتوب في لغة سامية يعتقد البعض أنها إحدى اللهجات الكنعانية القديمة بينما يعدها البعض الآخر لغة سامية غريبة إلى جانب الكنعانية والآرامية .

(١٠) نفر هي مدينة نيبور (Nippour) عاصمة السومريين الدينية في نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد ، وكتابة اللوحات المكتشفة كتابة مسمارية .

(١١) اكتشفت بعض البرديات تحمل قسمًا من إلياذة هوميروس فيها شيء يشبه التعقيبة .

(١٢) استمر استعمال التعقيبة عند البابليين والفرس إلى نهاية الألف الأول قبل الميلاد ، ومع بداية العصر الوسيط يلاحظ فقط استعمال العلامة وهي الترقيم بالحروف لترتيب الملازم .

(١٣) انظر فيزان (Vezin) : بعض الملاحظات حول ظاهرة التعقيبة .

(١٤) في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريز اكتشف في السبعينات من هذا القرن كتاب مطبوع في مطبعة القصر الملكي بكوريا بطريقة حديثة عام ١٣٧٩م . وقد صنف خطأ مع المخطوطات وربما يرجع السبب في ذلك إلى شدة التشابه الموجود بين المخطوطات والمطبوعات الاستهلالية . (Inaunables) .

(١٥) انظر أدستري : التنسيخ الجماعي في المخطوطات الجامعية في القرن الثالث والرابع عشر الميلادي ، باريز ١٩٣٥م .

Destrez : laplcia dans les manuscrits universitaires dans lexiiiet XIV siecle . paris 1935 .

(١٦) المخطوطات الجامعية هي تلكم المؤلفات التي تحتوي على إحدى المواد الأربع الأساسية المدرسة في جامعة باريز آنذاك وهي الفنون الحرة ، اللاهوت ، والقانون ، والطب .

(١٧) يثبت أحد الفيلولوجيين المحدثين بيشوف (Bischoff) أن استعمال التعقيبة انتقل إلى ألمانيا عن طريق إيطاليا في القرن الثاني عشر .

(١٨) بعض المخطوطات اللاتينية المنسوخة في إسبانيا في القرن العاشر والمحفوظة في الخزانة الوطنية بباريز بقسم المخطوطات الغربية تؤكد على أن التعقيبة كانت مستعملة في إسبانيا منذ القرن العاشر .

(١٩) يقول الحلوجي : «ولم تكن أوراق المخطوط العربي في أول عهدها تخضع لأي نوع من الترقيم ...» إلى أن قال : «ويبدو أن تلك التعقيبات لم تظهر إلا بعد القرن الرابع الهجري لأننا لا نجد لها أثرا في أي مخطوط من مخطوطات القرنين الثالث والرابع التي تحت أيدينا بما في ذلك المصاحف ، ومن يدري ؟ فلعل المستقبل يأتينا بجديد في هذا الموضوع» انظر : المخطوط العربي . ص١٦٧ الطبعة الثانية .

(٢٠) محفوظ بقسم المخطوطات الشرقية بالخزانة الوطنية الفرنسية بباريز تحت رقم 5902 Fol IV .

(٢١) انظر فهرست هذه الخزانة الذي وضعه المستشرق الإنجليزي ربري .

ARBERRY (A) ; The chester Beatty Library . Dublin . 1955 - 64 .

(٢٢) محفوظ بالخزانة الوطنية الفرنسية تحت رقم 6726 Fol 2v يظهر ومن أول وهلة ، أن التعقيبة من مداد وخط المخطوط نفسه .

(٢٣) انظر كوركيس عواد : أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة ٥٠٠هـ العراق ١٩٨٢م ، وقد أحصى فيه المؤلف ٧١٧ مخطوطًا ، غير أنه لم يقف على كل ما بقي من مخطوطات هذه الفترة كغريب الحديث لأبي عبيدة القاسم بن سلام المحفوظ بخزانة جامعة ليدن بهولندة والذي نسخ حسب الكولوفون (Colophon) في شهر ذي القعدة من عام ٢٥٢هـ الموافق لشهر ديسمبر عام ٨٦٦هـ . وهو بهذا التاريخ يعد أقدم مخطوط عربي مكتوب على الورق معروف حتى الآن ، ولا يحمل تعقيبة .

(٢٤) أخبرني بعض العبرانيين العاملين بالمركز الوطني للبحث العلمي بباريز أن التعقيبات العمودية قد ظهرت في المخطوط العبري منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، وخاصة عند النساخ الأشكيناز .

(٢٥) وقفنا على المخطوطين معًا في هذه الخزانة العظيمة . انظر فهرستها الذي صنفه المستشرق الألماني الورد (Ahlward) عام ٨٧ / ١٩٨٩م في عشرة مجلدات تضم آلاف المخطوطات العربية .

(٢٦) نلاحظ استعمال التعقيبة في المطبوعات الحجرية الأولى ، وقد استعملها الغربيون في المطبوعات منذ القرن الخامس عشر حتى الثامن عشر الميلادي ، وبعد هذه الفترة قد حلت محلها العلامة (Signature) أي رقم أو حرف في أسفل الورقة أو الملزمة .

المؤلِّفاتُ مِنَ النِّساءِ وَ مؤلَّفاتُهُنَّ
في التاريخ الإسلامي

محمد خير رمضان يوسف

مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض

مقدمة

كان المخطط لهذا البحث أن يكون طويلاً متشعبًا ؛ ثم أخذ يتقلّص شيئًا فشيئًا ، إلى أن وصل إلى حجمه الحالي ، لكنه طرح سؤالاً كبيراً لم يكن في الحسبان !!

إن هذا البحث ليس من قبيل «الترف الفكري» ، كما أنه ليس من الأهمية الكبرى إعداد وترتيب هذه التراجم ، وبيان بعض المؤلّفات ؛ بل تبقى الأهمية للسؤال المطروح أثناء هذه المقدمة !

ولا ريب أن المكتبة الإسلامية على مدى التاريخ الإسلامي حفلت بكتب كثيرة في شتى فنون العلم ، وهي تحكي قصة العلماء الذين ملأوا أرض الإسلام بتخصصاتهم المختلفة ، وتنقل أخبارهم وأعمالهم وجهودهم العظيمة ، وتورد مؤلفاتهم ، وتذكر شيوخهم وتلامذتهم ، وتبين المدارس التي درّسوا فيها ، والحضارة التي أقاموها وحافظوا على قوتها حتى قدّر لها أن تخور أو تبور !

على مدى هذا التاريخ شاركت المرأة المسلمة في الحياة العلمية .

فقد عرف التاريخ منهن قارئات ، ومحدِّثات ، وفقيهات ، وأديبات ، وشاعرات ، ونحويات ، وناسخات ، وخطاطات .

ولكن هل عرف من بينهن مصنِّفات ومؤلِّفات ؟ !

لقد حدا بي هذا السؤال إلى البحث في بعض الكتب الموسوعية للتراجم ، لأتلمّس الطريق إلى الجواب ، ومن ثم البحث والتنقيب .

حدود البحث

وقبل أن أتوجه إليها ، وضعت «حدوداً» للبحث ، ليكون الطريق «سالكًا» ولكي لا تأخذني التفريعات الجانبية إلى جوانب أخرى من البحث .

أ - فالزمن المحدود له من بداية عصر التأليف حتى ١٢٠٠هـ .

ب - أن يكون المؤلَّف بالعربية .

ج - والمقصود بالتأليف ما استُهدف جمعُ موضوعاته وضمها بين غلافين ، أو أن يقوم راوٍ أو كاتب بجمعها وينسبها لأصحابها .

ولم أعدّ من عُرِف عنها قولُ الشعر أو نظم بعض القصائد كونها مؤلِّفة دون أن تستهدف ذلك ؛ فإن جمعته فقد استهدفت ، كما فعلت فاطمة بنت القاضي كمال الدين التي جمعت شعرها وبعض مجموعاتها في كراريس في حياتها .

والخنساء - رضي الله عنها - لها ديوان شعر ، ونساء غيرها ، لكن لم يكن عملهن داخلاً في هذا البحث .

وسواء رضي بعض الباحثين بهذا «الحد» أو لم يرض فإن هناك من جمع أخبار الشاعرات ، أو شعر النساء ،

في مصنفات ، منها :

- نزهة الجلساء في أشعار النساء : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ؛ دراسة وتحقيق وتعليق عبداللطيف عاشور . - القاهرة : مكتبة القرآن ، ١٤٠٦هـ .
- الشاعرات من النساء : أعلام وطرائف : سليم التنير . - دمشق : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٨هـ .
- معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام . إعداد عبده مهنا . - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ .

وغيرها ..

د - وهذا بخلاف (المشيخات) التي اعتبرتها «تأليفًا» .

فالمشيخات من معنى المعاجم ، إلا أن المعاجم يُرَتَّب المشايخ فيها على حروف المعجم بعينها في أسمائهم ، بخلاف المشيخات ، كما قاله الحافظ ابن حجر (١) .

ونقل الكتاني قول صديقه الشيخ أحمد أبي الخير المكي في تعليقه على «الأمم» :

المشيخة بفتح الميم وكسرها ، وفتح التحتية وضمها ، وأيضًا بفتح الميم وكسر الشين المعجمة - أي وإسكان الياء - : جمع شيخ ، بالفتح . وهو لغةً من استبان فيه السن . ويطلق الشيخ مجازًا على المعلم والأستاذ لكبره وعظمه ، وجمعه شيوخ . ثم استعملت المشيخة علَمًا على الكراريس التي يجمع الإنسان فيها شيوخه ؛ وهو اصطلاح قديم (٢) .

ثم قال الكتاني بعد أن سرد مجموعة من مشيخات الرجال والنساء : «واعلم أن المشيخات كثير عددها لا يُحصى عدُّها . وإنما اقتصرت على هذا المقدار للاختصار» (٣) .

قلت : وهذا قد يحتاج إلى كتاب ، ولا يكفيه بحث (٤) .

جولة إحصائية بين كتب التراجم

ثم توجهت إلى بعض مصادر التراجم ..

فتناولت «الأعلام» للزركلي أتصفحه وأطّلع على ترجمات النساء فيه ، لأخرج بنتيجة أن المؤلِّفات من بينهن عشر نساء فقط ، بينهن «شهدة الدينورية» لم يذكر أن لها مشيخة .

ثم اتجهت إلى «**هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنِّفين**» لإسماعيل الباباني - الذي يعرف الباحثون مدى أهميته - فلم أجد فيه سوى اسمي مؤلفتين ، هما : زيب النساء الهندية - ابنة الشاه محي الدين أورنك زيب عالمكير - صاحبة «زيب التفاسير» ، والثانية هي «عائشة الباعونية» التي اشتهرت بمؤلفاتها من بين كل النساء .

وكتاب «**تاج التراجم**» المخصص لترجمة مَنْ صنَّف من الحنفية لم أظفر بترجمة امرأة واحدة فيه .

وكذلك الأمر بالنسبة لكتاب «**لطف السمر وقطف الثمر**» للغزي ؛ ليس من بين من ترجم لهن مؤلِّفات .

وفي كتاب «**معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**» لعادل نويهض ، الذي ضُمَّت محتوياته في مجلدين ضخمين ، لم أر فيه سوى ذكر امرأة واحدة فسَّرت القرآن الكريم ، وهي التي أوردها الباباني في «**هدية العارفين**» .

ثم أحببت أن أختصر الطريق ، فأتصفَّح كتاب «**أعلام النساء**» لعمر رضا كحالة ، الذي حوى ترجمة ما يقرب من ألفي امرأة ، ولكن لم أظفر من بينهن سوى على عشر أشار إلى أنهن مؤلفات !!

والسؤال المطروح هو : هل حقًا لا توجد مؤلِّفات في التاريخ الإسلامي إلا بهذا المقدار - حسب الشروط أو الحدود التي ذكرتها - أو أضعافهن إذا استُدرك على هذا البحث ؟!

أليس من الغرابة بمكان أن لا يُحَصَّل بين هذه التراجم الهائلة إلا على هذا العدد المحدود من المؤلِّفات ؟

وما هو السبب ياترى ؟!

أسباب قلة التأليف عند المرأة

ليس الأمر كما يبدو للذهن لأول وهلة أن السبب هو أن فرص التعليم كانت متوافرة للرجل أكثر من المرأة ، لكنني أرجع سبب ذلك إلى ثلاثة عوامل رئيسة :

١ - عدم تفرغ المرأة للتأليف ، بسبب طبيعة عملها في شئون البيت الكثيرة ، بالإضافة إلى أيام الحمل ، ثم الولادة ، ثم العناية بالأولاد ، وتربيتهم ... إلخ .

والتأليف يحتاج إلى هدوء ، وصفاء ذهن ، وإلى تفرُّغ نوعًا ما ، وهذا ما تفتقده المرأة المشرفة على المنزل في أكثر الأحيان .

وبالمقارنة بين عدد «المؤلفين» وعدد «المؤلِّفات» في حياتنا المعاصرة ، تتبين وجهة النظر الصائبة - إن شاء الله - ولا يعدم المرء أن يلاحظ هذا الفرق البارز بزيارة

إلى أية مكتبة ، أو معرض للكتاب ، ليرى بنفسه عدد الكتب التي تحمل أسماء المؤلفين ، وعدد التي تحمل أسماء المؤلِّفات !

٢ – رغبة المرأة في السماع والكلام أكثر من الاتجاه إلى التأليف .

ولذلك يلاحظ بروز مواهب المرأة في الشعر والأدب واللغة وفي العلوم الإنسانية والوجدانيات أكثر من بقية التخصصات ..

ولو تجوَّل القارئ بين كتب تراجم الرواة من المحدِّثين ، لرأى كمًا هائلاً من أسماء النساء يملأ جوانب هذه الكتب ، منهن شيخات على مستوى عالٍ من العلم والحفظ ، وقد أجزن شيوخًا كبارًا ، أمثال الإمام الذهبي ، وابن حجر العسقلاني ، والحافظ السخاوي ... وغيرهم كثير .

ولو ضربنا مثالاً أقرب لكان أوضح ، ففي «أعلام النساء» لكحالة ، الذي جمع فيه تراجم نساء كثيرات من العصور القديمة حتى العصر الحاضر في خمسة مجلدات ، أكثر النساء منهن محدِّثات !!

والحديث مبناه على السماع والرواية ، ولا تشترط فيه الكتابة !

٣ – إهمال كثير من الكُتّاب والمؤرخين تراجم النساء !

وقد تكون أكثر الأسباب في هذا الأمر هو عدم إلمام الكاتب بالجوانب الكافية لترجمة المرأة التي يكون مبناها على الستر والتعفف ، ولعدم التمكن من الحصول عليها غالبًا ، خشية أن يصطدم بما لا يرغب من القول ، ولا تخفى صعوبة الاستفسار عن أحوال المرأة سواء أكانت بنتًا ، أم زوجة .

هذا وسوف ترد ترجمات نساء في هذا البحث ذكر أن لهن مصنَّفات ولم يوردها أحد ، ولم أتمكن من معرفتها ، على الرغم مما قيل من أنها كانت منتشرة بين العلماء ! فما هو السبب يا ترى ؟

لا شك أن في الأمر إهمالاً وعدم تقصٍّ .

وقد يستغرب القارئ إذا قلت إن ابن الجزري المقرئ (ت ٨٣٣هـ) صاحب كتاب «**غاية النهاية في طبقات القراء**» الذي أتى فيه – كما ذكر في مقدمته – على جميع ما في كتابي الحافظين أبي عمرو الداني وأبي عبدالله الذهبي ، وزاد عليهما نحو الضعف ، وبلغ عدد من ترجم له (٣٩٥٥) قارئًا .. لم يرد فيه من النساء سوى :

– سلمى بنت محمد بن محمد الجزري . وهي ابنة صاحب الكتاب .

– ميمونة بنت أبي جعفر يزيد . ووالدها أحد القراء العشرة .

– هُجيمة بنت حيي الأوصابية التابعية «أم الدرداء الصغرى» زوجة الصحابي الجليل أبي الدرداء – رضي الله عنه – .

وربما لم يُعر أحد الاهتمام بترجمة ابنته لو لم يفعل هو ذلك ! إذ إن هناك قارئات وحافظات للقرآن الكريم لم يورد أسماءهن ، مثل :

– بنانة بنت أبي يزيد بن عاصم الأزدي (ت ٦٨هـ) التي قتلتها الخوارج .

– بيرم بنت أحمد بن محمد المالكية ، التي كانت تتلو القرآن الكريم بالروايات السبع .

– حفصة بنت سيرين ، التي يكفي أن أخاها محمدًا إذا أشكل عليه شيء من القرآن كان يقول : «اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ» .

وغيرهن كثير .

وفي كتاب «**الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية**» الذي بلغ من ترجم له (٢١١٥) ترجمة ، بينهم خمس نساء فقط ! (٥) .

لكن قلَّ أن يوجد أمثال الحافظين ابن حجر العسقلاني وتلميذه السخاوي ، اللذين أبدعا في ذكر تراجم القرن الثامن ، والقرن التاسع .. وقد وزع ابن حجر تراجم النساء بين عموم التراجم في «الدرر الكامنة» ، وخصص السخاوي مجلدًا كاملاً للنساء في «الضوء اللامع» .

وقد يكون في ذكر هذه الأسباب – جوابًا على السؤال السابق – مما يكون مدخلاً أو تمهيدًا لدراسة متخصصة ومتعمقة ، وبحث أشمل ، لمن أراد .

الفرق بين الكاتبة والمؤلفة

ليس من الضرورة أن تكون كل كاتبة مؤلِّفة ، ولا علاقة عكسية بين المصطلحين . إنما لفظ «**الكاتب**» أو «**الكاتبة**» مصطلح حديث يطلق على المؤلف أو المؤلفة ، ولم يكن هذا المصطلح مستخدمًا في العصور الإسلامية للدلالة على ما ذكر .

وقد وقع في هذا الإشكال بعض الكتّاب المعاصرين ، وسأذكر أمثلة على ذلك . والذي استنتجته أن لفظ «الكاتبة» سابقًا كان يطلق على :

أ - التي تعرف أن تكتب ، أو أنها تحسن الكتابة مع جودة الخط .

ب - التي تعمل في وظائف حكومية ، سواء عند السلطان أو الوالي ، أو في قصور حريم الخلفاء والأمراء .

ج - التي تنسخ الكتب .

ومما يوهم بأن بعضهن مؤلّفات ما ذكره كحالة في «أعلام النساء» (٦) أن **العبادية** (جارية المعتضد عبّاد) كانت «كاتبة مجيدة» وذكر مصدره «نفح الطيب» . وبالرجوع إلى المصدر المذكور (٢٨٣/٤) ذكر المَقّري أنها كانت أديبة ، ظريفة ، كاتبة ، شاعرة ، ذاكرة لكثير من اللغة ، ثم أورد حكاية لها مع اللغويين تتبيّن من خلالها معرفتها القوية باللغة .. ولم يزد على ذلك !

ويقاس على ما سبق قول كحالة في «**أم هانئ بنت علي الهَرَويني**» (هكذا) ، التي ترجم لها مرتين : مرة باسمها «مريم بنت علي بن عبدالرحمن الهورينية» (٤١/٥) ومرة بكنيتها السابقة (٢٠٣/٥) ، قال في الترجمة الأخيرة: «كاتبة فاضلة» . وقد عزا ترجمتها إلى «بغية الوعاة» للسيوطي ، وهي ليست هناك ، فهي ليست نحوية ! إنما الذي ورد في ترجمتها في «الضوء اللامع» للسخاوي قوله : «فصيحة العبارة ، مجيدة للكتابة» (٧) . مما يفهم منه أنها كانت تجيد الكتابة ، بمعنى أنها تحسنها . وهذا ما ينبغي أن نفهم منه إذا قرأنا أن فلانة كانت تكتب ، أو أنها كانت كاتبة .

وربما عرف الآن سبب تقلُّصِ البحث إلى هذا الحجم ، بعد أن كان مخططًا له أن يكون أطول !

* * *

ومما يوهم بأن بعضهن مؤلّفات قول كحالة في **العروضية مولاة أبي المطرف عبدالرحمن بن غلبون** الكاتب (توفيت في حدود ٤٥٠هـ) ، أنها حفظت الكامل للمبرد ، والنوادر للقالي ، وشرحتهما (٨) .

فهذا يعني أن لها شرحًا عليهما .

وبالرجوع إلى المصدر (٩) ذكر ما يلي : «كانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة ، لكنها فاقته في ذلك ، وبرعت في العروض ، وكانت تحفظ الكامل للمبرد ، والنوادر للقالي ، وتشرحهما» .

وعندما ترجم لها السيوطي (١٠) قال : «كانت تحفظ الكامل للمبرد ، والنوادر للقالي وشَرْحَهُما» .

ويفهم من هذا أنها لم تصنِّف كتبًا تشرح فيهما الكامل والنوادر ، بل كانت عارفة بمحتوى الكتابين ، فاهمة لمضمونهما ، تشرحهما وتعلق على ما غمض منهما ، أو أنها تحفظ - أيضًا - شروحًا عليهما (١١) .

كما استغربت عندما رأيت في ترجمة «**أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبدالحق بن عطية**» (١٢) أن «لها تأليفًا في القبور» !

وورد في ترجمتها أنها «كانت حاضرة النادرة ، سريعة التمثل ، من أهل العلم والفهم والعقل ... ولما ولي أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجدًا لمفارقة وطنه ، فأنشدته متمثلة :

يا عين صار الدمع عندكِ عادةً
تبكين في فرحٍ وفي أحزانِ»

وقد يستبعد أن يكون لها فعلاً كتاب في القبور . وماذا عسى أن يكون موضوعه ؟ ، وإلا فإن الأمر يحتاج إلى مزيد بيان .. إلا إذا فسِّر بأنها كانت تألَف القبور ، بمعنى أنها تزورها وتعتاد ذلك ، حتى ألِفَتها .. أو أن الكلمة محرفة !

موضوعات المؤلفات

يعرف من سرد مؤلّفات النساء في هذا البحث أن موضوعاتها انحصرت في : **الحديث الشريف** - وهي الأكثر - ، **والتاريخ ، والفقه ، والتصوف ، والأذكار** .

ولا شك أن بعضها طبعت ، مثل بعض كتب «عائشة الباعونية» ، و«دهماء المرتضى» . لكن لم أتمكن سوى من توثيق كتب قليلة في هذه القائمة .

توصية

وأقدم في ختام هذه المقدمة - بدل ختام البحث - توصية **بالاهتمام الجاد بمؤلفات النساء في التاريخ الإسلامي** ، والبحث عنها ، وتقديمها إلى الطبع - بعد تحقيقها - لتكون شاهدًا على مشاركة المرأة

في الحياة العلمية – بالإضافة إلى مشاركاتها العلمية الأخرى – وبالنسبة إلى أهميتها أيضًا ..
وقد تتحفز لذلك جمعية خيرية للنساء انتصاراً لنوعهن أو تهتم به كاتبة قديرة مثلما ذكرت أسباب عملها زينب بنت يوسف فواز ، عندما أقدمت على تصنيف كتابها «الدر المنثور في طبقات ربَّات الخدور» الذي صدر منذ قرن من الزمان . والله المعين .

المؤلفاتُ .. ومؤلفاتهنَّ

أسماء بنت عبدالله بن محمد المهراني

ترجمتها :

كنيتها أم الحسن . وهي ابنة الجمال المهراني الدمشقي الحنفي ، الكاتبة .

أسمعت في سنة ٧٩٤هـ على الكمال محمد بن محمد ابن نصر الله بن النحاس ، والشهاب أحمد بن عبدالغالب ابن محمد الماكسيني رواية الآباء عن الأبناء ، وأجاز لها في استدعاء مؤرَّخ بذي القعدة سنة ٧٨٩هـ ستةٌ وعشرون شيخًا ، منهم رسلان الذهبي ، وأبو بكر بن محمد المزي ومحمد بن أحمد بن عبدالرحمن ابن خطيب المزة ، ومحمد ابن محمد بن داود بن حمزة ، ومحمد بن محمد بن عبدالله ابن عمر بن عوض .

وكانت صالحة خيرة كاتبة ، انفردت بجماعة ، وماتت في صفر سنة ٨٦٧هـ بدمشق .

مؤلفاتها :

قال الإمام السخاوي في الضوء اللامع : «خرَّج لها الشهاب بن اللبودي مشيخةً ماتت قبل إكمالها ، والخيضري ، عن ثمانية عشر من شيوخها ثلاثين حديثًا . وحدَّثت بها برواية الآباء غير مرة . لقيتُها بدمشق فقرأتُ عليها بعضه» .

كما ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن لها مشيخة ، تخريج القطب محمد بن محمد الخيضري ، به إلى الشمس ابن طولون ، عن يوسف بن حسن بن عبدالهادي ، عن المخرجة لها (١٣) .

أمَة اللطيف بنت الناصح بن الحنبلي

ترجمتها :

فقيهة عالمة من أهل دمشق .

كانت في خدمة ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين . وهي التي أرشدتها إلى وقف المدرسة بسفح قاسيون على الحنابلة . فبنتها ، ووقفتها على أبيها الناصح والحنابلة .

وكان أبوها فقيهًا واعظًا ، رحل إلى بغداد وأصبهان والموصل وبلاد كثيرة لأخذ العلم . وحضر فتح بيت المقدس مع السلطان صلاح الدين . وانتهت إليه رئاسة المذهب الحنبلي بعد الشيخ موفق الدين بن قدامة .

وقد أحبت «ربيعة خاتون» ابنته الشيخة الصالحة «أمَة اللطيف» . وكانت تسمع لنصائحها وإرشاداتها . وقد حصل لها من جهتها أموال عظيمة ، فأوقفت هي الأخرى مدرسة على الحنابلة .

ثم لما ماتت الخاتون وقعت العالمة بالمصادرات ، وحبست مدة ، ثم أفرج عنها . وتزوجها الأشرف صاحب حمص ، ثم توفيت سنة ٦٥٣هـ .

مؤلفاتها :

ذكر ابن كثير في تاريخه أن «**لها تصانيف**» .
ونقل صاحب الأعلام عن مؤلف مرآة الزمان (٧٥٦/٨) قوله : «**لها تصانيف ومجموعات**» .
وفي معجم المؤلفين لكحالة لم يزد على قوله – كذلك – على أن لها تصانيف ومجموعات . ولم يورد أحد منهم عناوين هذه المؤلفات (١٤) .

أَمَة الله بنت عبدالرحمن القرشي

كنيتها أم محمد .

ذكر الكتاني أن لها مشيخة .. عن عبدالله بن عمر الحلاوي ، عن محمد بن غالي الدمياطي ، عنها (١٥) .

بِيبَى بنت عبدالصمد الهروية

ترجمتها :

الشيخة المعمَّرة المسندة . أم الفضل ، وأم عزّي .

روت عن عبدالرحمن بن أحمد بن أبي شريح (ت ٣٩٢هـ) - صاحب البغوي وابن صاعد - جزءًا عاليًا اشتُهر بها .

حدث عنها محمد بن طاهر ، ووجيه الشحامي ، وأبو الفتح محمد بن عبدالله الشيرازي ، وعبدالجبار بن أبي سعد الدهان ، وأبو الوقت بن الأول السجزي ، وخلق آخرُهم موتًا عبدالجليل بن أبي سعد المعدل ، الذي لحقه عبدالقادر الرهاوي الحافظ .

وقد روى أبو علي الحداد في «معجمه» عن ثابت بن طاهر ، عنها .

قال أبو سعد السمعاني : هي من قرية «بخشة» على بريد من هراة . صالحة عفيفة ، عندها جزء من حديث ابن أبي شريح ، تفردت به ، سمعه منها عالَم لا يحصون .

ولدت في حدود ٣٨٠هـ .

قال الإمام الذهبي : عاشت إلى سنة ٤٧٧هـ ، وماتت في عشر المائة .

مؤلفاتها :

هي صاحبة الجزء المشهور باسمها كما مر، وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، وصدر حديثًا بعنوان : **«جزء بيبى بنت عبدالصمد الهروية الهرثمية عن أبي شريح عن شيوخه»** ؛ حققه وخرَّج أحاديثه عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي . - الكويت : دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ ، ٩٩ص (١٦) .

حسنة بنت محمد الطبري

ترجمتها :

وتدعى «ست الأهل» . وأمها : أم هانئ بنت أبي العباس بن عبدالمعطي .

تزوجها عبدالملك بن محمد بن عبدالملك المرجاني ، ثم حسن المعروف بغياث الصغير . وكانت ديِّنة خيِّرة . وربما اعتراها حال يقلُّ فيها ضبطها .

سمعت من والدها ، وأجاز لها في سنة (٧٧٠هـ) فما بعدها : الصلاح بن أبي عمر ، وابن أميلة ، وطائفة .

ماتت سنة (٨٠٨هـ) أو سنة (٨٠٥هـ) بمكة المكرمة ، ودفنت بالمعلاة .

وقد ورد اسمها «حبيبة» أيضًا في الضوء اللامع (١٧) إلا أن السخاوي نبه إلى أنه رأى هذا الاسم بخطه في موضع آخر ، وهو غلط . وأحال إلى اسم «حسنة» عندما مرَّ به لقب «ست الأهل» .

مؤلفاتها :

ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن لها مشيخة ، تخريج الفَرَس خليل بن أحمد الأقفهسي ، به إلى الحافظ ، عنها (١٨) .

دهماء بنت يحيى بن المرتضى

ترجمتها :

هي أخت الإمام أحمد بن يحيى .

عالمة فاضلة . أخذت العلم عن أخيها - الذي يعدُّ من أئمة الزيدية - ، قرأت عليه هي والإمام مطهر .

ودرست الطلبة بمدينة «ثلا» . وتزوجها السيد محمد ابن أبي الفضائل . ولها شعر ، منه في مدح كتاب أخيها «الأزهار» :

يا كتابًا فيه شفاء النفوس
أنتجته أفكار من في الحبوس (١٩)
أنت للعلم في الحقيقة نور
وضياء وبهجة كالشموس

وفاتها في سنة ٨٣٧هـ بثلا .

مؤلفاتها :

لها مصنفات أوردها الإمام الشوكاني في البدر الطالع ، وهي :

- **شرح الأزهار في فقه الأئمة الأخيار .**

و«الأزهار ...» هو لأخيها أحمد (ت ٨٤٠هـ) كما مر.

وقد أورد الزركلي شرحه «الغيث المدرار» في ترجمته ؛ فإما أن تكون أخته شرحته شرحًا آخر ، أو أنه هو .

ومتن الأزهار صغير ، فقد أصدرته مكتبة المؤيد بالطائف عام ١٣٧٦هـ في ١٤١ص بالحجم الوسط .

كما شرحه الإمام الشوكاني بعنوان «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» ، وقد صدر عن دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٠٥هـ ، كما صدر الشرح نفسه في القاهرة عن لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٣٩٠هـ .

– شرح منظومة الكوفي ، في الفقه والفرائض .

– شرح مختصر المنتهى (٢٠) .

زيب النساء بنت عالمگير

ترجمتها :

هي زيب النساء الهندية بيكم (يعني خاتون) ابنة الشاه محي الدين أورنك زيب عالمگير .

والدها من الملوك ، وسلالة التيمورية ، وهو سادس أباطرة المغول في الهند (١٦٥٨ – ١٧٠٧م) .

وهي أديبة شاعرة ، ولدت سنة ١٠٤٨هـ ، وتوفيت سنة ١١١٣هـ .

مؤلفاتها :

ذكر البابانى في هدية العارفين أن لها من التصانيف ديوان شعرها بالفارسية ، و«زيب التفاسير» في تفسير القرآن الكريم (٢١) .

ولا يبدو أن تفسيرها هذا بالفارسية مثل ديوان شعرها ، ولم أتمكن من التحقق في الأمر (٢١) .

زينب بنت أحمد بن عبدالرحيم المقدسية

ترجمتها :

تعرف ببنت الكمال .

ولدت سنة ٦٤٦هـ ، وأحضرت على حبيبة بنت أبي عمر ، وسمعت من محمد بن عبدالهادي ، وإبراهيم بن خليل ، وأبي الفهم اليلداني ، وأحمد بن عبدالدائم في آخرين .

وأجاز لها إبراهيم بن محمود بن الخير ، وأبو النصر ابن العليق ، وعجيبة ، وابن السيدي وغيرهم من بغداد . وعبدالخالق النشتيري (أو التستري) من ماردين ، ويوسف ابن خليل من حلب ، وعيسى بن سلامة من حران ، وسبط السلفي من الإسكندرية ، والزكي المنذري من القاهرة ، والرشيد بن مسلم من الشام ، وأبو علي البكري ، وآخرون .

قال الذهبي : تفرّدت بقدر وقر بعير من الأجزاء بالإجازة . وكانت ديِّنة خيِّرة . روت الكثير ، وتزاحم عليها الطلبة ، وقرأوا عليها الكتب الكبار . وكانت لطيفة الأخلاق طويلة الروح ، ربما سمعوا عليها أكثر النهار . قال : وكانت قانعة متعففة ، كريمة النفس ، طيبة الخلق . وأصيبت عينها برمد في صغرها . ولم تتزوج قط .

وممن سمع عليها محمد الواني جزءاً من صحيح مسلم . وسمع عنها الرحالة ابن بطوطة في جامع بني أمية بدمشق .

وقرئ عليها كتب وأجزاء كثيرة ، منها :

مقدمة كتاب الاستذكار لابن عبدالبر فيما رسمه مالك ابن أنس في موطئه ، وكتاب الدعاء للقاضي المحاملي ، وتحريم النرد والشطرنج لمحمد الآجري ، وكرامات الأولياء للخلال ، ومسند أبي بكر الصديق ، وكتاب الأوائل لابن أبي عاصم النبيل ، وجميع فضائل القرآن العظيم لجعفر القرماني ، وخمسة مجالس من أمالي أبي بكر أحمد بن سلمان الفقيه وعوالي سعيد بن منصور ، وأحاديث منتقاة وحكايات منتخبة لمحمد بن سعيد بن نبهان ، وكتاب مسند المقلين من الأمراء والسلاطين لتمام الرازي .

كما سمع عليها من الكتب والأجزاء والأمالي كتاب الصمت لابن أبي الدنيا ، ومسند يحيى بن معين ، وثلاثة مجالس من أمالي الحسن المخلدي ، ومشيخة عبدالرحمن ابن الجوزي ، وأخلاق النبي ﷺ للقاضي إسماعيل ، والاعتكاف بإجازتها من محمد بن عبدالكريم بن السيدي ، والغرباء للآجري ، وأمالي طراد ، وهي خمسة وعشرون مجلساً ، وأمالي النقاش بإجازتها من سبط السلفي ، والفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ، وكتاب الشكر له أيضاً ... وغيرها كثير .

قال ابن حجر : ماتت في ١٩ جمادى الأولى سنة ٧٤٠هـ وقد جاوزت التسعين ، ونزل الناس بموتها درجة في شيء كثير من الحديث ، وهي آخر من روى في الدنيا عن سبط السلفي وجماعة بالإجازة .

مؤلفاتها :

ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن لها مشيخة .

ولا يخفى هذا من كثرة مسموعاتها ومروياتها وإجازاتها (٢٢) .

زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم بن الخباز

ترجمتها :

تلقب أمة العزيز .

ولدت سنة ٦٥٩هـ . وأسمعها أبوها من ابن عبدالدائم الدعاء للمحاملي ، وحديث سابور والمبعث ومشيخته تخريجه لنفسه ، وجزء ابن عرفة ، والأربعين للآجري ، وانتخاب الطبراني ، وحديث أيوب ، وجزء ابن الفرات ، والمائة الفراوية ، وحديث أبي الشيخ ، وجزءاً من حديث البغوي وابن صاعد ، وابن أبي شيبة ، وابن المخلص عنهم ومن يحيى بن الحنبلي الرحلة للخطيب ، ومن ابن أبي اليسر القناعة للخرائطي ، وثاني حديث محمد بن يوسف الفريابي ، وعلى الكمال بن عبد فضل الخليل ، وجزء ابن جوصا ، وعلى ابن الأوحد منتقى من مغازي موسى بن عقبة ، وعلى الكرماني مجالس المخلدي ، وعلى عبدالوهاب ابن الناصح جزء الحريري وجزء ابن جوصا ، وعلى أبي بكر بن النشبي العلم لأبي خيثمة ، وغير ذلك .

وسمعت أيضاً من الحسن بن الحسين بن المهير وعبدالرحمن بن معالي المطعم ، وعمر بن حامد بن عبدالرحمن ، ويوسف بن مكتوم . ولها حضور على عبدالله ابن أبي عمر المقدسي ، وأيبك الجمالي ، وأحمد بن عبدالله الكهفي .

ومن الكتب والأجزاء التي قرئ عليها أيضاً : الجزء السادس من فضائل أبي بكر الصديق بسماعها من أبي بكر عبدالرحمن بن أحمد الشيرازي ، ومقتل عثمان بن عفان رواية أحمد بن كامل بن خلف بسماعها من ابن الأنماطي ، وأحاديث عوال من جزء ابن عرفة العبدي بسماعها من أحمد بن عبدالدائم ، والجزء الأول من فوائد محمد بن المأمون عن شيوخه بسماعها من زينب بنت مكي وخديجة بنت محمد وحبيبة بنت أبي عمر المقدسية ، وفوائد عبدالله بن شجاع بن المفسر المضري . كما سمع عليها حديث أبي طاهر السلفي ، ومنتقى من جزء أبي مسعود أحمد بن الفرات بسماعها من أحمد بن عبدالدائم ، وأحاديث منتخبة من الجزء السابع من الفوائد المنتقاة انتخاب علي بن عمر الدارقطني .

مؤلفاتها :

ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن لها مشيخة .. عن الفخر عثمان بن محمد الكركي ، عنها (٢٣) .

زينب بنت عبدالله اليافعي

ترجمتها :

كنيتها أم المساكين .

وهي ابنة الإمام عبدالله بن سعد اليافعي ، وأخت عبد الوهاب .

ولدت سنة ٧٦٨هـ بالمدينة المنورة ، وأجاز لها ابن أميلة ، والصلاح بن أبي عمر ، وابن السوقي ، وابن النجم وابن الهبل ، وابن قاضي الزبداني ، والأذرعي ، والأسنوي وأبو البقاء السبكي ، وابن القاري ، والتقي البغدادي ، والنشاوري ، وآخرون .

وكانت جليلة . ماتت سنة ٨٤٦هـ .

مؤلفاتها :

ذكر الإمام السخاوي أن النجم عمر بن فهد خرَّج لها مشيخة حدثت بها وبغيرها . وقال الكتاني في فهرس الفهارس إن مشيختها هذه تسمى «الفوائد الهاشمية» بتخريج عمر بن فهد ، به إلى ابن طولون ، عن محمد بن أبي الصدق العدوي ، عنها (٢٤) .

زينب بنت يحيى السلمي

ترجمتها :

هي ابنة يحيى ابن الشيخ عزالدين بن عبدالسلام السلمي .

ولدت سنة ٦٤٨هـ . وأجاز لها في سنة ٦٥٠هـ سبط السلفي . وحضرت في الخامسة على عثمان ابن خطيب القرافة ، وعمر بن عوة ، وإبراهيم بن خليل ، وغيرهم .

وتفرَّدت برواية المعجم الصغير للطبراني بالسماع المتصل .

ومما قرئ عليها جميع انتخاب الطبراني لابنه أبي يزيد علي بن فارس ، ومسموعات ابن الطوسي ، وحديث ابن رزقويه بإجازتها من سبط ابن السلفي .

قال الذهبي : كان فيها خير وعبادة ، وحب للرواية ، بحيث إنه قرئ عليها يوم موتها عدة أجزاء . وماتت في ذي القعدة سنة ٧٣٥هـ .

مؤلفاتها :

ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن لها مشيخة عن العماد أبي بكر بن إبراهيم بن العز ، عنها (٢٥) .

سيدة بنت موسى بن عثمان الماراني

ترجمتها :

كنيتها أم محمد .

شيخة صالحة معمَّرة . قال الشيخ شمس الدين : كنت أتلهَّف على لقيها ، وماتت قبل دخولي القاهرة سنة ٦٩٥هـ بعشرة أيام .

أجاز لها في سنة ٦٠٩هـ أبو الحسن علي بن هَبل الطبيب ، وأبو محمد بن الأخضر ، وسليمان الموصلي ، وأحمد بن الدبيقي ، وابن منينا .

وسمعت جزءًا من مسمار بن العُوَيس ، وتفرَّدت بالرواية عن هؤلاء ، وروت بالإجازة عن عين الشمس الثقفية .

مؤلفاتها :

ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن لها **مشيخة** عن الزين العراقي ، عن محمد بن أبي الفتح القلانسي ، عنها (٣٦) .

شهدة بنت أحمد الدينورية

ترجمتها :

هي شُهْدَة بنت المحدِّث أبي نصر أحمد بن الفرج الدِّينَوري ، ثم البغدادي الإِبَري . المعمَّرة ، الكاتبة ، مسندة العراق . تلقب فخر النساء .

ووالدها كان من مشاهير بغداد ومحدِّثيها ، مات سنة ٥٠٦هـ .

وهي بغدادية المولد والوفاة . ولدت بعد ٤٨٠هـ .

يقول عنها الإمام الذهبي إنها كانت ديِّنة ، عابدة ، صالحة . سمَّعها أبوها الكثير ، وصارت مسندة العراق .

ويذكر ابن الجوزي في «المنتظم» أنه قرأ عليها ، وكان لها بِر وخير ، وخالطت الدور والعلماء ، وعُمِّرت حتى قاربت المئة .

زوَّجها أبوها من علي بن محمد بن يحيى الدُّريني ، المعروف بثقة الدولة ابن الأنباري . وكان من الأمثال والأعيان ، واختصَّ بالخليفة المقتفي لأمر الله العباسي ؛ توفي سنة ٥٤٩هـ .

وكانت شهدة من العلماء ، وهي صاحبة الخط الحسن ، فكتبت الخط المنسوب على طريقة الكاتبة بنت الأقرع . وما كان في زمانها من يكتب مثلها .. لكنه تغيَّر بكبرها .

وقد عرفت بالكاتبة أو ست الكتبة ، لجودة خطها (٢٧) .

وسمع عليها خلق كثير . وكان لها السماع العالي ، ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر . وكان سماعها صحيحًا ، واشتهر ذكرها وبَعُد صيتها .

وكانت قد أنشأت في بغداد رباطًا في رحبة جامع القصر ، سكن فيه بعض العلماء (٢٨) .

توفيت سنة ٥٧٤هـ .

أما شيوخها ومن روى عنها ومسموعاتها ومروياتها والكتب والأجزاء والأمالي التي قرأتها أو سُمعت عليها ، فهي كثيرة جدًا ، وقد أوردتها في كتابي «المرأة الكردية في التاريخ الإسلامي» في ثماني صفحات ، فلتراجع مع مصادرها هناك .

مؤلفاتها :

قال الإمام الذهبي : لها **مشيخة** سمعناها .

كما ذكر الكتاني أن لها مشيخة ، بتخريج أبي محمد ابن الأخضر ، به إلى السيوطي عن البلقيني ، عن أبي إسحاق التنوخي ، عن المزي ، عن ست الأهل بنت علوان ، عن البهاء عبدالرحمن بن إبراهيم المقدسي ، عن شهدة .

كما رواها الكتاني بأسانيده إلى الحجار ، عن أبي الفضل عبدالعزيز بن داود الزاهد ، عنها (٢٩) .

صفية بنت المرتضى بن المفضل

ترجمتها :

عالمة فاضلة . تزوجت محمد بن يحيى القاسمي ؛ لأنه كان عالمًا محققًا في علم الكلام ، فرغبت فيه لقصورها في ذلك الفن ! فانتفعت به ، وانتفع بها في علم العربية .

ماتت سنة ٧٧١هـ .

مؤلفاتها :

ذكر محمد بن زبارة الصنعاني في ملحق البدر الطالع أن «**لها مؤلفات**» ، ولم يورد منها شيئًا [illegible] عند كحالة في معجم المؤلفين (٣٠) .

عائشة بنت عبدالله بن أحمد الطبري

ترجمتها :

هي أم الهدى بنت الخطيب تقي الدين الطبر روت عن جدها الإمام محب الدين الطبري ولده جمال الدين بالإجازة ، وأجاز لها غيرهما .

حدَّث عنها أبو حامد بن ظهيرة بالإجازة .

وماتت بعد ٧٦٠هـ .

مؤلفاتها :

قال الإمام السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» : «... بل لأمّ الهدى عائشة ابنة الخطيب التقي عبدالله ابن الحافظ المحب أبي جعفر أحمد بن عبدالله الطبري مؤلَّف في (تاريخ بني الطبري) فيه فوائد» (٣١) .

عائشة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسية

ترجمتها :

كنيتها أم محمد . قال عنها الإمام السخاوي : مسندة الدنيا . وقال عنها الكتاني : هي شمس قلائد الإسناد ، ملحقة الأحفاد بالأجداد .

ولدت سنة ٧٢٣هـ ، وأسمعت على الحجار ، والشرف عبدالله بن الحسن ، وعبدالقادر بن الملوك ، وخلق .

فمما سمعتْه على الأول : الصحيح . وعلى الثاني : صحيح مسلم . وعلى الثالث : سيرة ابن هشام .

وأجاز لها ابن الزراد ، وإسماعيل بن عمر بن الحموي وست الفقهاء ابنة الواسطي ، ويحيى بن فضل الله ، والبرهان الجعبري ، والبرهان بن الفركاح ، وأبو الحسن البندنيجي ، وعبدالله بن محمد بن يوسف ، والشرف بن البارزي ، وإبراهيم بن صالح بن العجمي ، وآخرون .

وعمِّرت حتى تفردت عن جلِّ شيوخها بالسماع والإجازة في سائر الآفاق . وروت الكثير ، وأخذ عنها الأئمة ، لا سيما الرحالة ، فاكثروا .

وكانت سهلة في الأسماع ، لينة الجانب .. والرواة عنها بالإجازة كثيرون .

وأما بالسماع ففي الشام ، والخطيب بن أبي عمر الحنبلي سمع منها بعض «ذم الكلام» للهروي .

وقال الكتاني : ... نروي مالها من المرويات العالية بأسانيد إلى زكريا والأسيوطي .

وممن أكثر عنها ابن حجر العسقلاني ، وذكرها في معجمه ، وقال إنها ماتت سنة ٨١٦هـ . يعني بصالحية دمشق ، بعد أن أجازت لزين خاتون ، ورابعة ، محمد : أولاده . وهي آخر من حدّث بالبخاري عالياً بالسماع .

قال السخاوي : ومن الاتفاق العجيب أن ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا كانت آخر من حدث من النساء عن ابن الزبيدي في الدنيا وماتت سنة ٧١٦هـ ، وزادت عليها بأن لم يبق من الرجال أيضاً ممن سمع على الحجار رفيق ست الوزراء في الدنيا غيرها . وبين وفاتيهما مئة سنة سواء .

مؤلفاتها :

ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن لها **مشيخة** (٣٢).

عائشة بنت محمد بن المسلم الحرانية

ترجمتها :

هي أخت محاسن المحدِّث .

ولدت عام ٦٤٧هـ . سمَّعها أخوها في الخامسة من إسماعيل بن أحمد العراقي ، وفرح القرطبي ، ومحمد بن أبي بكر المعروف بابن النور البلخي ، وعبدالرحمن بن أبي الفهم اليلداني ، ومحمد بن عبدالهادي المقدسي ، وإبراهيم ابن خليل في آخرين .

وحدَّثت بالكثير ، وتفرَّدت بأجزاء . وسمع ابن بطوطة عليها في جامع بني أمية بدمشق .

وكانت تتكسَّب بالخياطة . قال الذهبي : كانت خيِّرة قانعة .

توفيت في شوال سنة ٧٣٦هـ .

مؤلفاتها :

ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن لها **مشيخة** .. عن عمر بن محمد البالسي ، عنها (٣٣) .

عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعونية

ترجمتها :

هي الشيخة الأريبة ، العالمة الفاضلة ، أم عبدالوهاب الدمشقية ، بنت الباعوني . ذكرت في كلام من سيرتها الذاتية قولها : «... أهلني الحقُّ لقراءة كتابه العزيز ، ومنَّ علي بحفظه على التمام ، ولي من العمر ثمانية أعوام ...» .

وهي من تلامذة الشيخ إسماعيل الخوارزمي .

رحلت إلى القاهرة ، ونالت من العلوم حظاً وافراً ، وأجيزت بالإفتاء والتدريس .

وكان دخولها إلى القاهرة في سنة (٩١٩هـ) . فأصيبت في الطريق بشيء كان معها من مؤلفاتها ومنظوماتها . وهناك نُدبت لقضاء مآرب لها تتعلق بولدها . وكان في صحبتها أبو الثناء محمود بن أجا الحلبي ، صاحب دواوين الإنشاء بالديار المصرية ، فاكرمها وولدها ، وأنزلها في حريمه .

وروى الشيخ شمس الدين بن طولون الحنفي أن عائشة بنت القاضي يوسف الباعوني أنشدت في دمشق الشام :

نزِّه الطرف في دمشق ففيها
كلُّ ماتشتهي وما تختار
هي في الأرض جنَّة فتأمل
كيف تجري من تحتها الأنهار
كم سما في ربوعها كلُّ قصر
أشرقت من وجوهها الأقمار
وتناغيك بينها صادحات
خرست عند نطقها الأوتار
كلها روضة وماء زلالٌ
وقصور مشيَّدة وديار

وذكر ابن الحنبلي أن صاحبة الترجمة دخلت حلب في سنة ٩٢٢هـ والسلطان الغوري بها لمصلحة لها كانت عنده فاجتمع بها من وراء حجاب البدر السيوفي وتلميذه الشمس السفيري وغيرهما ، ثم عادت إلى دمشق ، وتوفيت بها في السنة المذكورة .

مؤلفاتها :

– الإشارات الخفية في المنازل العلية

وهو أرجوزة اختصرت فيها كتاب منازل السائرين للهروي ، كما في الكواكب السائرة ، وكشف الظنون ، وهدية العارفين .

– الدر الغائص في بحر المعجزات والخصائص

وهو قصيدة رائية ، ويبدو أنه في النبوات ، أو في السيرة النبوية خاصة . وورد هذا العنوان في المصادر الثلاثة السابقة .

– صلات السلام في فضل الصلاة والسلام

وهو أرجوزة لخصتها من كتاب «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للإمام السخاوي .

أورده في كشف الظنون ، وهدية العارفين ، وأشار إلى موضوعه في الكواكب السائرة .

وقد نسب الباباني في «هدية العارفين» كتاب «القول البديع ...» أيضاً للباعونية . وهو خطأ ، بل هو للإمام السخاوي (ت ٩٠٢هـ) . وقد صدرت طبعته الثالثة عن المكتبة العلمية في المدينة المنورة عام ١٣٩٧هـ ، ويقع في ٢٧١ص .

– الفتح الحقي من فتح التلقي

هكذا ورد العنوان في «أعلام النساء» .

وفي الكواكب السائرة : الفتح الحنفي .

وفي كشف الظنون : فتح الخفي من فتح التلفي .

وفي هدية العارفين : فتح الخفي في فتح التلفي .

ويشتمل على كلمات لدنية ومعان سنية ، كما في الكشف والكواكب .

– الفتح المبين في مدح الأمين

هكذا في كشف الظنون وهدية العارفين .

وفي معجم المؤلفين لكحالة : فتوح المعاني في مدح سيد الخلق . وأظن أن المقصود به «فتح المبين ...» هذا .

قال حاجي خليفة : وهي قصيدة ميمية في البديع .. أولها :

في حسن مطلع أقمار بذي سلم
أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

ثم شرحتها شرحاً لطيفاً أوله : الحمد لله محلي جياد الأفهام بعقود مدح الشفيع ... إلخ . قالت : وبعد ، فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع ، شاهد بسلامة الطباع ، سافرة عن وجوه البديع ، سامية بمدح الحبيب الشفيع .. أتمته في رمضان سنة ٩٢٢هـ .

وقد طبعت القصيدة مع الشرح بهامش «خزانة الأدب» لابن حجة الحموي في مصر سنة ١٣٠٤هـ .

– قصيدة في البديع

هكذا في هدية العارفين ، وقد تكون هي «صلات السلام ...» التي لخصتها المؤلفة من القول البديع .

– الملامح الشريفة والآثار المنيفة

ويشتمل على إنشادات صوفية ، ومعارف ذوقية .

أورده في الكواكب السائرة ، وكشف الظنون (٣٤) .

ولها «مولد» على شكل منظومة طبع في دمشق سنة ١٣٠١هـ ، ويقع في ٥١ ص . كما ذكره في معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ / ٥١٩ .

عزيزة بنت عبدالملك الأندلسية

ترجمتها :

هي عزيزة بنت عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمن القرشية الهاشمية الأندلسية ، المرسية المولد ، القرطبية المنشأ ، الشيخة ، أم أبي العباس .

قدمت مصر وسكنتها سنين كثيرة . وحجت .

وكان الشيخ عتيق والشيخ أبو العباس الرأس وغيرهما من الصالحين يثنون عليها كثيراً .

وذكر والدها ما يدل على أن مولدها سنة ٥٤٦هـ .

توفيت بمصر في النصف من رجب ، سنة ٦٣٤هـ .

مؤلفاتها :

قال الحافظ المنذري : علقت عنها فوائد (٣٥) .

فاطمة بنت إبراهيم بن عبدالله المقدسيَّة

ترجمتها :

كنيتها : أم إبراهيم .

ولدت سنة ٦٥٦ أو ٦٥٤هـ . وأحضرت على إبراهيم ابن خليل مشيخة أبي مسهر ، وحديث ابن أبي الفرات ، وتفردت بالسماع منه .

وسمعت على ابن عبدالدائم جزء ابن الفرات ، والأربعين للآجري ، وانتخاب الطبراني ، وجزء أيوب ، وجزء ابن عرفة ، والمبعث لهشام ، ومشيخته تخريجه لنفسه ، وسمعت على والدها ، وعم والدها الشمس ابن أبي بكر ، وعبدالوالي بن جبارة ، وأحمد بن جميل ، وأبي بكر الهروي .

وأجاز لها محمد بن عبدالهادي ، وعبدالحميد بن عبدالهادي ، وأبو طالب بن السروري ، وتفردت بالرواية عنهم .

وكانت عابدة خيِّرة . ماتت في شوال سنة ٧٤٧هـ .

مؤلفاتها :

ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن لها مشيخة .. عن محمد بن إبراهيم الأرموي ، عنها (٣٦) .

فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي

ترجمتها :

هي ابنة الإمام محمد بن أحمد ، أبي منصور السمرقندي ، صاحب كتاب «تحفة الفقهاء» و«اللباب» في أصول الفقه ، وغيرهما ؛ توفي في حدود (٥٧٥هـ) .

وهي زوجة أبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الملقب بـ «ملك العلماء» .. فهو صاحب «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» وغيره . وهو الذي ولاه نور الدين الشهيد تدريس الحلاوية في مدينة حلب ، عوضاً عن الرضي السرخسي . (ت ٥٨٧هـ) .

تفقهت فاطمة على أبيها ، وحفظت مصنَّفه «التحفة» .

وقد زوجها أبوها من الكاساني من أجل أنه شرح كتاب «التحفة» للسمرقندي هذا ، وسماه البدائع .. فجعله مهر ابنته ، فقال فقهاء العصر : شرح تحفته وزوَّجه ابنته !

قال ابن العديم : حكى والدي أنها كانت تنقل المذهب نقلاً جيداً ، وكان زوجُها الكاساني ربما يَهِمُ في الفُتيا ، فتردُّه إلى الصواب ، وتعرِّفه وجه الخطأ ، فيرجع إلى قولها .

قال : وكانت تفتي ، وكان زوجها يحترمها ويكرمها .

وكانت الفتوى أولاً يخرج عليها خطُّها وخطُّ أبيها السمرقندي ، فلما تزوجت بالكاساني صاحب البدائع ، كانت الفتوى تخرج بخط الثلاثة .

وقال داود بن علي – أحد فقهاء الحلاوية بحلب – : هي التي سنَّت الفطر في رمضان للفقهاء بالحلاوية . كان في يديها سواران ، فأخرجتهما ، وباعتهما ، وعملت بالثمن الفطور كل ليلة . واستمرَّ على ذلك إلى اليوم .

وأقامت بحلب إلى أن ماتت بها ، ثم مات زوجها بعدها .

مؤلفاتها :

تفرَّدت صاحبة كتاب «الدر المنثور في طبقات ربَّات الخدور» من بين كتب التراجم التي نقلتُ منها بقولها عن فاطمة السمرقندية : «**وقد ألفت المؤلفات العديدة في الفقه والحديث** ، وانتشرت مؤلفاتها بين العلماء الأفاضل» (٣٧) .

ونقل عنها هذا القول كحالة في أعلام النساء ، ولا أدري ما هو مصدرها في ذلك (٣٨) .

فاطمة بنت محمود بن شيريز

ترجمتها :

هي ابنة القاضي كمال الدين محمود . وتدعى «ستيتة» .

ولدت سنة ٨٥٥هـ بالقاهرة . ونشأت فتعلمت الكتابة وما تيسَّر .

وتزوجت الناصر محمد بن الطنبغا ، ثم مات عنها فتزوجها علي بن محمد بن بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر برقوق .

ولها نظم ، وحسن فهم ، وقوة جَنان .

وحجت مراراً ، وجاورت بمكة سنين عديدة في حدود العشرين . وخالطت سلطان مكة السيد بركات الحسني

وزوجته ، بل وامتدحتها .

ومن نظمها قصيدة كتبتها إلى السخاوي تستفتيه فيها عن بعض المسائل ، فأجاب عنها نثرًا ، مطلعها :

قفا واسمعا مني حديث أحبتي
فأوصاف معناهم عن الحسن جلّت

ولها مكاتبات إلى جماعة من الأدباء والأعيان والأكابر ..

واستمرت على نظم الأدب ومدح أرباب الرتب حتى ماتت في سنة ٩٤١هـ بالقاهرة .

مؤلفاتها :

قال العيدروسي في النور السافر : «**جمعت نظمها في عدة كراريس**» (٣٩) .

فيروزة بنت المظفر

لها كتاب «**الأربعين : رواية الصالحات عن الصالحين**» .

ذكر ذلك كحالة في «أعلام النساء» نقلاً عن «شد الإزار» للشيرازي (٤٠) .

بنت الكُنَيْري

ترجمتها :

بنت الكنيري ، بالراء في معجم الأدباء ، وبالزاي في بغية الوعاة .

ولم أقف لها على ترجمة ، لكن أورد ياقوت الحموي حكاية عنها .. قد يفيد أو يمتع القارئ إيرادها بدل ترجمتها :

حدّث أبو نصر قال : ومن طريف ما شاهدته أنا : أنه كان في الجانب الشرقيّ بمدينة السلام امرأة تُعْرف ببنت الكُنَيْري ، وكانت نهاية في الفضل ، ولها أخٌ غايةٌ في الجهل . وكانت حسنةَ المعرفة بالنحو واللغة ، ولها تصانيف فيهما تعرف بها . واختصما في ميراث والدهما ، فطال التنازع بينهما . وحضرا يومًا مجلس والدي ، وزاد الكلام بينهما ونقص . فاغتاظ والدي من تفيهقها وحوشيِّ كلامها ومن سَقَطه وعاميَّته في مناقضتها ، ففطنت لذلك فقالت : أغاظ سيِّدنا الشيخ – أيَّده الله – ما يرى مني ومن هذا الأخ أصلحه الله ؟

قال : كلا إن شاء الله ، ولكن جرِّدي الدعوى فإنه أقرب للإنجاز .

فقالت : أيَّد الله الشيخ . في ذمَّتهِ اثنان وعشرون دينارًا مُطيعيَّةً سَلاميَّةً .

فقال أخوها للقاضي : ما الذي تقول ؟ .. ثم قال : أمَا لها عندي اثنان . وسكت . ورام أن يقول مثل ما قالت فلم يقدر . فقال : بالله يا سيدي كيف قالت ؟ فقد والله صَدَّعَتْنا .

فقال له القاضي : قل كما تُحسن .

وضحك أهل المجلس ، وصار سخرية . واندفعت الخصومة ذلك اليوم .

وأورد الحكاية مختصرة الإمام السيوطي في بغية الوعاة ، ولم يزد في ترجمتها شيئًا .

مؤلفاتها :

مر قول محدِّث الحكاية أن لبنت الكنيري **تصانيف في النحو واللغة تعرف بها** (٤١) .

مريم بنت أحمد بن محمد الأذرعي

ترجمتها :

ولدت سنة ٧١٩هـ بالقاهرة . وكان أصلها من أذرعات ، فسكن جدها حلب ، ثم دمشق ، وولي القضاء بها ، ثم القاهرة ، ومات بها سنة ٧١٢هـ . وتصدَّر أبوها بجامع الحاكم ، وناب في الحكم ، ومات سنة ٧٤١هـ .

وهي أخت الشيخ شمس الدين محمد الذي ولي خطابة جامع شيخون ، ومشيخة الجامع الجديد بمصر (ت ٨٠٥هـ) .

وعاشت صاحبة الترجمة إلى أن انفردت برواية حديث السلفي بالسماع المتصل ، فهي آخر من حدث عن الواني والدبوسي بالسماع .

وذكر السخاوي أن شيخه ابن حجر أكثر عنها ، وذكرها في معجمه ، وكذا في إنبائه ، وقال : سمعت الكثير من الواني والدبوسي ، والقطب الحلبي ، وناصر الدين بن سمعون ، وغيرهم .

وأجاز لها التقي بن الصائغ وغيره من مسندي مصر والحجاز ، وغيره من الأئمة بدمشق . خرجتُ لها معجمًا في مجلد .

كما ذكر ابن حجر في «إنباء الغمر» أنه قرأ عليها الكثير من مسموعاتها ، وأشياء كثيرة بالإجازة .

قال : وعاشت أربعة وثمانين عامًا . ونعم الشيخة كانت : ديانةً وصيانة ومحبة في العلم . وهي آخر من حدَّث عن أكثر مشايخها المذكورين .

ماتت سنة ٨٠٥هـ .

مؤلفاتها :

ورد أثناء ترجمتها أن الحافظ ابن حجر العسقلاني خرَّج لها معجمًا في مجلد (٤٢) .

نُضَار بنت محمد بن يوسف

ترجمتها :

هي ابنة الأمير الشيخ أثير الدين أبي حيان محمد الأندلسي . وكنيتها : أم العز .

ولدت في جمادى الآخرة سنة ٧٠٢هـ ، وأجاز لها أبوجعفر بن الزبير ، وأحضرت على الدمياطي ، وسمعت من شيوخ مصر ، وحفظت مقدمة في النحو . قال الذهبي في المشتبه : سمعها الكثير من أصحاب ابن الزُّبيدي .

وكانت تكتب وتقرأ ، ونظمت شعرًا ، وكانت تعرب جيدًا . وكان أبوها يقول : ليت أخاها حيَّان مثلها .

ثم ماتت في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠هـ ، فحزن والدها عليها ، وجمع في ذلك جزءًا سماه «النضار في المسلاة عن نضار» . قال ابن حجر : وقفت عليه بخطه ، وهو كثير الفوائد .

كتب عنها البدر النابلسي فقال : الفاضلة الكاتبة الفصيحة الخاشعة الناسكة . قال : وكانت تفوق كثيرًا من الرجال في العبادة والفقه ، مع الجمال التام والظرف ، وقال الصلاح الصفدي يرثيها :

بكينا باللجين على نُضار
فَسَيْلُ الدمع في الخدين جاري
فيا لله جاريةٌ تولت
فنبكيها بأدمعنا الجواري

مؤلفاتها :

قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة والسيوطي في نزهة الجلساء : خرَّجتُ لنفسها جزءًا حديثيًا (٤٣) .

وجيهة بنت علي الصعيدية

ترجمتها :

هي وجيهة بنت علي بن يحيى الأنصارية الصعيدية ثم الإسكندرانية . لقبها زين الدار .

ولدت قبل ٦٤٠هـ . وقال ابن رافع والصفدي : ولدت سنة ٦٣٩هـ .

سمعت من ابن زوين ، وابن النحاس . وسمعت على أحمد بن عبدالمحسن القرافي مجلسين من حديث أبي المظفر بن السمعاني بسماعه منه . ومشيخة عبدالكريم بن عبدالباري الصعيدي تخريجه لنفسه بسماعها منه ، ومشيخة أبي بكر محمد بن فتوح بن خلف الصوفي تخريج منصور بن سليم : سمعت منه من أولها إلى الرابع . وأجاز لها يوسف الساوي ، وابن رواج ، ويعقوب الهمذاني ، وغيرهم .

ماتت في شهر رجب سنة ٧٣٢هـ بالإسكندرية .

مؤلفاتها :

قال الحافظ ابن حجر : وخرَّج لها تقي الدين بن عرام مشيخة سمعتْ بعضها على تاج الدين بن موسى بسماعه منها . وهو آخر من حدَّث عنها ، وهي آخر من حدَّث عن كثير منهم بالثغر . وخرَّج لها قبله ابن رافع مشيخة .

وكذا ذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن لها مشيخة عن التاج عبدالوهاب ابن محمد ، عنها (٤٤) .

* * *

هذا وبعد مرور مدة لتهيئة هذا البحث للنشر ، وقفتُ على ترجمات نساء أخريات ، ذُكر أن لهنَّ مؤلَّفات . وسأشير إليهن هنا ، حتى إذا عزمتُ على نشره على هيئة كتاب ، أضفت إليه البيانات المفصلة إن شاء الله .

– **فاطمة بنت خليل العسقلاني**

وهي ابنة الصلاح الكناني المقدسي العسقلاني ، زوجة الشهاب غازي الحنبلي ، وابنة أخي القاضي ناصر الدين نصرالله . وقد توفيت سنة ٨٣٨هـ .

قال السخاوي : خرَّج لها مع القبابي شيخنا (ابن حجر) مشيخة (٤٥) .

– **عائشة بنت علي ، المعروفة بست العيش** .

وهي ابنة العلاء أبي المسر الكناني القاهرية الحنبلية . وقد وُصفت بأنها كانت على جانب كبير من الذكاء . وكانت تحفظ كتبًا . وكتبت الخط الجيد . توفيت سنة ٨٤٠هـ .

ذكر السخاوي أن الزين رضوان خرَّج لها جزءًا

فيه عشاريات وتساعيات، مبتدئًا بالمسلسل (٤٦).

– **مريم بنت عبدالرحمن الحنبلية**

وتلقب بستّ القضاة. وهي من نابلس. روت عن خلق كثير، وجلست للتحديث بدمشق. وتوفيت سنة ٧٥٨هـ.

لها معجم خرّجه لها الحافظ ابن حجر العسقلاني. وهو مخطوط (٤٧). وطبع مسندها، وهو بعنوان: **مسند أمة الله مريم بنت عبدالرحمن الحنبلية: جزء من ٢٤ رواية تحقيق وتعليق مجدي السيد إبراهيم**. – القاهرة: مكتبة القرآن، ١٤٠٩هـ، ٧٩ص.

ثبت المراجع

١ – **الأعلام: قاموس تراجم** ... تأليف خير الدين الزركلي. – ط٢، مزيدة، محلاة بالخطوط والرسوم. – القاهرة: مطبعة كوستا توماس.

٢ – **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**. تأليف عمر رضا كحالة. – ط، مزيدة وفيها مستدرك. – بيروت: مؤسسة الرسالة، د. ت.

٣ – **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ**. محمد بن عبدالرحمن السخاوي؛ حققه وعلق عليه بالإنجليزية فرانز روزنتال؛ ترجم التعليقات والمقدمة وأشرف على نشر النص صالح أحمد العلي. – بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

٤ – **إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ**. لابن حجر العسقلاني؛ تحت مراقبة محمد عبدالمعين خان. – ط٢. – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ (مصورة من ط. المعارف الهندية).

٥ – **البداية والنهاية**. لأبي الفداء بن كثير القرشي. – ط جديدة منقحة. – بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

٦ – **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**. محمد ابن علي الشوكاني. – القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د. ت.

٧ – **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. جلال الدين عبدالرحمن السيوطي؛ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. – بيروت: المكتبة العصرية، د. ت.

٨ – **تاج التراجم**. قاسم بن قطلوبغا السودوني؛ تحقيق محمد خير رمضان يوسف. – دمشق: دار القلم، ١٤١٣هـ.

٩ – **تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر**. تأليف عبدالقادر بن عبدالله العيدروسي. – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

١٠ – **التكملة لوفيات النقلة**. تأليف زكي الدين عبدالعظيم ابن عبدالقوي المنذري؛ حققه بشار عواد معروف. – ط٢. – بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.

١١ – **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**. عبدالقادر بن محمد القرشي؛ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو. – الرياض: دار العلوم، ١٣٩٨ – ١٤٠٨هـ.

١٢ – **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**. تأليف زينب بنت يوسف فواز العاملي. – ط٢. – بيروت: دار المعرفة (مصورة من ط. بولاق ١٣١٢هـ).

١٣ – **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. لابن حجر العسقلاني؛ حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق. – القاهرة: دار الكتب الحديثة.

١٤ – **سير أعلام النبلاء**. شمس الدين الذهبي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. – بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ – ١٤٠٩هـ.

١٥ – **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ابن العماد الحنبلي. – ط٢، منقحة. – بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ.

١٦ – **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي. – القاهرة: مكتبة القدسي، ١٣٥٤هـ.

١٧ – **العبر في خبر من غبر**. شمس الدين الذهبي؛ تحقيق صلاح الدين المنجد. – ط٢. – الكويت: وزارة الإعلام، ١٤٠٤هـ. – (التراث العربي؛ ١٠).

١٨ – **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. تأليف عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني؛ باعتناء إحسان عباس. – بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢ – ١٤٠٦هـ.

١٩ – **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. مصطفى بن عبدالله المعروف بحاجي خليفة. – إستانبول، ١٩٤١م.

٢٠ – **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**. نجم الدين الغزي؛ حققه وضبط نصه جبرائيل سليمان جبور. – ط٢. – بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٩هـ.

٢١ – **المرأة الكردية في التاريخ الإسلامي: تراجم لأميرات كرديات ومحدثات عالمات**. تأليف محمد خير رمضان يوسف. – بيروت: دار القادري، ١٤١٢هـ.

٢٢ – **المشتبه في الرجال: أسمائهم وأنسابهم**. تأليف محمد بن أحمد الذهبي؛ تحقيق علي محمد البجاوي. – القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٢هـ.

٢٣ – **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**. ياقوت الحموي. – القاهرة: مطبعة المأمون، ١٣٥٥هـ.

٢٤ – **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** . عادل نويهض . – بيروت .

٢٥ – **معجم المؤلفين** . عمر رضا كحالة . – بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د . ت .

٢٦ – **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** . تأليف أحمد بن مصطفى طاش كبري زاده . – بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ .

٢٧ – **ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** . جمعه محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الحسني . – بيروت : دار المعرفة ، د . ت (طبع مع البدر الطالع للشوكاني) .

٢٨ – **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال** . عبدالقادر بدران؛ إشراف محمد زهير الشاويش . – دمشق : المكتب الإسلامي ، د . ت .

٢٩ – .. **المنتظم لابن الجوزي : دراسة في منهجه وموارده وأهميته** . دراسة وتحقيق حسن عيسى علي الحكيم . – بيروت : دار عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ .

٣٠ – **نزهة الجلساء في أشعار النساء** . جلال الدين السيوطي ؛ دراسة وتحقيق وتعليق عبداللطيف عاشور . – القاهرة : مكتبة القرآن ، ١٤٠٦هـ .

٣١ – **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** . تأليف أحمد بن محمد المقري التلمساني ؛ حققه إحسان عباس . – بيروت : دار صادر ، ١٣٨٨هـ .

٣٢ – **هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** . إسماعيل بن محمد الباباني ، ١٣٨٠هـ .

٣٣ – **الوافي بالوفيات** . خليل بن أيبك الصفدي ؛ باعتناء وداد قاضي . – فيسبادن ، ألمانيا : فرانز شتاينرت .

٣٤ – **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** . لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان ؛ تحقيق إحسان عباس . – بيروت : دار الثقافة ، د . ت .

الهوامش

١ – فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبدالحي بن عبدالكريم الكتاني ٢ / ٦٢٤ .

٢ – المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

٣ – المصدر السابق ٢ / ٦٥٥ .

٤ – ولم أورد تراجم المؤلفات الشيعيات ، لعدم توافر المصادر الكافية لذلك . وبينهن فقيهات وعالمات ومؤلفات .

٥ – انظر الجواهر المضية ٤ / ١١٩ – ١٢٤ .

٦ – ٣ / ٢٢٧ .

٧ – الضوء اللامع ١٢ / ١٥٦ – ١٥٧ .

٨ – أعلام النساء ٣ / ٢٦٠ – ٢٦١ .

٩ – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ٤ / ١٧١ .

١٠ – في بغية الوعاة ١ / ٤٥٨ .

١١ – وقد ترجم لها كحالة في باب العين باسم «العروضية» بينما هو لقبها .. لبراعتها ومهارتها في العروض ، وقد ذكرها السيوطي باسم «إشراق السوداء العروضية» .

١٢ – نفح الطيب للمقري ٤ / ٢٩٢ .

١٣ – الضوء اللامع للسخاوي ١٢ / ٦ – ٧ ، فهرس الفهارس والأثبات للكتاني ٢ / ٦٥٣ .

١٤ – البداية والنهاية ١٣ / ١٧٠ – ١٧١ ، منادمة الأطلال ٢٣٧ ، الأعلام ١ / ٣٥٤ ، معجم المؤلفين ٢ / ٣١٩ .

١٥ – فهرس الفهارس والأثبات للكتاني ٢ / ٦٥٣ .

١٦ – سير أعلام النبلاء ١٨ / ٤٠٣ ، الوافي بالوفيات للصفدي ١٠/٣٥٩ – ٣٦٠ ، كشف الظنون ٥٨٦/١ .

١٧ – ١٢ / ١٩ – ٢٠ .

١٨ – الضوء اللامع ١٢ / ٢٠ ، فهرس الفهارس والأثبات ٦٥٥/٢ .

١٩ – كان أخوها قد سجن ، ثم تمكن من الهرب .

٢٠ – البدر الطالع للشوكاني ١ / ٢٤٨ .

٢١ – هدية العارفين ١ / ٣٧٥ ، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ١ / ١٩٧ . وزيب كلمة فارسية معناها «زينة» .. كما في المعجم الذهبي : فارسي ، عربي لمحمد التونجي ص ٣١٩ . فيكون معنى اسمها «زينة النساء» ، ومعنى تفسيرها «زين التفاسير» .

٢٢ – الدرر الكامنة لابن حجر ٢ / ٢٠٩ – ٢١٠ ، فهرس الفهارس والأثبات ٢ / ٦٥٣ ، أعلام النساء ٢ / ٤٦ – ٥١ .

٢٣ – الدرر الكامنة لابن حجر ٢ / ٢١١ – ٢١٢ ، فهرس الفهارس والأثبات ٢ / ٦٥٤ ، أعلام النساء ٢ / ٥٥ – ٥٦ .

٢٤ – الضوء اللامع للسخاوي ١٢ / ٤٣ ، فهرس الفهارس للكتاني ٢ / ٦٥٣ .

٢٥ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٢ / ٢١٥ ، أعلام النساء ٢ / ١٢٢ – ١٢٣ ، فهرس الفهارس للكتاني ٦٥٤/٢ .

٢٦ – الوافي بالوفيات للصفدي ١٦ / ٦٥ ، فهرس الفهارس للكتاني ٢ / ٦٥٣ .

٢٧ – وقد أورد الإمام السيوطي لها قصيدة في «نزهة الجلساء» ص ٥٤ – ٥٦ ، نقلاً عن الصفدي في الوافي بالوفيات . وبالرجوع إلى المصدر ١٦ / ١٩١ – ١٩٢ أورد الصفدي القصيدة وأعقبها بقوله : أنا أستبعد أن يكون هذا الشعر لشهدة .

كما وصفت شهدة في النسخة المطبوعة من كتاب «نزهة الجلساء» بأنها «منشدة العراق» ! ولا شك أنها تصحيف من «مسندة العراق» .

٢٨- فصلت فيه الكلام مجلة «سومر» العراقية مج ١١ جـ٢ ص ١٩٥ عام ١٩٥٥م .

٢٩- سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٤٢ - ٥٤٣ ، العبر في خبر من غبر للذهبي ٤ / ٢٢٠ ، فهرس الفهارس والأثبات ٢ / ٦٥٥ ، المنتظم لابن الجوزي : دراسة منهج ، ص ٥٣٣ - ٥٣٤ ، المرأة الكردية في التاريخ الإسلامي ص ٥٩ - ٧٠ ، الوافي بالوفيات ١٦ /١٩٠ - ١٩٢، وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٧ - ٤٧٨ .

٣٠- ملحق البدر الطالع ص ١٠٤ ، معجم المؤلفين ٥ / ٢١ .

٣١- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي ص ٢١٦ ، الدرر الكامنة لابن حجر ٢ / ٢٤٠ .

٣٢- الضوء اللامع للسخاوي ١٢ / ٨١ ، فهرس الفهارس للكتاني ٢/ ٨٦٤ ، أعلام النساء ٢/٦٥٣ ، معجم المؤلفين ٥/٦ - ٥٧ .

٣٣- الدرر الكامنة لابن حجر ٢ / ٣٤٢ ، الوافي بالوفيات للصفدي ١٦ /٦٠٨ ، أعلام النساء ٣ / ١٨٩ ، معجم ٥ / ٥٧ .

٣٤- الكواكب السائرة للغزي ٢٨٧/١ - ٢٩٢ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ / ١١١ - ١١٢ ، أعلام النساء ٣ / ١٩٦ - ١٩٧ ، كشف الظنون ١ / ٩٦ ، ١ / ٧٣٢ ، ٢ / ١٠٨١ ، ٢/ ١٢٣٢ ، ٢ / ١٢٣٤ ، ٢ / ١٨١٣ ، هدية العارفين ١ / ٤٣٦، معجم المؤلفين لكحالة ٥ / ٥٧ .

٣٥- التكملة لوفيات النقلة للمنذري ٣ / ٤٥٤ .

٣٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٣ /٣٠٠ ، فهرس الفهارس والأثبات للكتاني ٢ / ٦٥٤.

٣٧- كما ذكرت في ترجمتها : .. وكان لها حلقة للتدريس .. وكانت معاصرة للملك العادل نور الدين الشهيد ، وطالما استشارها في بعض أموره الداخلية ، وأخذ عنها بعض المسائل الفقهية . وكان دائمًا ينعم عليها ويعضد مسعاها .

٣٨- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبري زاده ٢ / ٢٤٧ - ٢٤٨ ، الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية لابن أبي الوفاء القرشي ١٢٢/٤ - ١٢٤ ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ٣٦٧ ، تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٢٥٢ ، ٣٢٧ - ٣٢٨ ، أعلام النساء لكحالة ٤ /٩٤ - ٩٥.

٣٩- تاريخ النور السافر للعيدروسي ص ١٨٥ - ١٨٧ ، البدر الطالع للشوكاني ٢ / ٢٣ - ٢٤ .

٤٠- أعلام النساء ٤ / ١٨٢ . ولا أظن أنها من الشيعة ، حيث لم أر لها ترجمة في أعيان الشيعة لمحسن الأمين . والشيرازي هو مجد الدين أبو القاسم جنيد، وعنوان كتابه هو : «شد الإزار المعروف بهزار مزار».

٤١- معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧ / ٢٥ - ٢٦ ، بغية الوعاء للسيوطي ٢ / ٢٦٨ .

٤٢- إنباء الغمر بأنباء العمر ٥ / ١١٥ - ١١٦ ، ٥ / ١٢٦ - ١٢٧، والضوء اللامع للسخاوي ١٢ / ١٢٤.

٤٣- المشتبه للذهبي ٢ / ٦٤١ ، الدرر الكامنة لابن حجر ٥ / ١٦٧ - ١٦٨ ، نزهة الجلساء للسيوطي ص ٨٣.

٤٤- الدرر الكامنة لابن حجر ٥ /١٨٠ ، البدر الطالع للشوكاني ٢/ ٣٢٥ ، فهرس الفهارس للكتاني ٢ / ٦٥٤ .

٤٥- الضوء اللامع ١٢ / ٩١ .

٤٦- المصدر السابق ١٢ / ٧٨ - ٧٩ .

٤٧- انظر المعلومات السابقة في مقدمة كتاب «مسند أمة الله مريم ....» ص ٨ - ٩ .



البغدادي (*)

حياته - مؤلفاته

محمود فجال
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

اسمه ونسبته ومولده

«عبدالقادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي» (١) ثم المصري .

ولد بـ «بغداد» سنة ثلاثين وألف هجرية . وتأدب فيها، فأتقن العربية والفارسية والتركية .

معارفه

كان علاّمة بالأدب والتاريخ والأخبار . وكان فاضلاً بارعًا ، مطّلعًا على أقسام كلام العرب : النظم ، والنثر راويًا لوقائعها وحروبها وأيامها .

وكان يحفظ «مقامات الحريري» ، وكثيرًا من دواوين العرب ، على اختلاف طبقاتهم .

وهو من أحسن المتأخرين معرفةً باللغة والأشعار والحكايات البديعة ، مع التثبت في النقل ، وزيادة الفضل ، والانتقاد الحسن ، ومناسبة إيراد كلِّ شيء في موضعه ، مع اللطافة ، وقوة الذاكرة ، وحسن المنادمة ، وحِفْظ اللغة الفارسية والتركية ، وإتقانهما كل الإتقان ، ومعرفة الأشعار الحسنة منهما ، وأخبار الفرس .

وكان «الخفاجيُّ» مع جلالته وعظمته يراجعه في المسائل الغريبة ؛ لمعرفته مظانها ، وسعة اطلاّعه ، وطول باعه .

وقال «المحبيُّ» في «خلاصة الأثر» (٢ : ٤٥٣) : «وكان مع تبحره في الآداب ، ومعرفة الشعر لم يتفق له نظم ، حتى طلبت من بعض المختصين به شيئًا من شعره لأثبته في ترجمته ، فذكر لي فيما زعم أنه لم يتفوّه بشيء منه ترفعاً عنه ....» .

رحلاته

كان «البغداديُّ» مولَعًا بالأسفار . خرج من «بغداد» وهو متقن للغات العربية والفارسية والتركية .

وورَدَ «دمشق» وقرأ بها على «محمد بن كمال الدين» نقيب الشام ، فلقي من عطفه وإكرامه ما أنساه الغُرْبَةَ ، وخَصَّصَ له منزلاً في المسجد المقابل لداره في الحي المعروف بزقاق النقيب . ثم جلس في حلقة «محمد بن يحيى الفرضي» .

ثم رحل إلى «القاهرة» فدخلها سنة خمسين وألف ، وكان «البغداديُّ» إذ ذاك في العشرين من عمره ، فعقد الصلةَ بأكبر شيخ له ، وهو «شهابُ الدين الخفاجيُّ» .

كما أَخَذَ العلومَ الشرعية وآلاتها النقلية عن جَمْعٍ من

(*) له ترجمة في «خلاصة الأثر» (٢ : ٤٥١ - ٤٥٤) ، و«كشف الظنون» (٢ : ١٣٣٠) ، و«هدية العارفين» (١ : ٦٠٢) ، و«إيضاح المكنون» (١: ٤٢٩ ، ٢ : ٥٤٦) ، و«مجلة الزهراء» (٥ : ٢٠٩ - ٢١٧ ، ٣٥٣ - ٣٥٥) ، و«الأعلام» (٤ : ٤١) ، و«معجم المطبوعات العربية والمعربة» (١ : ٥٧١) ، و«معجم المؤلفين» (٥ : ٢٩٥) ، و«فهرست الخديوية» (٤ : ٤٩ ، ١٦٦) ، و«فهرس دار الكتب المصرية» (٢ : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ٣ : ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٧ : ٤١ ، ١٢٣ ، ٢١٧) ، و«فهرس المخطوطات المصورة» (٢ : ١٤ ، ٨٨ ، ٢٠٠) . وتقديم «خزانة الأدب» (١ : ٣) ، و«تقديم حاشية على شرح بانت سعاد» (١ : ٥) ، و«مجلة المجمع العلمي» (٨ : ٥٢٠ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٤ ، ٥٧٤ ، ٣ : ٢٩٩) .

مشايخ الأزهر . ولما تولّى ولاية مصر «إبراهيمُ باشا» المعروف بـ «كتخدا الوزير» سنة ثمان وسبعين وألف اتصل به «عبدالقادر» فنال عنده حُظْوَةً واتّخذه نديمَه وسميرَه ، ومازال كذلك إلى سنة خمسٍ وثمانين وألف التي عُزِلَ بها «إبراهيمُ باشا» عن ولاية مصر ، وخلَفه «حسين باشا» عليها ، فآثَرَ «البغداديُّ» الرحيلَ عن مصر إلى ديار الروم في صحبة الوالي المعزول ، وكان سفرهما بطريق الشام فدخلها بعد خمس وثلاثين سنة من رحيله عنها .

وفي ديار الروم تعرَّف «عبدالقادر» بالوزير «أحمد باشا بن محمد كوبريلي» (٢) واستمكن منه ، واختص به، وكان إذ ذاك في غاية من إقبال الكبراء عليه .

وكان الوزير من كبار أهل العلم ، ومن المشتغلين به أيام الشباب ، وقد عرف قدر «البغداديِّ» ، وأحلَّه عنده المحل الأرفع ، وأصبح من خاصته .

شيوخه (٣)

أخذ العلوم الشرعية ، وآلاتها النقلية ، عن جمع من الشيوخ . وكان من أجلِّهم ما سأذكره :

١ – «إبراهيم بن محمد بن عيسى» المصري ، الشافعي ، الملقب بـ «برهان الدين الميموني» .

كان آيةً ظاهرة في التفسير والعربية ، أعجوبةً باهرة في العلوم العقلية والنقلية ، حافظًا متفننًا متضلِّعًا من الفنون ... وأبلغ ما كان مشهورًا فيه علم المعاني والبيان ، حتى قلَّ من يناظره فيهما .

قيل فيه : لو سُئِل عن مسألةٍ في المعاني والبيان لأملى عليها كراريس عديدة .

وقد اجتمع فيه حسنُ التقرير ، وتحبير التآليف والتحرير . وقد اتفقت فيه كلمةُ الكلِّ على تفرُّدِه في عصره، وتوحُّده في وقته .

من تصانيفه : «حاشية على المواهب اللدنية» ، و«حاشية على تفسير البيضاوي» . وكانت وفاته سنة تسع وسبعين وألف . والميموني نسبة للميمون من الصعيد (٤) .

٢ – «أحمد بن محمد بن عمر» الملقب بـ «شهاب الدين الخفاجيّ» المصريّ ، الحنفيّ . قاضي القضاة .

صاحب التصانيف السائرة ، وأحد أفراد الدنيا ، المجمع على تفوّقه وبراعته .

وكان في عصره بدرَ سماء العلم ، ونيرَ أفق النثر والنظم ، سار ذكرُه سَيْرَ المثل ، وطلعت أخباره طلوع الشهب في الفلك .

وفاق كلَّ مَنْ تَقَدَّمَهُ في كل فضيلة وأتعب من يجيء بعده، مع ماخوّله الله – تعالى – من السعة ، وكثرة الكتب، ولطف الطبع ، والنكتة النادرة .

وقد أخذ عنه جماعةٌ اشتهروا بالفضل الباهر ، من جملتهم :

العلامة «عبدالقادر البغدادي» ، قرأ عليه كثيرًا من التفسير والحديث والآداب ، وأجازه بذلك وبمؤلفاته ، حكى الفاضل «مصطفى بن فتح الله» قال : قلت للبغداديّ – لمَا رأيتُه من سعة حفظه واستحضاره – : «ما أظن هذا العصر سَمَحَ برجلٍ مثلك» فقال لي : جميعُ ما حفظته قطرةٌ من غدير «الشهاب» ، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه .

وتآليفه كثيرة ممتعة مقبولة ، انتشرت في البلاد ، منها :

«حواشي تفسير القاضي» ، و«شرح الشفاء» ، و«شرح درة الغواص» ، و«ريحانة الألباء» ، و«شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل والنادر الحوشي القليل» و«ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب» ، و«طراز المجالس» ، و«ديوان شعر» . وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وألف ، وقد أناف على التسعين (٥) .

٣ – «سري الدين الدروري» :

كان فريد عصره في العلوم النظرية . سئل «الشهاب البشبيشي» عنه ، وعن «الشبراملّسي» فقال : إن «سري الدين» كان إذا طالع الدرس لا يقدر عليه أحدٌ فيه ، وإذا نُقِلَ إلى غيره وقف يشير إلى قلة استحضاره ، وأما «الشبراملسي» فكان إذا نُقِلَ إلى أي فنٍّ لا يختل ولا يتوقف لقوة فهمه ، وسرعة استحضاره للقواعد من العلوم (٦) .

٤ – «علي بن علي ، أبو الضياء ، نور الدين الشبراملّسي» الشافعي ، القاهري . خاتمة المحققين ، محرِّر العلوم النقلية ، وأعلَمُ أهل زمانه ، لم يأت مثلُه في دقة النظر ، وجودة الفهم ، وسرعة استخراج الأحكام ، من عبارات العلماء ، وقوة التأني في البحث واللطف والحلم والإنصاف ، بحيث إنه لم يعهد منه أنه أساء إلى أحد من الطلبة بكلمة ، بل كان غاية ما يقول إذا تغيَّر من أحدٍ من تلامذته : «الله يصلح حالك يا فلان» .

كان شيخًا جليلاً عالمًا عاملاً ، له قوة إقدام على تفريق كتائب المشكلات ، ورسوخ قدمٍ في حل أقفال المقفلات ، مهابًا موقرًا في النفوس .

وكان مجلسه مصونًا عن الغيبة ، وذِكْر الناس بسوء، وجميع أوقاته مصروفة في المطالعة ، وقراءة القرآن ، والصلاة ، والعبادة . وكان زاهدًا في الدنيا لا يعرف أحوال أهلها، ولا يتردد إلى أحد منهم إلا في شفاعة خير.

تصدر للإقراء بجامع الأزهر ، فانفرد في عصره بجميع العلوم ، وانتهت إليه الرياسة .

من أقواله : قيراط من الأدب خير من أربعةٍ وعشرين قيراطًا من العلم .

كُفَّ بصره وعمره ثلاث سنين . من مؤلفاته : «حاشية على المواهب اللدنية» ، و«حاشية على شرح الشمائل لابن حجر» ، و«حاشية على شرح الورقات لابن قاسم» ، و«حاشية على شرح أبي شجاع لابن قاسم الغزي» ، و«حاشية على شرح الجزرية للقاضي زكريا» ، و«حاشية على شرح نهاية المحتاج (٧) للشمس الرملي» .

وتوفي سنة سبع وثمانين وألف (٨) .

٥ – «محمد بن كمال الدين» (نقيب الشام) :

رئيس وقته في العلم والجاه ، ووحيد دهره في سؤدده وعلاه ، كان عالمًا محققًا ، وحبرًا مدققًا ، غوّاصًا على المسائل ، كثير التبحر ، مملوءًا معارفَ وفنونًا ، وقد هرعتْ لِبَابِه الطلبةُ ، وأربابُ الحاجات ، ودام على الإفادة والتحرير ، وألَّف التآليف الحسان .

وكانت وفاته سنة خمس وثمانين وألف بدمشق ، ودفن بمقبرة الفراديس – رحمه الله – (٩) .

٦ – «محمد بن يحيى» الملقب بـ «نجم الدين» :

قال «المحبي» : كان أعظمَ شيخ أدركناه ، واستفدنا منه ، وكان في العلم والتقوى والزهد فردَ الزمان ، وواحد الأقران ، ولم أرَ مثله في تفهيم الطلبة ، والحرص على تهذيب قرائحهم ، وجبر خواطرهم ، مع أنه كان حادَّ المزاج ، سريع الانفعال ، لكنه يرضى في الحال ، ويتلافى ما كان منه .

وهو في علم العربية فارسُ ميدانها ، والمجلِّي (١٠) يوم رهانها ، لم يكن أحدٌ مثلَه فيها ، له الاطلاع التام على قوادمها وخوافيها (١١)، وله في الحديث والفقه فضل لا يردّ،

وأما في الفرائض والحساب ففضائله فيها جاوزت الحد والعد .

وكانت وفاته سنة تسعين وألف بدمشق ، ودفن بمقبرة باب الصغير (١٢) .

٧ – «يس بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن عليم» الحمصي الشافعي ، الشهير بـ «العليمي» :

مولده بحمص ، ورحل مع والده إلى مصر ، ونشأ بها . إمام بليغ ، شيخُ العربية ، وقدوة أرباب المعاني والبيان ، المشار إليه بالبنان في محفل التبيان .

وكان ذكيًا حسن الفهم ، برع في العلوم العقلية ، وشارك في الأصول والفقه ، وتصدَّر لإقراء العلوم في الأزهر . وكان مطبوعًا على الحلم والتواضع .

له كتب مفيدة ، منها : «حاشية على المطول» ، و«حاشية على شرح التوضيح» ، و«حاشية على شرح القطر للفاكهي» .

وكان مغرمًا بالطيب ، وإذا دخل الجامع الأزهر يَشم مَنْ بصدره رائحةَ المسك والعنبر والغالية ، فيَعْلم أهلُ الجامع بقدومه . وكانت وفاته سنة إحدى وستين وألف (١٣).

وفاته وأهله

أصابت «البغداديَّ» وهو مقيم في «أدرنة» علةٌ شديدة ، قاسى منها آلامًا شديدة ، ولم يبق طبيب حتى باشر معالجته .

وفي أثناء ذلك ذهب إلى «معرة مصرين» – بليدة قريبة من حلب – ثم عاد إلى بلاد الروم ، فابتلي برمد في عينيه حتى قارب أن يكف ، وذلك سنة سبع وثمانين وألف .

وانقطع بذلك نحو شهر عن التأليف ، ثم برئ بعد ذلك وسافر إلى «القسطنطينية» سنة إحدى وتسعين وألف ثم سافر عن طريق البحر إلى مصر ، ولم تطل إقامته بها حتى توفي في أحد الربيعين من سنة ثلاث وتسعين وألف – رحمه الله – .

ولم أعثر في المصادر عن أخبار والدي «عبدالقادر» .

أما هو فقد تزوَّج قبل سنة ١٠٦١هـ ، ورزق أربعة أولاد . وُلد أولهم في ثاني عشر ربيع الأول سنة ١٠٦١هـ فسماه «مصطفى» وكنَّاه بـ «أبي الهدى» . وولُد ثانيهم في يوم الخميس السادس من شهر رمضان المبارك سنة ١٠٦٣هـ فسماه «عليًا» وكناه بـ «أبي الفضل» ، والثالث اسمه

«أحمد» وقد رافقه سنة ١٠٨٤هـ إلى إستانبول ، والرابع اسمه «محمد» ، وقد استنسخ بعض مؤلفات أبيه من خطه(١٤) .

مكتبة البغدادي

بعد وفاة «الشهاب» تَمَلَّكَ «البغداديُّ» أكثرَ كتبه ، كما جمع كتبًا كثيرة غيرها وكان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة .

والناظر حين ينظر إلى ثبت مكتبة «البغدادي» يقف وقفة العجب والدهشة ، لما حواه من نوادر التصنيف ، وعجائب التأليف .

وكان «البغداديُّ» قد كتب بعض الكتب بخط يده ، ومن تلك الكتب :

• كتاب «الأصنام» لابن السائب الكلبي . المتوفَّى سنة ٢٠٤، أو ٢٠٦هـ .

■ قونية ٤٨٧٩ (من ص ١١٨ – ١٣٣) .

حققه الأستاذ أحمد زكي باشا . وطبع في بولاق . وطبع ثانية بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م(١٥) .

• كتاب «فرحة الأديب»(١٦) لـ «أبي محمد الأعرابي» (كان حيًا سنة ٤٣٠هـ)

■ دار الكتب المصرية برقم (٧٨ مجاميع م) في (٥٨ ق) . وقد أنجز «البغداديُّ» كتابته في تسعة أيَّام . كما ذَكَرَ في خاتمته .

حققه د . محمد علي سلطاني . وطبع بدمشق في دار الكتاب ١٤٠١هـ .

مؤلفاته

كان أبرز سمات «البغدادي» في تآليفه هو شرح شواهد العربية ، في إسهاب وعناية وتحقيق مع ترجمة قائليها .

وكان «البغداديُّ» حريصًا على إثبات تواريخ تأليف كُتُبه في بدئها وختامها .

• وهذا بيانٌ بمؤلَّفاته التي وقفت عليها وأماكن وجودها :

١ – (الأبيات التي وقعت في شرح : بانت سعاد) .

كوبريلي ١٣٠١، ١٣٠٢ . أُلِّفت سنة ١٠٨٠هـ – ١٠٨٢هـ .

شهيد علي ٢٨٣٦ / ٧ (صفحة ١٠٤ – ١١٢) أُلفت سنة ١٠٨٢هـ .

أدرنه ، سليميه ١٢٢٨ .

٢ – (تخريج الأبيات التي استشهد بها «الرضي» في شرح الكافية) أتمه سنة ١٠٧٢هـ . منه نسختان في إستانبول : إحداهما بخط المؤلف ، والثانية بخط ابنه محمد .

٣ – (تخريج الأحاديث والآثار التي في شرح الوردية لـ «ابن الوردي») . مخطوط في تركيا .

٤ – (تخريج أحاديث الرضي شرح الكافية) .

منه نسختان : **الأولى** : محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٥١٢ (حديث) عدد صفحاتها /٢١ / وعدد أسطرها يتراوح فيما بين (١٨ – ٣٠)، وعدد كلمات السطر يتراوح فيما بين (١٨ – ٢٠) . ويوجد بين مباحثها بياض ، قد يكتب فيه (زبرجد) ورقمَ صفحة . لذا جاءت هذه النسخة مختصرة جدًا . والظاهر أن المؤلف كتبها أولاً ، ثم كتبها ثانيًا مع الإضافات التي أخذها من كتاب «عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد» .

الثانية : محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات) بالرياض تحت رقم ٢٦٨٦ (حديث) ، وعدد صفحاتها / ٨٠ / وعدد أسطرها يتراوح فيما بين (٢١ – ٢٣) وعدد كلمات السطر يتراوح فيما بين (١٠ – ١٣) ، وقد حققتها .

٥ – (تخريج كلام سيدنا «علي» في شرح الكافية) .

محفوظة في جامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم ٢٦٨٦ (حديث) . نُسِخَتْ بعد نسخة «تخريج أحاديث الرضي» وناسخهما واحد ، وعدد صفحاتها / ٥٨/.

وتوجد في استانبول منها نسختان : إحداهما بخط المؤلف ، والأخرى بخط ابنه محمد . وقد حققتها .

٦ – (تراجم العلماء والشعراء التي وقعت في شرح : بانت سعاد)

شهيد علي ٢٨٣٦ / ٨ (صفحة ١١٤ – ١١٧) مرتبة على حروف المعجم (١٧) .

٧ – (حاشية على شرح : بانت سعاد لـ «ابن هشام») .

بَدْءُ تأليفها عام ١٠٧٩هـ وإتمامها عام ١٠٨١هـ .

ـ مكتبة كوبريلي في مجلدين تحت رقم ١٣٠١ ،

١٣٠٢ ، وهي بخط ولد المؤلف ، وعليها تصحيحات بخط المؤلف .
ـ مكتبة راغب باشا تحت رقم ١٠٨٩ .
ـ مكتبة أيا صوفيا تحت رقم ٤٠٩٦ .
ـ مكتبة نور عثمانية تحت رقم ٣٧٦٥ .
ـ راجيور بالهند .
ـ الخزانة التيمورية تحت رقم ٧٤٦ شعر .
ـ عارف حكمت ٩ قصائد نبوية .
منه فلم برقم ١٧٩ مخطوطات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض .
وقد طبعت بتحقيق «نظيف محرَّم خواجه» في مطابع صادر - بيروت ١٤٠٠هـ .

٨ - (خزانة الأدب ، ولبُّ لسان العرب)
بَدْءُ تأليفها عام ١٠٧٣هـ وإتمامها ١٠٧٩هـ .
ـ مكتبة دار الكتب المصرية تحت رقم (١ ش نحو) كاملة وعليها تملك محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي .المجاور بالمدينة المنورة .
ـ ومنها الجزء الثالث من (الموصول) إلى (المصدر) برقم (١٣ ش نحو) في دار الكتب .
ـ مكتبة راغب باشا تحت الأرقام ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ .
ـ طبعت في بولاق سنة ١٢٩٩ في أربعة مجلدات .
ـ ثم طبعت منها أربعة مجلدات تمثل ثلثها في المطبعة السلفية من سنة ١٣٤٧ - ١٣٥١ بتحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون .
ـ وطبعت طبعة ثالثة بعناية الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد . في جزأين استوعبا الجزء الأول من طبعة بولاق سنة ١٣٤٧هـ .
ـ وطبعت طبعة رابعة كاملة بتحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون وفهرسته ، بلغت ثلاثة عشر جزءًا في القاهرة من سنة ١٣٨٧هـ - ١٤٠٦هـ .

٩ - (رسالة في معنى التلميذ) .
ـ دار الكتب المصرية ، ثلاث نسخ بالأرقام : (٦ مجاميع ش) و ١٨١ مجاميع ، و ١٢٢ مجاميع .
وهذه الرسالة تبحث فيما يتعلق بكلمة «التلميذ» ومادتها وتأصيلها لغويًا .
نشرها الأستاذ عبدالسلام هارون مرتين :
إحداهما في (مجلة المقتطف) (عدد مارس سنة ١٩٥٤م) والأخرى في (نوادر المخطوطات) .

١٠ - (شرح أبيات مغني اللبيب) .
بدء تأليفه سنة ١٠٨٦هـ ، وتمامه سنة ١٠٩١هـ .
ـ أيا صوفيا تحت رقم ٤٤٨٩ / ٨١٢ K y .
ـ مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة .
ـ دار الكتب المصرية . رقمها الخاص (٢ ش نحو) والعام ٤٢٧٤٧
ـ طبع بتحقيق الأستاذين : عبدالعزيز رباح ، وأحمد دقاق .
طبع دار المأمون للتراث بدمشق . الأولى من ١٣٩٣ - ١٤٠١هـ .

١١ - (شرح التحفة الشاهدية) (١٨) المنظومة باللغة التركية. وقد تخللها بعض الألفاظ الفارسية على عدة بحور عروضية عربية مختلفة (في فن التصوف) .
و «المحبي» في «خلاصة الأثر» (٢ : ٤٥٣) سماه «شرح الشاهدي الجامع بين الفارسي والتركي» .
ـ المكتبة التيمورية ، برقم (٥ لغات) .

١٢ - (شرح شواهد شرح التحفة الوردية) (في النحو) أتمه تأليفًا ١٠٨٧هـ .
ـ دار الكتب المصرية فيها ثلاث نسخ بالأرقام : (١١١٣ نحو) غير كامل بخط المؤلف (١١٤٣ نحو) و(٢٧٣ نحو) تيمور . و «التحفة الوردية» مقدمة في النحو ، اختصر فيها «ابن الوردي» : «اللمحة البدرية» لـ «أبي حيان» و «التحفة» منظومة .
وقد طبعت بتحقيق : نظيف محرّم خواجه . جامعة إستانبول ، كلية الآداب . المعهد الشرقي .

١٣ - (شرح شواهد شرح الشافية) لـ «الرضي» .
بدء تأليفها سنة ١٠٧٩هـ وتمامه ١٠٨٠هـ .
ـ دار الكتب المصرية . فيها نسختان برقم (٤ ش مجاميع) و (٢٨٥ صرف) . وطبع بتحقيق الأساتذة : محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محي الدين عبدالحميد . بمطبعة حجازي بمصر سنة ١٣٥٦هـ .

١٤ - (شرح الكعبية)
«هدية العارفين» (١ : ٦٠٢) .

١٥ - (شرح لغة شاهدي) .
بالعربية والتركية . أتمه تأليفًا سنة ١٠٨٧هـ تقريبًا .
ـ في تركيا .

١٦ - (شرح مقصورة ابن دُرَيْد) .
قال «البغدادي» في «خزانة الأدب» (٣ : ١١٩) وقد شرحتها أنا شرحًا موجزًا مع إيضاح وافٍ وتبيين شافٍ ، في أيَّام الشبيبة .

١٧ - (شواهد المغني على ترتيب الأبواب والهجاء) .
ـ في تركيا .

١٨ - (فهرست الأبيات التي وقعت في شرح الشافية للرضي والجاربردي) .
ـ في تركيا .

١٩ - (فهرست أسماء الشعراء الذين استشهد «الرضي» بشعرهم في شرح الكافية) .
ـ إستانبول . نقلت عن مسوّدة المؤلِّف .

٢٠ - (فهرست تراجم الشعراء الذين ترجمهم في شرح شواهد الشافية لـ «الرضي» و لـ «الجاربردي») .
ـ تركيا .

٢١ - فهرست تراجم العلماء والشعراء التي وقعت في شرح : بانت سعاد) .
ـ إستانبول . بخط المؤلف .
(فهرست أسماء شعراء : بانت سعاد) .
ـ يوجد في : رئيس الكتاب ١١٧٨/ ٤ (صفحة ٦٤ - ٧١) من سنة ١٠٨٩هـ . مرتب وفقًا للأبيات [١٩] .

٢٢ - (كتاب في التراجم) بلا عنوان .
ـ مكتبة عاشر أفندي (١: ٦٢٧)، بروكلمان (٢: ٣٠٧) النسخة الألمانية .

٢٣ - (لغة شاهنامه) [٢٠] شَرَحَ فيه باللغة التركية غريب الألفاظ الفارسية الواقعة في كتاب شاهنامه . وذكر فيه أنه ألَّفه سنة ١٠٦٧ ، وكان إذ ذاك في مصر .
ـ مكتبة رئيس الكتاب في إستانبول ، بخط المؤلف تحت رقم ١١١٢ .
ـ أدرنه . كتبت في حياة المؤلف سنة ١٠٨٢ .
نَشَرَ هذا الكتاب المستشرق الروسي «كارل زاليمان» في بطرسبرج سنة ١٨٩٥ .

٢٤ - (مقصد المرام في عجائب الأهرام) .
ـ مكتبة شهيد علي باشا ، تحت رقم ٢٧٣٣ بخط ابن المؤلف . كتبت عام ١١٠١هـ .
«هدية العارفين» (١ : ٦٠٢) .

أهم مصادر البحث ومراجعه

ـ «الأعلام» للزركلي - الرابعة - دار العلم للملايين ١٩٧٩م .
ـ «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين . نقله إلى العربية د/محمود فهمي حجازي - ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ .
ـ «حاشية على شرح بانت سعاد» للبغدادي - ت نظيف محرم خواجه . دار صادر- بيروت ١٤٠٠هـ (المقدمة).
ـ «خزانة الأدب» للبغدادي - ت عبدالسلام هارون - دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٨٧هـ .
ـ «خلاصة الأثر» للمحبي - الوهبية بمصر ١٢٨٤هـ .
ـ «شرح أبيات مغني اللبيب» للبغدادي . ت / عبدالعزيز رباح ، وأحمد يوسف الدقاق . ط محمد هاشم الكتبي . الأولى . دمشق ١٣٩٨هـ .
ـ «كشف الظنون» لكاتب جلبي . المثنى - تصوير - بيروت.
ـ «فهرس الكتب الموجودة بالدار لغاية شهر سبتمبر سنة ١٩٢٥م وملحقه . ط دار الكتب المصرية بالقاهرة . الأولى ١٣٤٥هـ .
ـ «فهرست المخطوطات» في دار الكتب من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥م . تصنيف فؤاد سيد . ط دار الكتب ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .
ـ «فهرست المخطوطات» المصورة في النحو والصرف واللغة والعروض . إعداد د / علي البواب . ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٧هـ .
ـ «فهرست المخطوطات» النحو والصرف واللغة والعروض إعداد د / علي البواب . ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الأولى ١٤٠٧هـ .
ـ «معجم المؤلفين» لكحالة . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
ـ «معجم المطبوعات العربية والمعربة» لسركيس ط سركيس بمصر ١٣٤٦هـ .
ـ «هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي . إستانبول ١٩٥١م .

الهوامش

١ – هكذا ورد اسمه في آخر حاشيته على شرح بانت سعاد .

٢ – قال «المحبيُّ» : «ولم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين ، وقانون الشريعة مثله ، صعبًا شديدًا في أمور الشرع ، سهلاً في أمور الدين ... وملك من نفائس الكتب وعجائب الذخائر ما لا يدخل تحت الحصر ، ولا يضبط بالإحصاء» «خلاصة الأثر» ١ : ٣٥٣ .

وقال «المحبي» أيضًا : «وكان قبل وفاته وقف كتبه ووضعها في خزانة بتربة القسطنطينية ، ورتب لها أربعة حفاظ ، وفيها من نفائس الكتب ما لا يوجد في مكان . وأخبرني بعض من أثق به أنها خمنت بأربعين ألف قرش» «خلاصة الأثر» (١ : ٣٥٦) .

٣ – ذكرت شيوخ البغدادي مرتبًا لها ترتيب ألف باء تاء .

٤ – «خلاصة الأثر» (١ : ٤٥ – ٤٦) .

٥ – «خلاصة الأثر» (١ : ٣٣١ – ٣٤٣ ، ٢ : ٤٥٢) .

٦ – «خلاصة الأثر» (٣ : ١٧٥) .

٧ – «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» لشمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي المتوفّى سنة ١٠٠٤هـ ، و«المنهاج» للنووي . وقد شرحه «ابن حجر الهيتمي» وأسماه بـ «تحفة المحتاج» .

٨ – «خلاصة الأثر» (٣ : ١٧٤ – ١٧٧) .

٩ – «خلاصة الأثر» (٤ : ١٢٤ – ١٣١) .

١٠ – المُجلِّي : السابقُ في الحلبة . «القاموس» (جلى) .

١١– قَوادِمُ الطيـر : الريش في كُلِّ جَنَاحٍ . الواحـدةُ : قـادِمَةٌ . «المصباح» (ص : ٤٩٤) . والخوافي : مادون الريشات العشرِ من مـقـدَّم الجناح . «الصـحـاح» (خـفي) . (٦ : ٢٣٣٠) ، أوريشات إذ ضَمَّ الطائرُ جناحَيْهِ خَفِيَتْ . «القاموس» (خفي) .

١٢ – «خلاصة الأثر» (٤ : ٢٦٥ – ٢٦٦) .

١٣ – «خلاصة الأثر» (٤ : ٤٩١ – ٤٩٢) .

١٤ – انظر مقدمة «حاشية على شرح بانت سعاد» (١ : ٩) .

١٥ – انظر «معجم المطبوعات العربية والمعربة» (١ : ٢٢٧) و«تاريخ التراث العربي» المجلد الأول ، الجزء الثاني (ص : ٥٣) .

١٦ – «خلاصة الأثر» (٢ : ٤٥٢) .

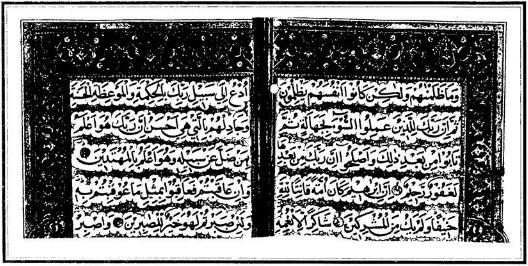
١٧ – انظر «تاريخ التراث العربي» المجلد الثاني ، الجزء الثاني (ص : ٢١٤) .

١٨ – منسوبة إلى مؤلفها «الشاهدي» واسمه «إبراهيم دده» ، وهو أديب تركي من بلدة «مغلة» ، وكان من المولوية .

١٩ – انظر «تاريخ التراث العربي» المجلد الثاني ، الجزء الثاني (ص : ٢١٤) .

٢٠ – ملحمة فارسية في نحو ستين ألف بيت من الشعر الفارسي من بحر المتقارب على نظام المثنوي . نظمها «أبو القاسم الفردوسي» – ٤١١ ، أو ٤١٦هـ . سرد فيها تاريخ الفرس منذ بدء الخليقة حتى نهاية الدولة السامانية . وتناول في أولها التاريخ الأسطوري القديم للفرس المتمثل في الدولة البيشادية والكيانية .

انظر «تاريخ الأدب الفارسي» د/ رضا زاده . ترجمة د/ هنداوي (ص : ٤٩ – ٦١) ، ومقدمة تحقيق «خزانة الأدب» (١ : ١٦) .





جغرافية التجارة الخارجية لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

محمد بن عبدالله الفاضل

الفاضل ، محمد بن عبدالله / جغرافية التجارة الخارجية لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية : في الفترة ١٣٩٥ - ١٤٠٥هـ / ٧٥ - ١٩٨٥م .- رسالة (دكتوراه) .- إشراف محمد محمد زهرة .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .- ٧١٧ ورقة .

تشتمل هذه الرسالة على مقدمة وتسعة فصول ، وقد احتوت المقدمة على تحديد لمنطقة الدراسة ثم عرض لأسباب اختيار الموضوع وكذلك أهداف البحث وأهميته وفروضه مع استعراض للدراسات السابقة والمصادر الإحصائية التي تم الاعتماد عليها والمنهج الذي تم اتباعه أثناء الدراسة مع ذكر الدراسة الميدانية التي تم إجراؤها وكذلك أساليب الدراسة في هذا البحث ؛ وأخيراً ذكر أهم المشكلات والصعوبات التي واجهها الباحث أثناء دراسته .

أما الفصل الأول فقد تم تخصيصه لدراسة الجغرافيا الطبيعية لدول المجلس لما لهذه الدراسة من أهمية كبيرة في العديد من الدراسات الجغرافية البشرية والاقتصادية المختلفة ، وقد تمت دراسة عناصر هذه الجغرافيا ، وقدم الباحث خلفية طبيعية موظفة توظيفاً يمكنها من خدمة موضوع التجارة الخارجية في دول المجلس ، وقد اشتملت عناصر هذه الجغرافيا الموقع والتركيب الجيولوجي ، وكذلك عرض لأهم مظاهر السطح في أراضي تلك الدول مع دراسة لعناصر المناخ والتربة وموارد المياه فيها .

وفي الفصل الثاني من هذا البحث تمت دراسة الجغرافيا التاريخية للتجارة الخارجية في دول المجلس ، وقد اشتمل على دراسة التجارة الخارجية في دول المجلس في مدة عصر ما قبل الإسلام ، وفي عهد الحضارة الإسلامية ثم في مرحلة النفوذ الأوربي في الخليج، وكذلك عصر التجارة الخارجية في مطلع القرن العشرين . وفي مرحلة ما بعد اكتشاف النفط ؛ وأخيراً في مدة إعداد الدراسة ، وقد حاول الباحث في تلك الدراسة التركيز على الثوابت والمتغيرات الجغرافية ذات العلاقة بالتجارة الخارجية في تلك المراحل التاريخية .

أما في الفصل الثالث فقد تم استعراض العوامل التي تدفع إلى التبادل التجاري بين دول المجلس وبقية المجموعات الاقتصادية الدولية وبين بعضها البعض، وهي تشمل مجموعة من العوامل التي تدفع في مجملها إلى التبادل التجاري وأساسها يتلخص في كلمة الاختلاف والتباين في إنتاج تلك الدول من مختلف الموارد الاقتصادية وفق طبيعة كل مورد وفي ظروف الإنتاج والعوامل التي تتحكم في نوعيته وكميته ، وتشمل تلك العوامل موارد الثروة الاقتصادية واختلافها ومدى كفايتها في دول المجلس ، وكذلك عدد السكان ونمط استهلاكهم واحتياجاتهم وأثر ذلك في عمليات التجارة الخارجية بشقيها الصادر والوارد .

وفي الفصل الرابع تم استعراض العوامل التي تشكل التجارة الخارجية ويأتي في مقدمتها الأمن والاستقرار وكرامة الفرد في دول المجلس وحريته في ظل أنظمة سياسية واقتصادية تعتمد في مواردها على الشريعة الإسلامية .

كما تم استعراض سياسات حكومات تلك الدول فيما يتعلق بالتجارة الخارجية ، وذكر الاتفاقات الاقتصادية البينية والإقليمية والدولية مع استعراض لدور الغرف التجارية في تنمية التبادل التجاري ، كما تمت دراسة الموانئ والنقل والمواصلات في دول المجلس بوصفها أحد عناصر ذلك الفصل .

أما **الفصل الخامس** فقد تم تخصيصه لعرض تطور البنية الاقتصادية وحجم التجارة الخارجية والميزان التجاري في دول المجلس إذ إن البنية الاقتصادية لتلك الدول تعد من العوامل المهمة في التجارة الخارجية ، وذلك من خلال إسهام الأنشطة الاقتصادية المختلفة في الناتج المحلي الإجمالي ، وكذلك من خلال إسهام التجارة الخارجية في النشاط الاقتصادي ونسبة وحجم تلك التجارة في ذلك الناتج ، كما تم استعراض كل من تطور حجم التجارة والميزان التجاري .

وفي **الفصل السادس** تمت دراسة التكوين السلعي لكل من الصادرات والواردات في دول المجلس مع ذكر التوزيع النسبي لقيمة كل منها ومؤشر التركز السلعي ومعامل التخصص في كل منها ، وقد تمت دراسة هذا الفصل بشيء من التفصيل ، وذلك نظراً لما للتكوين السلعي وتطوره في أية دولة من أهمية إذ يتوقف على معرفته مدى التقدم الذي حدث في الهيكل الإنتاجي الاقتصادي لدوله إذ إنه في دول المجلس تشكل كل من الصادرات والواردات محوري اقتصادها وأساس نموها فصادراتها هي مصدر إيراداتها وعليها تبنى خططها الإنمائية وعلى وارداتها تعتمد في تلبية احتياجاتها المختلفة لتنفيذ تلك الخطط ورفع المستوى المعيشي لأبنائها وتهيئة أفضل سبل الحياة الكريمة .

أما **الفصل السابع** فقد تم فيه دراسة التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية في دول المجلس ، وقد كان ذلك بشيء من التفصيل أيضاً ، وذلك نظراً لأن موضوعات التوزيع الجغرافي أحد الموضوعات الأصلية في الدراسات الجغرافية وهي كذلك في التجارة الخارجية ، حيث تبرز أوجه الكفاءة والقصور في الإنتاج والاستهلاك وما يترتب على ذلك من فائض أو عجز في الصادرات أو الواردات في تلك الدول ، وقد كانت البوابة في دراسة التوزيع الجغرافي للصادرات من دول المجلس مجتمعة ومنفردة إلى المجموعات الاقتصادية العالمية وهي ست مجموعات تضم جميع دول العالم ، ثم تلا ذلك دراسة توزيع الواردات إلى دول المجلس من تلك المجموعات الاقتصادية . كما تمت دراسة التوزيع الجغرافي للتجارة البينية لدول المجلس وهو ما يعرف بالتجارة الداخلية وذلك في **الفصل الثامن** من هذا البحث ، وقد كانت أيضاً دراسة تفصيلية لكل دولة من دول المجلس . وبعد هذه الدراسة التفصيلية لموضوعات التجارة الخارجية في الفصول السابقة كان لابد من استعراض أثر تلك التجارة في التنمية الاقتصادية في دول المجلس وهو ما تمت دراسته في **الفصل التاسع** ؛ ذلك أن الدارس لحجم التجارة الخارجية لدول المجلس لابد أن يتضح له أثر تلك التجارة في التنمية الاقتصادية وفي تنفيذ خططها الاقتصادية والاجتماعية والتعليم ونهضتها العمرانية خاصة في مدة الدراسة حيث إنها مدة القمة في إنتاج البترول وتصديره ، وبالتالي قمة زيادة عائداته والتي انعكست على موازين المدفوعات والدخول والاحتياطيات المالية لهذه الدول فضلاً عن زيادة دخل الأفراد من أبنائها والمقيمين فيها مما كان له أثر في زيادة الإنفاق الحكومي في شتى المجالات وفي جميع دول المجلس ، وقد قام الباحث بذكر ثلاثة آثار ، هي :

١ – أثر هذه التجارة الخارجية في الاقتصاد الوطني عن طريق إسهامها في ميزانيات حكومات دول المجلس كل على حدة خلال سنوات الدراسة مع ذكر متوسط نصيب الفرد من قيمة إجمالي الناتج المحلي مع بيان أثرها في زيادة العون الإنمائي الخارجي في دول المجلس إلى الدول العربية والإسلامية ودول العالم الثالث .

٢ – أثر التجارة الخارجية في تنفيذ مشروعات البنية الأساسية التي أهمها الخدمات الصحية وخدمات الماء والكهرباء والمواصلات والاتصالات والخدمات والتعليم ، وذلك في كل دولة على حدة وفي كل سنة من سنوات الدراسة أيضاً .

٣ – أثر التجارة الخارجية في تنفيذ المشروعات الاقتصادية الإنتاجية .

وفي نهاية البحث أورد الباحث خاتمة اشتملت على محصلة نهائية مختصرة عن جغرافية التجارة الخارجية حيث اتضح أن مفتاح التجارة الخارجية في دول المجلس يبدأ بالبترول الذي استمرت صادراته في زيادة تصاعدية حتى بلغت قمتها في عام ١٩٨١م ، كما أن عائدات تلك الصادرات قد أخذت الاتجاه نفسه ، أما أدنى مستوى لها فقد كان في آخر سنة من سنوات الدراسة وهي عام ١٩٨٥م ، وقد كانت المملكة العربية السعودية أكثر تلك الدول إنتاجاً وأكثرها عائداً حيث إن حجم التجارة الخارجية يشكل أكثر من ٦٠ ٪ من حجم التجارة

الخارجية في جميع دول المجلس ، كما اتضح للباحث في تلك الخاتمة أن هناك علاقة ارتباط قوية بين صادرات البترول وبين ما أنفق على الواردت ، وإذا كانت الصادرات أحادية إلى حد بعيد حيث يشكل البترول أكثر من ٩٠٪ من إجمالي الصادرات فإن الواردات ليست كذلك ؛ بل إنها متنوعة ويرجع ذلك في الصادرات إلى منة من الله ثم إلى الظروف الجيولوجية . أما الواردات فإنها تخضع لعمليات التنمية الشاملة وإنفاق الدولة وكذلك إنفاق الأفراد ، كما أن لمشروعات البنية الأساسية والإنتاجية ومجالات ورغبات الأفراد وأساسيات الحياة كالمواد الغذائية إضافة إلى رفاهية السكان دورًا كبيرًا في ذلك ، كما أن بعض السلع الكمالية أصبحت ضرورية للكثير منهم ، ولذا نجد تنوعًا في الواردات وليس تركيزًا كما هو في الصادرات .

كما اتضح للباحث أيضًا في تلك الخاتمة أن مجموعة الدول الصناعية هي أكثر الدول احتياجًا للبترول ومنتجاته، ولذا فإننا نجدها أكثر المجموعات استيرادًا له حيث تحظى كل من اليابان والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة بنسبة كبيرة . كما أن واردات دول المجلس من تلك المجموعة الاقتصادية تأتي في مقدمة المجموعات الأخرى .

كما يتضح للباحث أيضًا أن ظروف التشابه في الإنتاج الاقتصادي بين دول المجلس قد أدت إلى انخفاض مستوى التجارة البينية فيما بينها غير أن الاتفاقية الاقتصادية الموحدة التي بدأ العمل بها في السنوات الأخيرة من مدة البحث سوف تدفع بتلك التجارة إلى مستويات أعلى مما كانت عليه سابقًا ، وأخيرًا تبين للباحث أن معادلة التجارة الخارجية في دول المجلس يمكن أن تكون عمومًا صادرات من البترول تستقبلها معظم الدول الصناعية وواردات متنوعة تستوردها دول المجلس من المجموعات الاقتصادية الدولية وإن كان طرفا المعادلة يختلفان بين قيمة الصادرات وقيمة الواردات ، فإن محصلة هذه المعادلة تنمية اقتصادية واجتماعية هائلة حققتها دول المجلس في تلك المدة الوجيزة مما انعكس بشكل كبير وشامل على المجتمع وعلى الأسرة والفرد في دول المجلس ومما جعلها تحتل مراتب تتناسب مع مكانتها الاقتصادية وذلك على المستوى الإقليمي والدولي .

وفي ختام هذا البحث خلص الباحث إلى مجموعة من التوصيات التي يرى الأخذ بها لتطوير التجارة الخارجية والداخلية في دول المجلس .



تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز

إبراهيم بن عويض العتيبي

العتيبي ، إبراهيم بن عويض / تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز ١٣٤٣هـ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤ - ١٩٥٣م .- رسالة (دكتوراه) .- إشراف محمد سعيد الشعفي .- الرياض : جامعة الملك سعود ، كلية الآداب ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .- ٤٣٩ ورقة .

وتتكون هذه الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وملاحق :

الفصل الأول : مقدمة تاريخية مختصرة تتناول مجمل الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولتين السعوديتين الأولى والثانية ، ويتطرق إلى الأوضاع السياسية التي أسهمت في قيام الدولة السعودية الثالثة وعلاقة مؤسسها الملك عبدالعزيز مع القوى الخارجية والداخلية ، وكيف استثمر هذه العلاقة متجنبًا الأخطاء التي وقع فيها أسلافه مما مكنه من تأسيس المملكة العربية السعودية بعد صراع استمر ثلث قرن .

الفصل الثاني : عن التنظيم الإداري ، ويبحث في الروافد الداخلية والخارجية التي أثرت في إدارة الملك عبدالعزيز ، ومدى تأثرها بالطابع الإسلامي والعرف الذي لا يتعارض مع الشرع ، وأثر التنظيمات الحديثة في الإدارة ، ويتتبع تطور الإدارة في الحجاز من خلال المجالس الأهلية والتشريعية والتنفيذية بدءًا بالمجلس

الأهلي عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م وانتهاء بمجلس الوزراء عام ١٣٧٣هـ الذي يمثل قيامه اكتمال عملية توحيد المملكة سياسيًا وإداريًا . وقد ناقش هذا الفصل سلطات الملك والحكومة المركزية والنيابة العامة ومجلسي الشورى والوكلاء وإدارة المقاطعات وعوامل تقسيمها ، وتحدث عن أمرء المقاطعات وصلاحياتهم .

الفصل الثالث : عن التنظيم القضائي ، ويدرس تطور النظم والتنظيم القضائي والدوائر القضائية ، وتوحيد مصادر الأحكام ، ونشوء الإدارة القضائية ممثلة في الدوائر القضائية وتقسيم المحاكم الشرعية والمحاكم الإدارية والدوائر والهيئات الدينية ، ودرجاتها وواجباتها وصلاحياتها ، كما يتتبع تطور الأنظمة القضائية التي صدرت خلال مدة البحث وأثرها في التنظيم القضائي .

الفصل الرابع : التنظيم المالي ، يتناول هذا الفصل الدوائر المالية وتطورها ، كما يتطرق إلى الدوائر التي كانت تتبع وزارة المالية ثم انفصلت عنها في مدد مختلفة ، ويعالج الموارد المالية ، ويبحث في شئون النقد ومصادر الدخل .

الفصل الخامس : تنظيم الدوائر العسكرية . وفيه عرض تاريخي لتطور القوة العسكرية سواء القوة التقليدية وتمثلها قوات الإخوان والهجانة والمجاهدين ، أو القوة النظامية الحديثة التابعة لوزارة الدفاع والطيران ، وانتهاءً بقوات الأمن الداخلي التي تمثلها حاليًا وزارة الداخلية مثل الأمن العام وسلاح الحدود .

أما الخاتمة فهي خلاصة موجزة لما أسفر عنه البحث من نتائج . ثم الملاحق وهي نصوص وثائق وتشكيلات وجداول أشير إليها في متن البحث وتمت الإحالة عليها لاستكمال المعلومات .

وحيث إن البحث تاريخي الجوهر ، فقد عني بتتبع تطور كل إدارة أو هيئة بدءًا بتاريخ تأسيسها وما طرأ عليها من تشكيلات وانتهاءً بالصورة التي وصلت إليها في نهاية المدة المخصصة للبحث ، وأحيانًا يتم تجاوز هذه المدة استكمالا للموضوع . كما أن البحث عني بنظم وتعليمات كل إدارة مبينًا صلاحياتها وواجباتها ، والاهتمام بهذا الجانب ربما كان من الأسباب التي أدت إلى عدم التعمق أحيانًا في التحليلات .

الشوارد في اللغة

لرضي الدين الصّغاني تحقيق عدنان الدوري

عبدالإله نبهان
قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة البعث – سورية

الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد / الشوارد في اللغة تحقيق عدنان عبدالرحمن الدوري. - بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م

مقدمة

اللغة منجم هائل يشتمل على الذخائر ، ويصعب أن يحوي كنوزها كتاب واحد مهما أوتي مؤلفه من العلم، واللغة أيضًا نبع ثرّ متدفق ما دامت الحياة .

وقد بلغ العرب قديمًا وحديثًا درجة عالية في العناية بلغتهم وحفظها وتدوينها وتطويرها بما يساير تطور الحياة، ولم يهملوا العناية بقديمها وذخائره النفيسة . لذلك وجدنا المجامع والمؤسسات والهيئات تنشر المعاجم القديمة تمهيدًا لنشر المعجم الكبير. وقد نشر عدد من المعجمات الكبيرة كمعجم العين وتهذيب اللغة وديوان الأدب وتكملة الصحاح وغيرها بحيث يخيّل إلى الناظر أن هذه المعجمات لم تغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصتها .

ومن المعاجم التي نشرت قبل سنوات كتاب الشوارد في اللغة الذي نشره المجمع العلمي العراقي عام ١٩٨٣م بتحقيق عدنان عبدالرحمن الدوري وقد اشتمل على النوادر التي أخلّت بها المعجمات الكبيرة ، واستمد مادته من كتب منها الموجود ومنها مالا نعرف عنه سوى الاسم، واختار تلك المادّة مما انفردت هذه الكتب بروايته من بين كتب اللغة. وزاد في قيمته الجهد الصادق الذي بذله المحقق ، والمتجلّي بتوثيق المادة اللغوية ومقارنتها بما جاء في المعجمات ، وتحديد كل لفظ انفرد كتاب الشوارد بروايته ، ومراجعة القراءات القرآنية ونسبة كل قراءة إلى صاحبها ، وضبط كل كلمة بالشكل وأحيانًا ضبط كل حرف من الكلمة . وقد قدّم المحقق للكتاب بدراسة شاملة وموجزة لعصر الصغاني وحياته وصنع ببليوجرافيا شاملة لمؤلفاته ونص على المطبوع منها ، وذكر أماكن وجود المخطوطات من آثاره . وإذا كان الصغاني قد تألق في معجميه العظيمين العباب والتكملة عالمًا مدققًا ، فهو في كتابه الشوارد لا يقلّ تألقًا عنه في معجميه الكبيرين . وسيظهر هذا في بسط تعريفنا بالكتاب وأقسامه ومصادره وقيمة مادته اللغوية المتميزة . وحبذا لو كان توزيع هذا الكتاب أكثر شيوعاً مما هو عليه لعظيم نفعه للباحثين والمهتمين بشئون اللغة ومعاجمها .

هو رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني القرشيّ الأصل ، ولد في (لاهور) في إقليم البنجاب في شمال الهند عام ٥٧٧ للهجرة . رحل مع والده صغيرًا إلى (غزنة) وكانت موطن الثقافة في الهند ، ونشأ بها وتلقّى تعليمه وسمع من عدد من علماء عصره حتى استوى عالمًا باللغة عارفًا بالنحو والتفسير والفقه ، ذا مشاركة في علوم

أخرى . وفي عام ٦٠٥هـ توجه إلى اليمن ومنها إلى مكة المكرمة وسمع الحديث على بعض علمائها ، ثم تشرّف بزيارة المدينة المنوّرة وغادرها إلى عدن ٦٠٦هـ . وعرف بحبه للسفر والتجوال فزار مقديشو واليمن ودرّس بها معالم السنن للخطابي ؛ وعاد إلى مكة عام ٦١٣هـ ثم رحل إلى بغداد عام ٦١٥هـ وحضر الجم الغفير دروسه وقرأوا عليه ، ثم أرسله الخليفة العباسي الناصر لدين الله عام ٦١٧هـ سفيرًا إلى الهند حيث أقام مدة سبع سنوات وعاد إلى بغداد عام ٦٢٤هـ . ثم أنفذه المستنصر عام ٦٢٤ برسالة إلى ملك الهند فدخل دهلي - أي دلهي - عام ٦٢٦ واستقبل استقبالاً عظيمًا . وعاد من الهند عام ٦٣٧هـ فدخل اليمن ووصل بغداد واستقرّ بها وانكبّ على التأليف، وقد منّ الله عليه بالموت قبل دخول التتار بغداد بست سنوات إذ كانت وفاته عام ٦٥٠هـ .

ألف الصغاني ثلاثة وعشرين كتابًا في اللغة، منها ما هو بحجم الرسائل الصغيرة ومنها في عدة مجلدات كبيرة. وأربعة عشر كتابًا في الحديث ، وكتابين في الفقه ، وأربعة كتب في التاريخ ، وسبعة كتب في موضوعات أخرى . أما كتبه التي طبعت فهي تكملة الصحاح ، والعباب الزاخر - طبع منه أربعة أحرف - وكتاب الشوارد ، وشرح القلادة السمطية ، وكتاب ما بنته العرب على فعال، وكتاب يفعول ، وكتاب تعزيز بيتي الحريري ، والدر الملتقَط في تبيين الغلط، ودرّ السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة .

لم يقدّم الصغاني لكتابه بمقدمة ما على خلاف عادته التي جرى عليها في كتبه الأخرى كالتكملة والعباب ويفعول ؛ وإنما بدأ كتابه بالقسم الأول .

أ - القسم الأول :

وهو [فيما قرئ في الشواذ من القراءات وعزوتُ كل قراءة إلى مَنْ قرأ بها] . وهو في هذا القسم يأتي باللغة النادرة أو المسمّاة بالشاذة ويفسّرها باللغة الفصيحة أو المشهورة ، ثم يستشهد لصحة تلك اللغة الشاذّة بقراءة قرآنية ، وغالبًا ما يعزو القراءة إلى صاحبها . وقد وردت آيات الاستشهاد مسلسلة في الترتيب على نسق ترتيبها في الكتاب العزيز . ولم يذكر الصغاني مصادره من كتب القراءات إلا أن المحقق رجح أن يكون منها مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ، والمحتسب لابن جني . ولا شك لديّ بأن مصادره كثيرة فإن مقدمته للعباب تدل على غنى المكتبة التي كانت تحت تصرّفه وكان يستفيد منها استفادة العارف الخبير . وقد ذكر قراءات لأشخاص لم يشتهروا بأنهم مقرئون ، فمثلاً ذكر قراءة لرؤبة بن العجاج الراجز ، وقراءة لأبي حيّة النميري الشاعر ، وقد علل المحقق ذلك بقوله : «ويظهر أن الصغاني وابن خالويه وابن جني وغيرهم استشهدوا بقراءة أبي حيّة النميري ورؤبة لا لكونهم مقرئين وإنما لكونهم عربًا يحتج بكلامهم في اللغة ويستشهد بشعرهم أيضاً فهم إسلاميون» ومن نماذج هذا القسم :

* المرْضى - بسكون الراء - مرضى القلب خاصة . وقرأ أبو عمرو «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا» .

* الوقيد : الوقود . وقرأ عبيد بن عمير «وقيدها الناس والحجارة» .

* ينحات : بمعنى ينحت . وقرأ الحسن «وتنحاتون الجبال بيوتاً» .

ب - القسم الثاني :

وخصصه المؤلف لما تفرّد به أبو عبدالرحمن يونس ابن حبيب النحوي [توفي ١٨٢هـ] وقد استقاه الصغاني من كتاب ليونس اسمه «كتاب اللغات» وهو مفقود اليوم ولا أثر له في مكتبات العالم . وبهذا القسم حفظ لنا الصغاني أثمن ما في كتاب «اللغات» لأنه اختار منه ما انفرد يونس بإيراده . ويسوق الصغاني الكلمات من غير ترتيب أو تنظيم فتجدها تتوالى هكذا : مُتى ، أُبَيْته ، يجِنّ ، أفوق سهمه ، يسمِت في الهداية ، لَعَمَري ... إلخ ؛ وهو يذكر الكلمة ثم يذكر ما يتعلق بها :

* مُتى - بضم الميم - لغة في متى ، في الاستفهام والشرط دون الظرف .

* يجِنّ عليه الليل - بكسر الجيم - لغة في يجُن - بضم الجيم - .

وقد نص المحقق على بعض الكلمات التي انفرد كتاب الشوارد بذكرها قال : [«تقمق : اشتكى» لم أقف عليها

فيما توفّر لديّ من كتب لغوية إلا في كتاب العباب للصغاني في مادة قمق . ونقلها الزّبيدي في التاج وقال : هكذا في العباب وقد أهمله الجماعة] .

* وقوله : «إبل فلان متالٍ ، يعنون لم تنبَح حتّى صافت» قال المحقق : فلفظة «متالٍ» لم أطلع عليها فيما توفر لي من معاجم .

* وقوله: «رتأ في مشيته : تثاقل كبرًا أو خُلُقًا» . قال المحقق : أمّا في المعاجم التي بين أيدينا فلم يكن معنى رتأ بهذا المعنى بالضبط ، ففي الصحاح : رتأت في المشي رتَأنًا مثل الرتكان : خببت .

* وقوله : «التجعير أن يستخرج ما في بطن الضبع من دبرها» . قال المحقق : ولم أقف على التجعير في المعاجم التي بين يدي حتى في العباب والتكملة .

ويلاحظ من الأمثلة أن المؤلف قد لا يأتي باللفظة المفردة ويشرحها ، بل يأتي بها في سياقها كما سجلّها يونس سماعًا من العرب فيما يبدو . وقد يكتفي بإيراد العبارة دون الشرح لأن الكلمة تفهم من السياق . وقد يشرح «يقال : إني لأمكث اليومين ما أشربهما ماءً ، أي ما أشرب فيهما ماءً ، وقد يذكر لغة ما فينسبها فيقول هي لغة لبني تميم ، وقد لا ينسبها يقول مثلاً : لعمري – بفتح العين والميم – لغةٌ في لعمري – بسكون الميم – ولم يسم أصحاب هذه اللغة .

ج – القسم الثالث :

وخصصه لما تفرّد به أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني [توفي ٢٥٥هـ تقريباً] في كتابه [تقويم المفسد والمزال عن جهته من كلام العرب] وكتاب أبي حاتم هذا مفقود أيضاً ، وقد نقل الصغاني منه ما تفرّد به أي أخذ أثمن ما فيه . وهذا القسم أصغر أقسام الكتاب حجمًا ، وهو يذكر اللفظة الشاردة – النادرة – ويلحقها بالفصيحة ، وقد يذكر النادرة والفصيحة ثم يشرحهما معًا ، وقد يأتي بلفظة ينطقها الناس على وجه الخطأ فيذكر لهم وجه الصواب فيها ، ويذكر لغةً ما وينسبها إلى قبيلة وقد لا ينسبها ، وقد تكون الشاردة عبارة تامة وليست لفظة كقولهم : رجل مالٌ ومالٍ أي ذو مال ، وامرأة مالةٌ ومالية .

ويقولون : فلان من أجمل الرجال وأحسنه . يريدون وأحسنهم ، ولا يُتكلم إلا به ، يذهبون به : وأحسن مَنْ ثمّ . وفلانة من أحسن النساء كلهنّ وأعقله ، والقياس وأحسنهم وأعقلهن .

ومن قضايا اللهجات التي يذكرها قوله : تميم تخفف كل اسم على فَعِل – بفتح الفاء وكسر العين – وفَعُل – بفتح الفاء وضم العين – يقولون في أقِط وحذِر – بكسر القاف والذال – : أقْط وحذْر – بسكونهما – .

د – القسم الرابع :

وهذا القسم مجموع من سائر كتب اللغة وشروح شوارد الأشعار ، ولم يذكر الصغاني أسماء الكتب التي استمد منها إلا أنه ذكر بعضها عرضًا ومنها المفقود اليوم ككتاب معاني الشعر لابن السراج [ت ٣١٦هـ] والمقصور والممدود للأصمعي [ت ٢١٣هـ] ومنها المطبوع كالمذكر والمؤنث لابن الأنباري [ت ٣٢٨] وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني [ت ٢١٣ تقريبًا] وكتاب «ليس في كلام العرب» لابن خالويه [ت ٣٧٠هـ] وكتاب الصحاح للجوهري [ت ٣٩٨ تقريبًا] .. وهذا القسم من أكبر أقسام الكتاب ، لم يجر فيه المؤلف على نظام معيّن ، وإنما يأتي بالألفاظ أو العبارات من غير ما تنظيم أو ترتيب ثم يشرحها ، وقد يأتي بشواهد من الشعر حسبما يتأتى له . ومن النماذج في هذا القسم قوله :

* المساحن : حجارة الذهب والفضة .
* الهال : الهائل من الرمل كجرف هارٍ أي هائر .
* ابن الدجى : الصياد .

قيمة الكتاب

هذا ويمكن القول إن كتاب الشوارد في اللغة مرجع مهم لدراسة اللغة غريبها ولهجاتها ، ولا سيما أن مؤلفه ممن عرفوا بالدقة المتناهية وشهروا بالأمانة . وزاد في قيمته ، تعليقات محققه وتدقيقاته وفهارسه المتنوعة فجمع بين دفتيه علم المتقدمين وبراعة المتأخرين .

كتاب العصا

لأسامة بن منقذ المتوفَّى سنة ٥٨٤هـ

إبراهيم السامرائي
كلية الآداب – جامعة صنعاء

ابن منقذ ، أسامة / كتاب العصا تحقيق حسن عباس .--
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م .

قدّم هذا الكتاب إلى القرّاء الدكتور محمد مصطفى هدّارة أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية ، وقد أشاد بمؤلف الكتاب وصنعته الفائقة وقيمة الكتاب في الدراسات الأدبية . ثم أشاد إشادة خاصة بالمحقق وصنعته في هذا الكتاب وحماسته في العناية بالتراث .

ثم أجيء إلى المقدمة فأجد المحقق كما حدّث عنه أستاذه هدارة منكبّاً على عمله تشغله فيه حماسة عارمة . وقد أفاد في مقدمته فأشار إلى أصول الكتاب وما كان من نشره في صنعة المستشرق الفرنسي Harlwig Derenbourg وهو «مقتطفات من كتاب العصا» ، والنشرة الموجزة لهذا الكتاب التي أخرجها الأستاذ عبدالسلام هارون مع رسائل أخرى في المجموعة الثانية من «نوادر المخطوطات» .

ثم قيض للسيد حسن عباس أن يكون له ثلاث نسخ كاملة من الكتاب فبدأ عمله في تحقيقه مفيداً من هذه الأصول الثلاثة المخطوطة .

أقول : عرفت هذا الكتاب في النشرة الموجزة التي أخرجها المستشرق الفرنسي وأفدت منها واستنسختها لنفسي وذلك في سنة ١٩٥٠ في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية في باريس . وكأن الفوائد التي وردت في تلك النشرة مما يتصل بالكتاب ومؤلفه وشعره قد أشعرتني بقيمة الأصل الذي لم يظفر به المستشرق .

وجاء محقق الكتاب حسن عباس فأشار في تقديمه إلى ما كان من عمل المستشرق الفرنسي ، ثم عرض لما قام به الأستاذ هارون وسخر منه وتهكّم واستشهد بما قاله أسامة :

«الله أكبر كيف يُغطَّى على أذهان الفضلاء فتصدر منهم هذه العجائب ؟» .

وقال المحقق :

«والحقيقة أن ما نشره عبدالسلام هارون في نوادر المخطوطات من هذا الأثر الثمين قد اعتمد فيه على نسخة زائفة وجدها أحمد أمين بين أوراق مهملة ابتاعها من أحد الورّاقين ، وقد وصفها في مقال نشره بمجلة الثقافة وأعاد نشره في (فيض الخاطر) تحت عنوان (العصا أم القضاء) بقوله :

«كراسة صغيرة كتب عليها (كتاب العصا ، لأسامة ابن منقذ) ومع الأسف استطعمتها الفيران ، فأكلت أطراف بعض ورقها ، وهي تقع في ثلاثين صفحة» .

إن هذا الأصل هو الذي استنسخه عبدالسلام هارون، ثم أهدي إلى دار الكتب المصرية كما أفاد المحقق.

وعاد المحقق إلى الكلام على نسخة هارون «الزائفة»، وعاب عليه «أنه لم يكلف نفسه عناء الحصول على نسختي الامبروزيانا وليدن ، مع أنه أشار إليهما في تقديمه للكتاب، كما أنه أشار إلى المقتطفات التي نشرها ديرنبورج ، ولعله لم يطالعها ، وإلا كانت مسئوليته أكبر ، وإلى هذا يشير جمال الدين الآلوسي بقوله : ...

أقول : وقد أثبت ما ذكره الآلوسي في كتابه «أسامة ابن منقذ» الذي ذكر فيه نشرة المستشرق في «مقتطفاته» من «كتاب العصا» وأخباره وشعره . وأشار إلى أن عبدالسلام هارون لم يطلع على هذه النشرة .

وعاد المحقق حسن عباس مرّة أخرى إلى الآلوسي وعبدالسلام هارون فقال :

«ومرّة أخرى أتساءل هل قرأ الآلوسي حقًا كتاب ديرنبورج ؟ !

ومن الواضح أن الآلوسي قد وقع في وهم آخر ، فعبدالسلام هارون يؤكد أنه نشر الكتاب كاملاً ، وأن ديرنبورج لم ينشر منه سوى مقتطفات .

أما جمال الدين الآلوسي فيقرر في ثقة زائدة أن ديرنبورج قد نشر الكتاب كاملاً ثم جاء عبدالسلام هارون فنشره كاملاً أيضاً عن نسخة لنا بخس الكتاب حقه فقال:

«كتاب العصا باصطلاحنا اليوم نسميه مقالة ، إذ لا يخرج عن كونه مقالة أدبية جمعت مادتها من النصوص الأدبية في استعمال العصا» (١) .

ثم خلص المحقق حسن عباس إلى القول :

«ولست أدري أمن الخير لعبدالسلام هارون وجمال الدين الآلوسي أن نصدّق أنهما طالعا الكتاب ، أم نكذبهما ؟» .

أقول مستميحًا القارئ : إنيّ أطلت في شيء كان ينبغي ألا يكون في مقدمة قدّم بها المحقق حسن عباس لكتاب العصا . وكان يلزمه من هذا كله حاشية موجزة أو حاشيتان يشير فيهما إلى أن الكتاب نشر بإيجاز من لدن المستشرق ومن لدن عبدالسلام هارون ، لأنهما لم يظفرا بالأصل الواسع في النسخ الخطية التي أفاد منها صاحبنا المحقق الأستاذ حسن عباس .

إن التوسع بشأن صنعة عبدالسلام مع شيء من الإشارة إلى أنه لم يحسن صنعته تزيّد لا يخلو من الإساءة ، والمحقق حسن عباس لا يهمه هذا الأمر والاجتزاء بحاشية أو حاشيتين يكفي ويجزئ عن هذه الإفاضة التي تجاوز فيها المحقق حدّ العلم .

ولم يقتصر المحقق على هذه الصفحات في الكلام على ما صنعه عبدالسلام هارون ، بل تجاوز ذلك إلى شيء آخر وهو تعريضه بمن عدّ صنعة عبدالسلام هارون كاملة ، عدا الآلوسي فقال : «منهم عدا الآلوسي شوقي ضيف حيث قال عن كتاب العصا :

نشر عبدالسلام هارون هذا الكتاب في المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات التي ينشرها في أجزاء» (٢) .

ثم أورد المحقق حسن عباس أسماء الذين اعتمدوا عليها فيما صنفوا وحققوا فقال :

«والباحث محمود عبدالله جفال في رسالته عن حياة أسامة وشعره ، كما اعتمد عليها في تحقيق خريدة الفخر، والمثل السائر وأشار إليها محمد زغلول سلام . أما عمر موسى باشا فيبدو أنه لم يعلم بنشرة عبدالسلام هارون وظن أن ديرنبورج قد نشر الكتاب كاملاً ، وذلك في كتابه (أدب الدول المتتابعة) في الصفحة ٨٠ وقبله توهّم كرد علي أن كتاب العصا مطبوع .

وكان طاهر النعساني أسبق من عبدالسلام في محاولة نشر كتاب العصا اعتماداً على نشرة ديرنبورج»(٣) .

وقد أورد المحقق كلام النعساني ، وكيف عثر على كتاب العصا في نشرة ديرنبورج وهو في ستة أسطر ثم عاد المحقق إلى صنعة ديرنبورج وما كان من أمرها وما ألحق بها وأشار إلى أن المستشرق قد ترجمها إلى الفرنسية مع رسالتين كانتا بين أسامة والقاضي الفاضل . وذكر بعض قول المستشرق في صنعته هذه .

أقول : انتهى المحقق من كل هذا بعد أن شغل نفسه بما يقرب من ست صفحات في أمر النشرة «الزائفة» للرسالة التي قام بها عبدالسلام هارون . وكان في طوقه أن يشير إلى جملة هذا في حاشية أو حاشيتين . غير أنه عمد إلى كل هذا لينال من صنعة عبدالسلام في هذه النشرة ، ولعله أراد أن يشير إلى عامة ما أنجزه من تحقيقات ، إن القارئ يجهل السبب الذي حدا المحقق أن يتوسع في هذا الذي لا يقتضيه عمله في تحقيق الكتاب ، وقد قلت : إن الأمر ليسير والإشارة الموجزة لهذا تكفي وتجزئ عن هذه الصفحات .

أقول أيضاً : إن المحقق قد أشار إلى أن النسخة التي أقام عليها عبدالسلام نشرته «زائفة» ، وكنت آمل أن يشير إلى الزيف في مواضعه من كتابه الكامل المحقق لنرى تقصير عبدالسلام وصحة ادعاء المحقق . غير أني قرأت الكتاب ووقفت على تعليقات المحقق في حواشيه فلم أجد شيئًا من «الزيف» المدّعى ، وقد كان من تمام الصنعة أن يشار إلى هذا .

ثم ترك المحقق بعد ست صفحات كلامه الذي أشرنا إليه ، واستأنف صنعته الضرورية فتكلم على النسخ الخطية الثلاث . غير أنه عاد إلى النسخة الزائفة التي جعلها عبدالسلام أصلاً ، والتي أهداها أحمد أمين إلى

دار الكتب المصرية ، وقد حصل عليها من السيد محمد أمين الخانجي .

وقد كلف أحمد أمين عبدالسلام هارون أن يتولّى أمر الإهداء فعاد المحقق وأثبت كلام هارون في هذا الأمر ، وتكلم في صفحتين أخريين على عثور عبدالسلام على نسخة أخرى بمكتبة «بتنة» مصورة بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بمساعدة رشاد عبدالمطلب . وكأن المحقق أراد أن يشرك رشاد عبدالمطلب في هذا الأمر ، وما كان من تصرّفه في إخفاء هذه النسخة المصورة عن الشيخ حمد الجاسر ...

وقد ختم المحقق هذا فأخذ معهد المخطوطات على ما كان من تصرّف رشاد عبدالمطلب وعدم أمانته . أقول : أليس هذا شيئًا يتجاوز «التقديم» .

ثم عاد إلى توثيق الكتاب «مفيداً» من رسالة القاضي إلى المصنف أسامة . ثم أورد المحقق اهتمام المصنف أسامة بكتابه هذا وساق ما كان من ذلك وخبر عثوره على شيء يتصل بأدب العصا وجده لدى الشيخ أبي يوسف القزويني في بغداد .

ثم أشار إلى أن أسامة لم يصل إلى كتاب القزويني، وظل يبحث عنه فلم يدرك شيئًا ، وقد حفزه الأمر إلى أن يصنف هو كتابًا في «العصا» فكان له ذلك بعد سنين طويلة من الدرس والجمع والتنقيب .

ثم ختم المحقق «تقديمه» بعمله في التحقيق وكيف كان له ذلك .

انتهى التقديم الذي أوعبه المحقق في عشرين صفحة، وكان شطر منها زيادات أثقلت بل تجاوزت حدود التقديم .

أقول : وأجيء الآن إلى نص الكتاب ولي أن أقول : إن المحقق قد قام بعمله خير قيام ، فقد راجع أصوله وأثبت منها ما رآه صحيحًا ، ولم يستكثر من التعليقات في صفحاته ، بل عرف ما يجب عليه أن يثبته .

وإذا كان لي أن أثبت شيئًا اقتضته الفائدة فهو تنبيهات على فوائد وجدت أن الإشارة إليها لا تخلو من فائدة .

أقول : جاء في الصفحة (٤٠) العنوان الآتي :

«الخلف» في الآيات :

أقول : «الخلف» هنا هو «الخلاف» ، وهو الذي أراده المصنف ، ولكن المحقق لم يفطن إلى الرسم القديم الذي أسقط فيه الناسخ رسم الألف . وقد جروا على هذا الإسقاط فوجدنا «القسم» وأرادوا «القاسم» ، ووجدنا «الحرث» وأرادوا «الحارث» ، وغير هذا .

وجاء في الصفحة (٧٤) الحديث : «لا ترفع عصاك عن أهلك» ، يراد به «الأدب» . وقد علّق المحقق في الحاشية (٤) فقال : كذا في المصادر المذكورة [وهي أساس البلاغة وتاج اللغة واللسان والعقد الفريد والتمثيل والمحاضرة و ...] . إنما يراد بالأدب به «الأدب بالقول» ولم يرد ضربهم بالعصا ، وأضاف في مجمع الأمثال : وقيل : أراد لا تغب ، ولا تبعد عنهم .

أقول : كأن توجيه دلالة «الأدب» إلى غير الضرب من لدن المحقق وغيره بسبب تحرّجهم من «الضرب» هنا ظنًّا منهم أن هذا يسيء إلى الحديث الشريف .

أقول : إن «الأدب» في مصادر التربية الإسلامية يعني الضرب ، ذكر هذا صاحب «سياسة الصبيان» وذكر هذا ابن خلدون وغيرهما .

وأورد المحقق في الحاشية (١) من هذه الصفحة ما ذكره صاحب «اللسان» من جمع «عصا» وأضاف إليه ما جاء في المخطوطة ، ولم يُشر إلى أية مخطوطة من النسخ الثلاث فقال :

«وفي الكلام على عصي ومغزو» خط ٣٩ ب : ٤٠ (أ): إما لم يجز أن يقولوا في جمع عصا (عصوّ) ، وفي جمع حقو (حقوّ) وإن كان هذا هو الأصل ووجب فيه القلب لأنه اجتمع فيه ثقلان ثقل الجمع وثقل الواوين ... وإما وجب قلبها ياء لأن الواو الأولى لما كانت زائدة لم يعتدّوا بها ... فانقلبت الواو الثانية ياءً لانكسار ما قبلها فصار عُصُوي وحُقُوي فاجتمعت الواو والياء ، والسابق منهما ساكن فقلبت الواو ياء بعد القلب وجُعلت ياءً مشددة فصار عصيّ وحقيّ ، وقد يجوز أن يكسر الأول لما بعده من الكسرة والياء فيقال : عِصِيّ وحِقِيّ .

أقول : هذه هي صنعة الصرفيين في الوصول إلى الصيغة الأخيرة وهي «عِصِيّ» و «حِقِيّ» ليقولوا : إنهما على «فُعُول» من أبنية التكسير .

إن ما ادّعوه من ثقل الواوين يدفعه ما نجد الواوين في المصادر مثل دُنُوّ وعُتُوّ مثلاً .

وجاء في الحاشية (٣) من هذه الصفحة أيضًا

الحديث الشريف نفسه برواية :

«لا ترفع العصا عن أهلك وأخفهم في الله ، ويُروى أيضًا : علّقوا السوط حيث يراه أهل البيت» .

أقول : لعل هاتين الروايتين كانتا بسبب التحرّج من معنى الضرب فاستبعد بكل من هاتين الروايتين .

وجاء في الصفحة (٧٥) في الحاشية (٦) :

هروتُه بالهراوة : ضربته . عن مجمل اللغة .

أقول : هذا من الكلم الذي يرد في المعجمات ، وهو من المصنوع الذي أتى به توسعهم كقولهم : عنته أي أصبت عينه ، وبطنته أي أصبت بطنه ، وغير هذا كثير .

وجاء في الصفحة (٨٧) البيت :

إنْ يأبَروا نخلاً لغيرهِمُ .. .. ..

أقول : والصواب : إنْ يأبُروا أو يأبِروا .. ..

والفعل «أبَرَ» من باب نَصَرَ وضَرَبَ .

وجاء في الصفحة (١٠٠) :

«.. .. .. فرحبْت بنا ، وإذا «كراس» موضوعة ، » .

أقول : الصواب : «كراسيّ» بتشديد الياء واحدها كُرسيّ ، وهو معروف .

وجاء في الحاشية (١) من الصفحة (١١٠) :

« في م ، هـ : بن ... والتصويب من عيون الأخبار ...» .

أقول : أراد المحقق بـ «التصويب» إصلاح الخطأ .

والذي في العربية أن «التصويب» هو الإقرار بالصواب ، نقول حدّثني صاحبي فصوّبته .

وجاء في الصفحة (١١٤) في الحاشية (٣) :

«الهبا بالمدّ دقاق التراب .. .. » .

أقول : هو «الهباء» ممدودًا ، وعبارة الحاشية تشير إلى هذا .

وجاء في الصفحة (١٥٦) البيت :

وهل يَرجعُ التسليم ربْعٌ كأنّه .. ..

أقول : والصواب : وهل يَرجع

والفعل «رجع» الثلاثي قاصر ومتعدٍّ .

وجاء في الصفحة (١٦٠) البيت :

ردّوا الجِمالَ لنيّةٍ صدعوا بها
شِعْبَ العصَا لتَزايُلٍ وفراقِ

أقول : والصواب : شُعَبَ العصا .. ..

قال قيس بن الخطيم :

لم أدرِ قبل النوى ببَيْنهِمُ
حتى استطارت عصاهم شُعَبا

فأما «الشِّعْب» بكسر الشين وسكون العين هو ما انفرج بين جبلين ، ومسيل الماء في بطن من الأرض .. ..

وجاء في الصفحة (١٧٢) البيت :

كأن ضلوعَ مخاليفها
حتى [كذا] القسيّ اذا توطَرُ

أقول : والصواب تُوطِرُ ، والفعل أطَرَ يأطِرُ مهموز ، وهو يأطُرُ .

والفعل من باب ضَرَبَ ونَصَرَ .

أقول : هذه جملة ما وقفت عليه ورأيت أن التنبيه عليها مفيد .

وأعود إلى «الكتاب» لأبسط ما بدا لي من أصالته فأقول باديءَ ذي بدء : إن الإطراء الذي نتجاوز فيه الحدود لكل قديم مما ندعوه «التراث» لايخدم العلم ، ذلك أن «التراث» هو محصول بشر ، والبشر يأتي منه الخير كما يأتي الشرّ ، ويكون منه الجيد والرديء . وإذا كنا نكبر التراث وقد نقدّسه ونُبرِّئه من كل عيب فأين يكون شعر المجون وشعر السخف واللهو ونحو هذا ؟

وأعود إلى المؤلف أسامة في كتابه هذا فأقول : إن المتأخرين ربما وجدوا أن من تقدّمهم قد سبقوهم فيما ألّفوا وصنفوا ، فانطلقوا إلى مسائل ثانوية فكان لهم فيها عمل دلّ على فطنتهم وذكائهم . ولعل من هذا التصنيف في «العصا» .

غير أن أسامة لم يكن ذا سبق في كتابه هذا فقد حدّثنا هو أنه رأى كتابًا في العصا لدى الشيخ أبي يوسف القزويني (٤) ، وعزّ عليه أن يجد من هذا الكتاب نسخة ، فحفزه هذا إلى أن يصنف شيئًا مثله ، فكان هذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي أحسن السيد حسن عباس في تحقيقه .

أقول : كان مادة الكتاب هي المطالب الآتية :

عصا موسى عليه السلام ، ظهور الآية في العصا ، بعث موسى إلى فرعون ، بعث موسى وهو ابن ثمانين ، دخول موسى وهارون على فرعون ، أمر السحرة ، الآيات، وضرب موسى بعصاه الكثيب ، الخلاف في الآيات ، خروج موسى من مصر وضربه بعصاه البحر ، أمر نساء القبط بعد غرق فرعون وقومه ، ضرب موسى عوج بن

عناق بعصاه ، ضرب موسى الحجر بعصاه ، منسأة سليمان بن داود عليهما السلام ، خبر عصا المسيح عليه السلام واليهودي ، ضرب عيسى بعصاه قبر ابن نوح ، أمر الدابّة والعصا، أمر عصا طالوت ، خبر المطراق ، خبر الجريدة ، فصل في تسمية العصا ، عصا الأخنس بن شريق ، قرع العصا ، صلب العصا، انشقّت العصا ، ألقى العصا ، عصا الأعرج ، العصا للعبد .

أقول : في هذه المواد جملة مسائل لا تتصل بالعلم التاريخي ، بل هي «أساطير الأولين» وما حُكي في كتب اليهود والنصارى التي وقف منها الدرس العلمي موقفه من القصص والحكايات وما لا يمكن أن يكون شيء منه حقائق وقعت .

ثم كان فيها شيء من الأدب والأخبار الأدبية التي لا يحرج فيها أهل العلم من الدارسين في عصرنا .

أقول : لو أنه اقتصر على هذا الذي أثبته من مواد الكتاب لكان لنا وجه في عدّ الكتاب شيئًا من التراث ، ولكن المؤلف يحفزه أو أنه محكوم بأن لابد لكتابه أن يكون بضع مئين صفحة . لقد ذهب المؤلف جوالاً في نصوص الشعر حتى إذا رأى أو لمح العصا أو العصي أو المحجن في بيت أثبت القصيدة التي هي عشرون أو ثلاثون بيتًا من أجل بيت واحد . وكلما تهيأ له عدد من الأبيات أو قل المقاطيع أفرده تحت عنوان «فصل» . وكان من هذه «الفصول» ما هو غفل من دلالة خاصة ، ومنه ما هو أخبار وكرامات ردّدها القصاصون ليست من التاريخ ولا الأدب .

وكأن المؤلف بعد هذه «الفصول «الغُفل» من دلالة خاصة تتصل بما هو فيه من أمر العصا سوى وجود كلمة «العصا» مفردة أو جمعًا في بيت أو جملة ، اجتمع له شيء ذو دلالة هو «عصا الأعمى» ، و «العصا فرس جذيمة» .

ثم عاد فذكر ثلاثة فصول وهي غفل من أية دلالة سوى أن فيها لفظ العصا ورد في بيت من قصائد أو مقطعات .

ثم ذكر فصلاً وأسماه «فصل جامع» وقد جاء في هذا الفصل «عصا الخطبة» .

وليس له من سبب أن يفرده بفصل وقد مرّ كلام أو فصل عن العصا يمسك بها الخطباء . وكان له أن يضم هذا «الفصل الجامع» إلى ما سبقه .

ثم جاء فصل دعاه «فصل في فضل(نجار) العصا» ص ٣٧١ .

أقول قرأت هذا الفصل في نثره وشعره وما كان فيه من لغة التنزيل فلم أتبين دلالة الكلمة غير المضبوطة وهي «نجار» .

وكأن المحقق شعر مثلي بهذا ورماها على صاحبها المؤلف وترك القارئ في هذه الحشوة .

ثم كان الفصل الأخير وهو «فصل في بديع ما جاء في عصا الكبر» .

أقول : أما كان للمؤلف أن يضمه إلى الفصل الموسوم بـ«عصا الأعرج أو عصا الأعمى» ؟

وأنت في كل هذا تجد شيئًا وافيًا من الشعر أو النثر يغني عنه القليل القليل .

أقول : أهذا هو العمل الذي ينطلق فيه المحققون مطرين مكبرين ؟

ثم إن هذا العمل وغيره كثير هو الذي فرّق الأصحاب ونأى بالصديق فتنكر لصداقته وإخوته ومودته ، وراح يتحرق غيظًا .

كلمة أخيرة

لعلي أرى أن النشرة الموجزة التي أخرجها المستشرق الفرنسي وتلك التي أخرجها عبدالسلام هارون كانتا من صنع المؤلف أسامة الذي صنعهما ثم بدا له أن يطيل فكان هذا الكتاب .

أقول هذا دفعًا لما يُتوهم أن هذا الموجز في كلتا النشرتين كان من صنعة آخر من القرّاء . وعندي أن النص الموجز في كلتا النشرتين يحقق الفائدة لأنه اشتمل على ما هو وثيق الصلة بمادة الكتاب .

الهوامش

١ - ذكر المحقق حاشية في الصفحة (٤) من تقديمه ما أورده الألوسي في كتابه (أسامة بن منقذ) في ص ٢٢٨ و ٢٢٩ حيث قال : «وقد آثرت أن أثبت خلاصة لهذه الرسالة بعد مقارنتها على نسخة المستشرق الفرنسي لندرتها وإشاعة لفائدتها» .

٢ - تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٣ / ٦٦ .

٣ - انظر الصفحة ٦ من تقديم المحقق .

٤ - مقدمة المؤلف لكتاب العصا .

معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير

شوقي أبو خليل
دمشق - سورية

الجبهان ، إبراهيم سليمان / معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير . - ط ٥ . - جدة - دار المجتمع ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م - ١٥٦ص .

وقعت بين يدي الطبعة الخامسة (١) من كتاب : «معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير» لفضيلة الأستاذ الشيخ / إبراهيم بن سليمان الجبهان ، يقع الكتاب في مئة وست وخمسين صفحة ، من القياس العادي ١٧ × ٢٤ سم ، والدار الناشرة هي : دار المجتمع للنشر والتوزيع (جدة ، والخبر) .

تكررت طبعات الكتاب المذكور ، ومردُّ ذلك أهمية موضوعه ، فالتبشير (والنصرانية) ، والاستشراق (والغزو الفكري) من الموضوعات المهمة في ماضي وحاضر ومستقبل أمتنا الإسلامية .

يبدأ الكتاب بمقدمة للأستاذ معوض عوض إبراهيم ، الباحث في إدارات البحوث العلمية ، ومما جاء فيها : «(من كانت له أذنان فليسمع» ، صيحة النذير ، يرسمها الطبيب الخبير ، الدارس المتمرّس .. كأني بالكاتب بهذا كله يستجيش الهمم ، ويستثير عزائم الرِّجال ، حتى يكونوا أيقاظاً حول دينهم كله ، عقيدة وعبادة ، ومنهاج سلوك ، كي يبقى الإسلام وضّاء الجبين) .

أما الأستاذ المؤلف ، الشيخ إبراهيم بن سليمان الجبهان ، فيقول في مقدمته :

«أخي المسلم الكريم : أكتب إليك هذه الرسالة التي أرجو أن تكون درعاً تحتمي به ممّن يتخذون منك هدفاً لغدرهم ، ومن دينك غرضاً يصوبون إليه سهام مكائدهم ، ولتكون على بيِّنة ممّن أخذوا على عاتقهم مهمة القضاء على كلِّ ما تفخر به من تراث ، وما تعتز به من مبادئ سامية ... ولأكشف لك بها النِّقاب عن حقائق مذهلة لأعظم جريمة اقترفتها الدَّسائس اليهوديَّة في حقِّ الإنسانية على يد (بولس اليهودي) وشركائه من مؤسِّسي الماسونيَّة» (٢).

ثم يقدم الأستاذ المؤلف وثائق من بينها :

- صورة لخطاب تلقاه زعيم فلبيني مسلم، وهو عضو في البرلمان ، فيه إصرار على تنصير المسلمين في الفلبين .

- ملخَّص من منشور وزعته إحدى المنظمات الإسلامية في الأردن ، حيث نوايا نصارى الأردن إقامة دولة صليبية ..

ويتابع المؤلف تقديم صور من الحروب الصَّليبيَّة وجرائمها ، وإثبات أنَّ الأناجيل المتداولة مزوَّرة ، مع مقارنة بين النَّصرانيَّة والوثنيَّات ، وبطلان دعوى ألوهيَّة المسيح ، وممَّا قاله المنصفون في الإسلام ، والتَّبشير الصَّليبي وأهدافه .

وختم الأستاذ المؤلف - فضيلة الشَّيخ إبراهيم بن

سليمان الجبهان - كتابةً بمناظرة كتابيةً ، دارت بينه وبين أب نصراني ، هو السيد إسكندر جديد .

ولتكرر طبعات الكتاب ، أرى أن يتدارك الأستاذ المؤلف في الطبعة القادمة ، التالي :

يشكو الكتاب من نقطتين اثنتين مهمتين ، هما : غياب الدقّة ، وضعف التوثيق .

النقطة الأولى : (الدقّة) وخصوصاً في الأسماء ، والأمثلة كثيرة ، أكتفي ببضعة أمثلة أقدمها بحسب ورودها في الكتاب :

١ - الصفحة ٢٥ : «وكتب المؤرّخ أبو الفرَج المسيحي في كتابه (تاريخ الدُّول) (٣) .. وصوابه : وكتب المؤرّخ غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري (أبو الفرَج) في كتابه تاريخ مختصر الدول .

٢ - الصفحة ٥٨ : «وهناك مقارنة أخرى بين البوذيَّة وبين النَّصرانيَّة ، وقد أورد هذه المقارنة كلٌّ من (تي ، دبليو ، دون) وإدوارد توماس ، وخواجة كمال الدين ..» ، وصوابه : .. وقد أورد هذه المقارنة كل من (ت . و . دوان: T . W . Doane) .. مؤلف كتاب : (خرافات التّوراة ، والإنجيل وما يماثلها في الديانات الأخرى : Bible Myths and Their Parllels in Other Religions .

٣ - وفي الصفحات : ١٠٦ و ١٠٧ و ١٢٧ يذكر اقتباسه من كتاب : لم هذا الرُّعب كُلّه من الإسلام ، ويورد اسم المؤلف ، الأستاذ سعيد جودت ، وصوابه : جودت سعيد .

٤ - وفي الصفحة ١١١ يحيل المؤلف القارئ إلى كتابات الذين أنصفوا الإسلام ، ومنها :

(محاسن الإسلام) لُورا فينشيا بافاليري ، وَ :

(دفاع عن الإسلام) للمستشرق فاغليري ، والصَّواب: كتاب (دفاع عن الإسلام) (٤) للمستشرقة لورا فيشيا فاغليري (الإيطالية) ، أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي .. لا وجود لكتاب باسم (محاسن الإسلام) ، ولا وجود لمؤلف يحمل اسم : لورا فينث بافاليري .

٥ - وفي الصفحة ١١٧ ، يقول الأستاذ المؤلف : «بل إنّ التاريخ الإسلامي يحدثنا بأن الجيش الإسلامي الذي فتح بُخَارى اجتاح إحدى مدنها (٥) قبل أن يخيِّر أهلها بين الإسلام أو القتال أو الجزية (٦) ، فاحتج أهل تلك المدينة على قائد الجيش ، ورفعوا شكوى ضده إلى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله . فما كان من عمر إلا أن أمر قائد الجيش بإخراج الجيش من المدينة ، وتخيير أهلها بعد ذلك بين الإسلام أو القتال أو الجزية ، فما كان من أهل تلك المدينة إلا أن أعلنوا إسلامهم بعد أن لمسوا مثالية الإسلام وسمو أهداف من حملوا رسالته» .

وصواب ما سبق :

فتح المسلمون مدينة سمرقند التي عُرِفَت في الإسلام بعد ذلك بأنَّها من مواطن الحضارة الإسلامية ، فتحها سعيد بن عثمان في عهد الأمويِّين ، ثم فتحها عنوة قتيبة ابن مسلم الباهلي في عهد الوليد بن عبد الملك .

قبل أهل سمرقند الأمر على مضض ، ولما آلت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩هـ . وبلغ أهل سمرقند عنه ما ملأ أقاليم الدَّولة وجوانبها من الحديث عن عدله ونصرته للحقِّ ، ووفائه وبغضه للظلم ؛ فأنابوا عنهم وفداً يلْقى الخليفة ، يشكو ما كان من قتيبة .

ولقي الخليفة وفدهم ، فعرضوا الأمر عليه ، وقالوا فيما قالوه إنَّ قتيبة غدر بنا ظلماً ، وأخذ بلادنا ، والأمر إليك لترفع عنا ما نزل بنا على يَدَيْه ، فتناول الخليفة قرطاساً وقلماً ، وكتب إلى سليمان بن أبي سرح ، عامله على سمرقند كتاباً قال فيه إنَّ أهل سمرقند شكوا ظلماً أصابهم ، وتحاملاً من قتيبة عليهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فاجلس لهم قاضياً يقضي بالحقِّ في هذه الظُّلامة .

وعاد وفدهم بكتاب الخليفة إلى عامله ، فأحال قضيتهم إلى القاضي جُمَيْع بن حاضر النَّجي قاضي سمرقند ، فاستمع إلى ظلامتهم ، واستدعى شهودهم عليها ، ثمَّ استدعى شهوداً من الجيش الذي حضر الموقعة مع قتيبة ، فشهدوا بالحقِّ ، شهدوا أن قتيبة لم ينبذ إليهم عهدهم ، بل فاجأهم بفتح .

ولمَّا وضح هذا أمام القاضي ، أصدر حكمه في هذه القضية صريحاً لا غموض فيه ، قوياً مجلجلاً ناطقاً بعدالة الإسلام وسماحته ، قال القاضي : على الجيش الإسلامي الذي فتح سمرقند بقيادة قتيبة أن يتأهب للخروج منها فوراً ، وكذلك يخرج منها المسلمون الذين دخلوها بعد الفتح .

لقد كان لهذا الحكم رجَّة في أنحاء سمرقند ، إذ ما كان يتصوَّر أحدٌ أن تعاليم الإسلام تمضي على هذا

النحو، وتعطي الحقَّ للقاضي أن يأمر الجيش بالخروج من بلد فتحه واستقر فيه .

وأسرع الوالي يخطر الخليفة بالحكم ويطلب مشورته ، فجاء الردُّ بتنفيذ حكم القاضي بحذافيره ، وعندئذ أصدر أمره إلى الجيش بالتأهب للرحيل ، وإلى المسلمين المدنيين بمغادرة سمرقند .

وبينما هذا يجري على قدم وساق ، والجيش يجمع أسلحته و أمتعته ويفكُّ مخيَّماته ، وبينما المسلمون المقيمون بالمدينة يودِّعون أهل سمرقند ، ويحزمون أمتعتهم ، ويعلنون بيع أملاكهم فيها ، إذا بمفاجأة تَجِدُّ لم تكن في الحسبان ، فقد جاء وفدٌ يمثل أهل سمرقند إلى الوالي ، وأبلغوه أنهم تشاوروا فيما بينهم ، بعد هذا الحكم الذي مادار بخلدهم لحظة واحدة أنَّ تعاليم الإسلام لا تضيق بمثله ، وأنهم ما كانوا يتوقعون أن هناك قاضياً يجرؤ على مغالبة الجيش الفاتح بالجلاء عن بلد فتحه ، وأنهم ما كانوا يتصوَّرون أنَّ القاضي سيهمل في القضيَّة عصبيته لقومه ، ولا يعيرها اعتباراً ولا وزناً ، وأنَّهم استبعدوا أن يأمر الخليفة بتنفيذ الحكم كما صدر ، مع انصياع الجميع له ، دون أن يكون هناك اعتبارٌ لما يترتب على تنفيذه من عنت لمن صدر في شأنهم .

أمام هذا ، وأمام حُسْنِ المعاملة التي وجدوها من إخوانهم المسلمين المقيمين بالبلد زمن إقامتهم فيها ، لا يسعهم إلاَّ أن يعلنوا عن تنازلهم عن حقِّهم ، والمطالبة ببقاء الحال على ما هي عليه ؛ لأنهم لن يخشوا بعد اليوم ضرراً ينالهم ، وإزاء هذه الرغبة الصادقة من أهل سمرقند ، أمرَ الجيش بالبقاء ، وأمر المسلمون بعدم الخروج ، وكانت فرحة مزدوجة من الجانبين .

ثم كانت هذه القضية سبباً في إسلام كثير من أهل سمرقند ، وانطوائهم تحت راية الإسلام ، والإخلاص لتعاليمه ، والعمل على نشرها ، والاستمساك بما أمرت به، والاعتصام بحبل الله المتين ، حتى غدت سمرقند بعد مركزاً من المراكز الإسلامية المرموقة ، يأتيها الداني والقاصي للتزوُّد بزاد المعرفة من علمائها .

هذه القضية الخالدة في تاريخ الإنسانية ، توثيقها في أحداث سنة ٩٩هـ في تاريخ الطبري : ٥٦٧/٦ .

٦ – وفي الصفحة ١٢٥ و ١٢٦ أورد الأستاذ أسماء عدد من المستشرقين المتعصبين ، ومنهم : س . مرجليوث ، وصوابه :

دافيد صموئيل مرجليوث : David Samuel Margoliouth [١٨٥٨ – ١٩٤٠م] ، مولده ووفاته بلندن ، كان متخصِّصاً في دراسة اللغة العربيَّة وتاريخ الإسلام ، وأستاذاً للُغة العربيَّة بجامعة أكسفورد ، له في لغته كتب عن الإسلام والمسلمين لم يكن فيها مخلصاً للعلم على الرُّغم من توسُّعه في معرفة المسلمين وتاريخهم وآدابهم (٧) .

إنَّه دافيد صموئيل مرجليوث ، لا : س : مرجليوث .

وذكر : جولد تسيهر ، وصوابه (جولدسيهر) اسماً واحداً : Goldsiher ، المستشرق المجري اليهودي .

وأورد : ا . نيكولسون ، وصوابه : ر . ا . نيكلسون : Reynold Alfeyne Nicholson .

وذكر : ا . ل . شاتليه ، وصوابه ا . لوشاتليه : Allred Le Chaltelier ، المستشرق الفرنسي ، أوَّل من أشرف على مجلة العالم الإسلامي .

لقد كان بإمكان الأستاذ المؤلِّف ضبط هذه الأسماء – وغيرها – بسهولة ، وذلك بالعودة إلى (موسوعة المستشرقين) للدكتور عبدالرحمن بدوي ، طبع دار العلم للملايين – بيروت ، أو إلى : (المستشرقون) في أجزائه الثلاثة لنجيب عقيقي ، طبع دار المعارف بمصر .

٧ – وفي الصَّفحة ١٢٨ ، ذكر اللُّورد كروزن ، وصوابه اللُّورد كرزون .

٨ – وفي الصَّفحة ١٣٤ أورد اسمين الأوَّل : أحمد وبللو ، وصوابه أحمدو بيلُّو ، والثَّاني : أبوبكر تفادا ، وصوابه : أبوبكر تفاوا بيليوًا ، زعيما نيجرية قبيل الانقلاب الذي أودى بحياتهما ، رحمهما الله .

النقطة الثانية : (التَّوثيق (٨)**)** : وهي نقطة مهمة جداً في التَّأليف ، وإلاَّ كثُرت العبارات والأقوال المختَلَقة ، التي لا تمتُّ إلى الحقيقة بصلة ، ففي :

الصَّفحة ٣١ : «في الخطاب الَّذي ألقاه ناحوم غولدمان في مؤتمر المثقَّفين اليهود ، قال ما نصُّه ..» ، دون أن يذكر الأستاذ المؤلِّف – في مثل هذا الموضوع الخطير – مرجعه ، أو مصدره .

وفي الصَّفحة ٤٢ : «أمرت إحدى محاكم التَّفتيش في الأندلس بإحراق شخص أصرَّ على رفض النَّصرانيَّة ، وكان قد تعرَّض لأشد أنواع التَّعذيب ، فلما ربطه القس

فوق الحطب المعد لإحراقه ، أخذ بنصحه بأن يتراجع عن إصراره ، ووعده بأن يدخل الجنّة إذا تنصّر ، فقال الرّجل : وهل في الجنّة قساوسة مثلكم ؟ قال : نعم ، قال : إنّي لا أريد مكانًا يجمعني بهؤلاء الوحوش» ، دون ذكر المصدر وصوابه :

حاول أحد الرُّهبان إقناع الزّعيم (هانيهاي) باعتناق الدين المسيحي ، وكان مربوطًا إلى المحْرَقة ، فقال له : إنّه إذا تعمّد يذهب إلى الجنّة ، فسأله الزّعيم الهندي الأحمر : وهل في الجنّة إسبانيّون ؟ فأجابه الرّاهب : طبعًا ، ماداموا يعبدون الإله الحق ، فما كان من الهندي الأحمر إلاّ أن قال : إذن ، أنا لا أردي أن أذهب إلى مكان أصادف فيه أبناء هذه الأمّة المتوحّشة !

وتوثيق ما سبق : (الحياة) السّنة ٩ ، العدد ٢٤٩٤ ، الأربعاء ٢٣ / ٦ / ١٩٥٤ ، والنّصّ في كتاب التّبشير والاستعمار ، ص : ١٢٣ ، وليس هذا بمعلوم عندنا فقط ، فقد نشرت مجلة : CUBA International Joulio 1972 تحت عنوان : LA Historiy في الصّفحة ٦ صورةً لمبشّر بيده صليب وزعيم إلى سارية ، وقد غُطّي حتى منتصفه بحُزَم الحطب والقش لحرقه ، أمّا المبشّر فرافع الصّليب في وجهه يدعوه إلى المسيحيّة قبل موته .

وفي الصّفحة ٩٧ قول رائع لبرنارد شو : «إنّ الإسلام هو الدّين الّذي تجد فيه حسنات الأديان كلها ، ولا تجد في الأديان حسناته» ، ويقول أيضاً : «إنّني أرى أن الإسلام هو دين أوربة في نهاية القرن العشرين» .

كلام جميل ، ونبوءة نسأل الله تحقيقها ، ولكن التّوثيق أمر لابُدّ منه عند إيراد مثل هذه الأقوال .

وفي الصّفحة ١١٥ أورد الأستاذ المؤلّف حادثة أبي عبيدة ، قائلاً : «إنما رَدَدْنا عليكم أموالكم لأنّه بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم ، وإنّا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشّرط ، وما كتب بيننا إن نصرنا الله عليهم» .

لقد جعل المؤلّف الكلام بين قوسَيْن ، فهو بذلك ملزم بالنّقل حرفيّاً مع التّوثيق ، ومع ذلك ، لم ينقل حرفيّاً ، ولم يوثّق ، ولو عاد إلى فتوح البلدان (٩) [الصّفحة ١٤٣] لوجد النّص التّالي : «لما جمع للمسلمين الجموع ، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ، ردّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخَراج وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدّفع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا ممّا كنا فيه من الظّلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن ... المدينة مع عاملكم ...» إلخ النّصّ .

وفي الصفحة ١٢٦ أورد المؤلّف قول الدكتور (شيزل) عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا «إنّ البشريّة لتفخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ أنّه رغم أُمّيته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع فنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمّته من ألف سنة من الآن» ، ولكن دون توثيق .

وأورد قول فارس الخوري – رحمة الله عليه ، فقد مات مسلمًا – أحد رؤساء الوزارات السّوريّة سابقًا ، أنّ محمداً هو أعظم عظماء العالم ، وأن دينه أوفى الأديان ، ولقد أودع شريعته أربعة آلاف مسألة علميّة واجتماعية وتشريعيّة ، ولم يستطع علماء القانون المنصفُون إلا الاعتراف بفضله على الإنسانيّة .

كلام جميل ، وشهادة نعتز بها ، من رجل اعتنق الإسلام ومات عليه ، وشواهد إسلامه كثيرة يعرفها كثير من الدّمشقيِّين (١٠) ، ولكن التوثيق ، والعزو إلى المصدر أمر لابدّ منه عند التّأليف .

وفي الصّفحة ١٣٢ قال الأستاذ : «لقد ظهرت يهوديّة صموئيل زويمر على حقيقتها عندما طلب عند موته (حاخامًا) لتلقينه ودفنه بموجب التّعاليم اليهوديّة» ، كلام خطير جداً ومهم جداً ، ولكنه يحتاج إلى التّوثيق .

وفي الصّفحة ١٣٣ : «لعلّ من أصدق ما وُصفَ به اليهود قول غوستاف لوبون : لم يعرف التّاريخ شعبًا مارس حرب الفضيلة كما مارسها اليهود» ، ولكن بلا توثيق .

ويتوّج التّوثيق ، مسردٌ في نهاية الكتاب للمصادر والمراجع ، وهذا ما لم نجده في مثل هذا الكتاب الذي طرق موضوعًا حسّاسًا مهمّاً ؛ مسردٌ للمصادر والمراجع فيه : اسم كل كتاب اقتبس منه أو عاد إليه ، مع ذكر المؤلّف والدّار الناشرة ، والطّبعة وتاريخها .

أو [كما في كتاب مصطلح التّاريخ للدكتور أسد رستم ، ص : ١٤٢] : اسم المؤلّف ، ثم عنوان المؤلّف ، ثم المجلّد ، فالصّفحة والطّبعة .

* * * *

إن كتاب الأستاذ إبراهيم بن سليمان الجبهان (معاول الهدم والتّدمير في النّصرانيّة وفي التّبشير) كتاب مهم في موضوعه ، جيّد في تسلسل عرض موضوعاته ، عاطفة مؤلّفه الصّادقة ، وإخلاصه لدينه ، وحرصه في الدّفاع عنه، والتّنبيه إلى الأخطار المحدقة به ، ظاهر ملموس .

ونُصْحُ المسلم لأخيه المسلم واجب يُثاب عليه الطّرفان، النّاصح إن أخلص في نصحه وجعله لله خالصًا ، وقابل النّصح إن عاد إلى الصّواب ، فالهدف الوصول إلى أقرب نقطة من الكمال ، والدّنو من ساح الحقيقة بجلاء وخُطًا ثابتة راسخة .

جزى الله الأستاذ المؤلّف خيرًا، وأثابه توفيقًا في دنياه وآخرته ، وجمعنا بنيانًا مرصوصًا في طريق نصرة ديننا ، والذّود عنه بالحقائق الموثّقة ، والبراهين العقليّة الدامغة .

يقول عزّ وجلّ في سورة الأنبياء : ٢١ ﴿ بل نَقذِفُ بِالحَقِّ على الباطِلِ فَيَدمَغُهُ فإذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ .

والحمدلله ربّ العالمين أوّلاً وآخر .

الهوامش والحواشي

١ – الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ولعل الطبعة الأولى عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م كما يظهر في التقديم.

٢ – لم نقرأ في مصدر ما ، أنّ بولس من مؤسّسي الماسونيّة ، فهذا يحتاج إلى توثيق .

٣ – يكثر المؤلّف من كتابة (تأريخ) بدل كلمة تاريخ ؟ ! وهنالك فارق – علميًا – بين عمليّة كتابة التّأريخ ، والتّاريخ نفسه .

٤ – تعريب منير بعلبكي ، ونشر دار العلم للملايين ، ط١ عام ١٩٦٠م .

٥ – بخارى مدينة مشهورة ، وليست منطقة كي يحتاج الفتح إحدى مدنها .

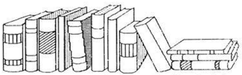
٦ – التّخيير كان بين : الإسلام أو الجزية أو القتال ، على التّوالي .

٧ – موسوعة المستشرقين ، د . عبدالرحمن بدوي ، ص ٣٧٩ ، دار العلم للملايين – بيروت .

٨ – التّوثيق وأعني به العزو إلى المصادر والمراجع بدقة ، لتسهيل العودة والتحقق من دقّة النّقل والاقتباس .

٩ – تحقيق رضوان محمد رضوان ، المكتبة التجاريّة الكبرى بمصر ، ١٩٥٩م .

١٠– لقد ردّد رحمه الله الشهادة أمام عدد من علماء دمشق، وأوصى أن يتلى القرآن الكريم في أمسيات العزاء في داره .



مراجعات الكتب في الدوريات السعودية

إعداد : أمين سليمان سيدو - مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض

نستعرض في هذا الباب جملة من الكتب لمؤلفين سعوديين ، تمت مراجعتها في دوريات سعودية مع إعطاء البيانات الببليوجرافية عن الكتاب وعن المراجعة وتلخيص بعض أفكار المراجعة في إيجاز غير مخل .

إضاءات : شعر / محمد بن سعد المشعان .- ط١ .- الرياض : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ١٦٨ ص .- [بقلم عبدالفتاح أبو مدين .- المجلة العربية .- س ١٤ ، ع ١٢٨ (شوال ١٤١٣هـ / أبريل ١٩٩٣م) .- ص ١١٨ - ١١٩] .

يقول الشاعر في مقدمة ديوانه كما يذكر المُراجع .

إنه نشر رباعيات شعرية في جريدة الرياض اليومية ، ثم رأى أن يجمعها في ديوان تحت عنوان (إضاءات) . نظراً لكثرة استعمال كلمة الرباعيات ، إذن فالإضاءات من وادي الرباعيات مهما اختلف العنوان . أقول ذلك (والكلام للمُراجع) لأن الرباعيات في مفهومها الفني ، تميل إلى التركيز ، وتقدم الخطرة العاقلة مفلسفة حكيمة ؛ وقد ازدهرت في هذا العصر بالذات ، بعد أن ترجمت رباعيات عمر الخيام إلى اللغة العربية، وبعد أن اقتفاها شعراء كبار، أشهرهم شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي ، ومنهم في مجال الأدب السعودي محمد حسن فقي ، ومحمود عارف، ومحمد سعيد العامودي ، وأحمد قنديل ... وغيرهم من الشعراء .

هذه إشارة عن الرباعيات المعاصرة .. ننتقل منها (الكلام للمُراجع) إلى صاحب الإضاءات لنستريح كل الاستراحة في ظلال أفكاره الحميدة ، فهو شاعر ملتزم ، ومؤمن راسخ الإيمان ، وناقد للمجتمع صادق النظرة .. دقيق الملاحظة .

وقد قال (المشعان) في إهداء كتابه :

أهدي الإضاءات في منأى عن المن
موفورة العين أو موفورة اللسن

بعد أن قال : إلى كل الذين يحبون العربية الفصحى ويدركون مدى أهميتها في الدين والدنيا ، إذن فالشاعر يهيم بالفصحى ويرعى طابعها البليغ !

وله في (ص ٥٢) رباعيات ينحى فيها باللوم على من يرطن بغير العربية فيقول :

تبارك الله يا نحواً ويا أدباً
ويا ضياعاً على مر الجديدين
فلا تلم أعجمياً في رطانته
وأن تخلط بين الدين والدّين

ويقول المُراجع : وكنا ننتظر ممن يهيم بالفصحى ويهاجم خصومها ، ألا يسرف في اتخاذ الألفاظ العامية في رباعياته ، ولكنه استعمل كثيراً مما تنكره الفصحى مثل (الكرات ، منرفز ، البوري ، الدركتر ، الونش ، التفحيط) .

وهذه الكلمات وأمثالها ثقيلة في النثر ، فما ظنك بالشعر ؟

وإذا كانت الرباعيات قد نشرت في جريدة يومية ، وإذا كان صاحبها مهتماً بما يجري في مجتمعه ووطنه من أحداث ، فإن نقده الفني قد اتجه إلى محيطه القريب ، فتحدث عن عسكري المرور ، وعن حفر الطريق ، وعن عصا الأب ، والدروس الخصوصية ، وهروب التلميذ من المدرسة ، والباروكات الرجالية ، ويقول المراجع : سنقتصر في هذا المقال على حديث المرأة في (الإضاءات) .. لأنه حديث متعدد المناحي ، صادق النظرات .

أول ما يشغل ذهنك من حديث في الإضاءات ، هو حديث المرأة العانس ، حين تواجه ، أباها ، والأنثى هي الأنثى في كل زمان ، وكأن مشكلة العنوسة تؤرق الشاعر،

وتأخذ بمجامع إحساسه ، فهو يكرر حديثها ليشبع رغبة في نفسه . إذ لا يكتفي بأن يقرع الناقوس مرة واحدة ، بل لابد من مواصلة القرع الممتد ، ليوقظ النائم وينبه الغافل .

هذا بعض ما أوحت لي - كما يذكر المراجع - الرباعيات من خواطر ، وإني حين أدعو الشاعر إلى الحرص على الصورة الفنية فإني أثق بأنه يملك الموهبة ، ولابد لها من أن تكتمل .

ضجيج الأبواب : قصص / صالح الأشقر .- الرياض : أ . الأشقر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .- [دراسة سهيل نجيب مشوح .- التوباد .- ع ١٥ (ذو الحجة ١٤١٣هـ) .- ص ٣٦ - ٣٨] .

ثماني قصص تحكي هموم حقبة مضت كما يقول الدارس لمسنا فيها التميّز والحداثة ، والشاعرية والصدق ؛ فإن تحدثنا حول السرد نقول إن الكاتب اعتمد في الإخبار طريقة السرد المباشر في مواضع كثيرة من نصوصه ، كما لجأ إلى تقاطع المشاهد عند الضرورة ، وكذلك طريقة المساندة كأن يتدخل الراوي - فجأة - لإتمام السرد .

أما أبطال النصوص فهم متأزمون غالبًا ، وموجهون أحيانًا ، وقلّما نجدهم فاعلين ، وعن الحدث في نصوص المجموعة فلا تخفى تقنيته العالية ، وبناء الحدث المحكم . إذ كثيرًا ما لجأ القاص إلى خلط الحلم بالواقع - وهو مدرك ذلك .

يقول الدارس وفي النصوص كافة وجدنا الكاتب يلجأ إلى تفصيل الأشياء ، لا يعجبه جمودها وسكون حركتها فجعلها تشارك في صنع الحدث ، وينتقي مفرداته بعناية بالغة ولا ينفصل الحدث عن لغة الكاتب وأدائه عن صدقه وبراعته في اختيار الموضوع الذي يهمّ القارئ ، ومن هنا نجد أن الأديب لا يتعب في استمالة القارئ وكسب مشاعره مما يؤدي إلى تطابق الرؤية .

يبقى القول إن جميع النصوص من البيئة - زمانها ، ومكانها ، وشخوصها ، ومفرداتها - مما جعلها أليفة ومحببة إلى نفس القارئ ، وقريبة إلى مشاعره وعلى امتداد المجموعة لم يحاول الكاتب التغريب واستخدام المفردة الغريبة ، وكما نجح الأشقر في فتح بوابة النص ، فقد عرف متى ينتهي الحدث - تمامًا - يستثنى من ذلك قصة (ضجيج الأبواب) فقد جاءت في النهاية مبكرة ، ولكنه تنبَّه فتدخل لمساندتها ويخلص الدارس إلى القول : إن مجموعة صالح الأشقر (ضجيج الأبواب) مفعمة بالشعر والموسيقا ، وما هي إلا أناشيد للحزن ، وهواجس لا تنتهي ، وقد استوفت عناصرها بدقة ، وكُتِبَتْ كما ينبغي للقصة أن تكون .

ظلال ولا أغصان : شعر / عبدالعزيز أحمد الرفاعي .- ط ١ .- الرياض : دار الرفاعي ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ١٥٧ ص .- [بقلم يحيى عبدالله المعلمي .- المجلة العربية .- س ١٧ ، ع ١٨٩ (شوال ١٤١٣هـ / أبريل ١٩٩٣م) .- ص ٧٦ - ٧٧] .

هذا العنوان هو اسم ديوان شعر - كما يذكر الكاتب - كنا ننتظره منذ أمد بعيد أي منذ أكثر من أربعين عامًا منذ كان الأديب الرفاعي ينشر قصائده في جريدة حراء ، ثم الندوة بتوقيع (شاعر الأغصان) .

ولكن طبيعة الشاعر المتسمة بالأناة والتريث قد أخرت إصدار هذا الديوان حتى الآن ، كما أن طبيعة الشاعر في الانتقاء والاختيار ونشدان الكمال قد أدت إلى أن يحجب عنا قصائد كثيرة اطلع عليها قراء الصحف حين نشرها أو استمع جلساؤه إلى بعض منها في الندوة الأسبوعية التي تعقد كل خميس في داره العامرة .

ويتساءل الكاتب : ما الذي حمل الشاعر على اختزال بعض قصائده إلا أن يكون ما في بعضها من غزل عف بريء قد جعله يتحرج من ضمها إلى ديوانه مع أنها من رفيع الشعر لفظًا ومعنىً ومن أعفه عاطفة وأنبله شعورًا .

وينقسم ديوان (ظلال ولا أغصان) إلى خمسة أقسام :

الأول : في ظلال الدعاء ، ويشتمل على قصيدتين في دعاء الله سبحانه وتعالى والضراعة إليه .

الثاني : في ظلال الوجدان ، وفيه سبع قصائد تتحدث عن المشاعر الإنسانية .

الثالث : في ظلال الطبيعة ، وفيه ثلاث قصائد تتحدث عن جمال الطبيعة .

الرابع : في ظلال المناسبات ، وفيه ست قصائد في مناسبات وطنية عربية .

الخامس : في ظلال الصداقة ، وفيه عشر قصائد إخوانية .

عزف أقلام / عبدالله بن إدريس ٠ - ط١ ٠ - الرياض : ع . ابن إدريس ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، ١٧٣ ص ٠ - [دراسة محمود رداوي ٠ - المجلة العربية ٠ - س ١٧ ، ع ١٨٨ (شوال ١٤١٣هـ / مارس ١٩٩٣م) ٠ - ص ٨٨ - ٨٩] .

حين تتضح شخصيات الكُتَّاب كما يشير الكاتب، وهم يعبرون عن أفكارهم بكتاباتهم ، الذين لهم مُثل وقيم ومبادئ ثابتة وراسخة في أذهانهم ووجدانهم ، لا يحيدون عنها ، وأصبحت همهم الكبير ، وهاجسهم الأول ؛ عندئذ فالقارئ يبدو مع أمثال أولئك الكتاب وكأنه في سباق معهم فتارة يستبق أفكارهم ويتوقعها منهم قبل أن يبادروه بها ، وتارة أخرى هم المبادرون قبل أن يسترد أنفاسه ، ولا سيما إن كان القارئ على صلة حميمة دائمة مع أولئك الكتاب أو الأدباء ، بحضور المرئي أو الأثر أو الاثنين معًا .

وها هو ابن إدريس أحد هؤلاء الأدباء من خلال شخصيته الفكرية والأدبية الواضحة ، فيما يطرح ويتناول، ويحاور ، ويناقش ، وفيما له من أهداف وآراء ومواقف من الأصالة والتراث والأدب ، واللغة والنقد وغيرها من شئون فكرية وأدبية .

وتتجلى صورة ابن إدريس في الكثير مما يكتبه ، وبما تعزف به أقلامه وبخاصة في عزف قلمه الأخير ، حين استرجع معنا ، وما كنا نسيناه قليلاً ، حوالي عشرين عنوانًا كان قد نشرها في بعض الدوريات السعودية ما بين ١٣٨٢هـ و ١٤٠٣هـ ، وهي كما يقول في مقدمته مناقشات أدبية ونقدية ، وتعقيبات على بعض الأدباء فيما يعرضه ، سواء ما كان له صلة به أو بالأدب أو الفكر عامة ، أو في مواضيع وكتابات قديمة «تعبر عن مرحلة من مراحل حياتي الأدبية .. أثبتها كما هي ، وكما نشرت في الصحف حينذاك» .

في البدء كان الرحيل : قصص قصيرة / فوزية الجار الله ٠ - الرياض : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، نادى القصة السعودى ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ١١٢ص ٠ - [بقلم محمد صالح الشنطى ٠ - الحرس الوطنى ٠ - س ١٤، ع ١٣٨ (شوال ١٤١٣هـ/ فبراير ١٩٩٣م) ٠ - ص١٣٣ - ١٣٤] .

بادئ ذي بدء كما يشير الكاتب أودُّ أن أنوه باللغة الشاعرية المتدفقة المنسابة و النابضة للكاتبة ، فكثير منها يبدو أقرب إلى الانثيالات الوجدانية التي تنهمر معبرة عن التجربة الذاتية في بعدها العاطفي ، وهذه الذاتية العاطفية من المؤشرات التي تمنح هذا العمل هويته النوعية وتشي بصدق الكاتبة مع نفسها ومع الآخرين .

إن اللغة هي البطلة الحقيقية لقصص المجموعة ، فنحن مضطرون منذ اللحظة الأولى للتعامل مع اللغة ليس بوصفها تعبيرًا ؛ بل بوصفها همًّا أساسيًا من هموم العمل الأدبي ، فوجودها والانشغال بها وصياغتها وتشكيلها بطرائق متعددة ، واقتناص المفردة المشعة والصورة الموحية كل ذلك نحسُّ به حتى ليكاد يطغى هذا الاهتمام على العناصر الفنية الأخرى التي يفترض أن اللغة وسيلة ترسيخ حضورها الكياني داخل القصة .

إن الطريقة التي تعتمدها الكاتبة أشبه بأسلوب كتابة المذكرات أو اليوميات ، وليس النهوض من بؤرة الموقف الفني بتماسكه وقدرته على الإشعاع والتأثير والاتجاه إلى النهاية بقوة ، ومع هذا فإن الكاتبة تعطي النهاية أهمية كبيرة ، فهي تمهد لها وتحتشد وتحرص على أن تفاجئنا بها ، ولكن روتينية النهاية في كثير من الأحيان تصادر القوة التأثيرية المفترضة . فهي غالبًا ما تكون مقفلة تحاصر العمل وتضعه بين قوسين ولا تتيح له مجال البث المتواصل ..

والكاتبة تتميز - أيضًا في هذه المجموعة - بالقدرة على مفاجأة القارئ وإيقاظ ملكة التلقي عنده بعنف خصوصًا في (الشاحنة) فقد مزجت برفق بين الواقع والرمز من جهة ، وبين الحلم والكابوس من جهة أخرى ، فقد أحسنت الانتقال من على الجسر الواصل بينهما .

ومن القصص التي استطاعت الكاتبة فيها أن تخرج من إطار النمطية وأن تجمع فيها بين الكشف عن الحقائق الموضوعية والتوترات النفسية قصة «الصداع» .

والكاتبة ماهرة في التقاط اللحظات النفسية المشحونة بالتوتر والانتظار التي يعقبها إحباط يجهضها ويقتل فيها الترقب المتفائل ، وهي لحظات فيها خصوصية الأنثى ونبضها المتميز على نحو ما نجد في قصة «لا شيء هناك» .

والكاتبة تختار إيقاعًا بطيئًا يعتمد على تضاريس أسلوبية تتراوح ما بين الوصف المشهدي المتمهل واقتناص الخواطر الهائمة والاستطراد المتأمل والافتراضات المتتالية

والأحكام التقريرية وأحاديث النفس ، والمونولوج الداخلي والخيال الجموح والاستغراق في شاعرية إنشائية واسترجاعات تستحضر مشاهد من الماضي وما إلى ذلك .

قصائد راعفة : شعر / إبراهيم بن محمد العواجي .- ط ١ .- الرياض : إ. م. العواجي ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .- [بقلم سليمان الأفنس الشراري .- الحرس الوطني .- س ١٤ ، ع ١٣٦ (شعبان ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .- ص ١٠٢ - ١٠٥] .

يذكر الكاتب بأن الشاعر قد نجح في ديوانه «قصائد راعفة» أن يصور لنا المقدرة على التألق فوق ركام الهموم وألوان السموم ؛ بما بثه من إحساسات الجمال والشعور بكريم الخصال ؛ وبما فجره من طاقات تبعث الإرادة والاختيار لما هو جميل ونبيل ! !

إن القارئ المنصف لا يكفيه أن يتقبل هذا الديوان على أنه مجموعة من القصائد بل إنه يرى فيه موقفًا حضارياً واتجاهاً مثالياً ونزوعاً إنسانياً . إذ في ثناياه يكشف عن مناهج حضارية راقية ويفجر في الإنسان توقاً غلاباً إلى السلوك المتحضر والانفعام بروح الإنسانية المثلى ، ذلك لإيمانه بأن الصدق والحق أقوى من التضليل والكذب ، ودعوة واضحة إلى الاعتزاز ومقاومة الظلم ؛ ثم دعوة إلى صحوة الضمير ويقظة الوعي .

مجمل ما أدمى قلب الشاعر نكران المعروف . حروب الكلام ومعارك المقالات ، الخنوع للباطل ، ضياع العدل ، فقدان الضمير ، موت العفة في قبضة الحكام المنحرفين ، لا يستسلم الشاعر لانهيار كل هذه القيم ، وإنما يوحي بلذع الضمير للحفاظ عليها .

وهذا في حد ذاته سموق وسمو وتألق مرموق . وهو قد حرر نفسه من قيد ألم الجرح الذي يدميه ويبكيه كما رآه أو تذكره إنما يتجاوزه ويعبره إلى حالة من الأمل والاقتناع بأنه أكبر من الحزن والأسى .

ومن الآلام التي تراكمت على القلب ، وضيقت أمامه سبل الحياة ، الألم لما يتردى إليه بعض الناس من سوء الخلق ورديء الفعال ، والشاعر يرصدهم رصداً ، في القصائد : «أسفي على حلم الصغير» ، «البائعون عقولهم» ، «المهدرون دماءهم» ، «المرجفون» ، «الخاسرون» ، «الطامعون» ، «الحالمون» ، «الحاقدون» ..

ولا بأس في هذا الرصد شعراً ، فهو في مجمله الفني يعطي صورة للكثافة الضبابية المؤسية التي أحاطت بنا خلال أزمتنا : راقصون على الجبال - مرخصون ضمائرهم ..

ثم كانت أحلك الظلمات ظلمة ليل الاغتيال لوطن بأكمله تحدياً لمشاعر العالم كله حتى لقد أصبحت صورة المعتدي قاتمة سوداء في ذاكرة الناس أجمعين لا يتمثل في أذهانهم إلا ظلمة ودخاناً وناراً وسعيراً وشراً مستطيراً ، ولقد أشبعته أقلام الرسامين والشعراء تجريحاً وتقبيحاً وزراية وكراهية في صور شتى خبيثة دميمة . ولقد خصص له ديوان «قصائد راعفة» قصيدة بعنوان (سفاح بغداد) صوره فيها بأنه لون من المرض الخبيث جاء إلينا مسترذلاً مكروهاً عن طريق العدوى من بقايا التتار ، والعروبة منه براء ، إنه وحش مفترس شوه جسد الأمة ، إن جرائمه وفظائعه شيء ملموس محسوس لاخيال فيه ولا إحالة على فكر أو تصور ، إنها دماء سالت أنهاراً ، وحرائق ظلت ليلاً ونهاراً ، وخيانات كانت عاراً وشناراً ، إلى جانب ما جناه ولا لخطورة ما جناه في حق القيم والمثل . وما اقترفه من إفعام القلوب والنفوس بالحزن والألم الكبير .

يقدم الكتاب كما تذكر المراجعة قراءة ثلاثة نصوص من الشعر المعاصر تتصل بالمرأة . ويقيم شبه حوار بين قراءة المؤلف النقدية ، ورأي أصحاب هذه النصوص في قراءة نصوصهم ، ورأي ناقد آخر حول ما سبق من قراءات . وعلى هذا ينقسم الكتاب تلقائياً إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : وهو ما كتبه المؤلف ويحمل عنواناً داخلياً ، نماذج المرأة في الفعل الشعري المعاصر ، ويتضمن هذا القسم :

١ - مقدمة عن جماعية اللغة الشعرية ، وعن اتصال الشعر باللاشعور الجمعي .

٢ - صورة المرأة في الذهن العربي ، المرأة /الموت ، والمرأة / الحياة .

٣ - نماذج المرأة في الشعر المعاصر في قلب الجزيرة العربية ، وهذه النماذج هي : نموذج المرأة /

الموت وتمثله قصيدة «قولا لذات اللمى» لحسين سرحان ، ونموذج المرأة / الحياة وتمثله قصيدة «أغنية في ليل استوائي» لغازي القصيبي ، ونموذج المرأة / المعنى وتمثله «مقاطع من قصيدة خديجة» لمحمد جبر الحربي .

القسم الثاني : هو ما كتبه الشعراء حسين سرحان، وغازي القصيبي ، ومحمد الحربي تعليقًا على ما كتبه المؤلف عن نصوصهم .

القسم الثالث : هو ما كتبه الناقد والشاعر نذير العظمة تعليقًا على القسمين الأولين ؛ كتابة المؤلف عن النصوص الشعرية ، وكتابة الشعراء حول قراءة المؤلف لنصوصهم .

ووجود هذه الكتابات الثلاث حول النصوص الشعرية متآلفة في موضوع واحد مع اختلاف الزوايا في النظر للنصوص يقدم إثارة لذهن القارئ ولخياله .

وتقول الكتابة : سأعرض هنا لما جاء في القسم الأول من الكتاب ، مما يتصل بصورة المرأة في الذهن العربي فهذه النقطة تحمل مقولة معينة عن صورة المرأة في اللاشعور العربي ، وقد كانت مرتكزًا لقراءة النصوص الثلاثة ومن خلالها قدم الناقد المؤلف رؤيته للنصوص الشعرية ويمكن تلخيص هذه المقولة حول المرأة في ثلاث نقاط :

١ – صورة المرأة في الذهن العربي يعبر عنها اللاشعور الجمعي .

٢ – الشعر والأمثال يتجسد فيهما اللاشعور الجمعي ، ومن هنا تنعكس فيهما صورة المرأة في الذهن العربي .

٣ – توجد نظرة مزدوجة للمرأة في الذهن العربي ، لكن يمكن تفسير هذه الازدواجية في النظرة بثنائية المرأة المحرم ، والمرأة غير المحرم ، فالمرأة المحرم لها الموت ، والمرأة غير المحرم لها الحياة .

وتقول المراجعة : إن النقطة الأولى التي اختلف فيها مع ما جاء في الكتاب ، هي أن صورة المرأة في الذهن العربي القديم وحتى عصرنا الحاضر ثابتة لم تتعرض للتغير والتذبذب .

والثانية ، هي أن تكون الازدواجية في النظرة للمرأة تعود للثنائية المرأة المحرم والمرأة غير المحرم ، وأن المرأة المحرم لها الموت ، والمرأة غير المحرم لها الحياة .

ومن النقاط التي تستحق اهتمامًا خاصًا في «الكتابة ضد الكتابة» هو ما جاء فيه من ملاحظة وجود تاريخ مديد «من التقاليد الرجالية المضادة للمرأة» في الخطاب الأدبي. وأن «هذه التقاليد المضادة قد تبلغ في عدوانيتها مبلغًا يعيد تأويل دلالات الخطاب الأدبي ليجعله ضد المرأة» . والمؤلف في هذه الإشارة إلى العدوانية يضع يده على نقطة قلما لاحظها الكاتبون عن المرأة ، أو اهتموا بتسجيل ملاحظاتهم لها . إن هذه الإشارة تستدعي تتبع صورة المرأة في مختلف أنواع الخطاب العربي القديم المكتوب ، وليس في الخطاب الأدبي وحده ، وذلك حتى يمكن تمييز التحيز ضد المرأة ، وملاحظة مدى كثافته في مدة معينة أو في شريحة معينة من شرائح الخطاب وملاحظة مدى المؤثرات من ثقافات أخرى عليه ومدى تطوره سلبًا أو إيجابًا مع مرور الزمن .

المسحوق : قصص / محمد حمد الصويغ .– الطائف : نادي الطائف الأدبي ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م . [دراسة أحمد مختار مكي .– القوافل .– ع ١٥ (ذو الحجة ١٤١٢هـ) .– ص ٢٩ – ٣٣] .

يذكر المراجع أنه بتحليل مضمون المجموعة نرى على المستوى التحليلي والدلالي أنه يدور حول فكرة اغتراب الذات عن نفسها الناشئ عن اغتراب الذات عن المجتمع ونلاحظ أيضًا أن سمة التشاؤم واليأس والألم وطابع السريالية والجنوح للخيال تغلب على معظم قصص المجموعة وهاجس الموت في هذه القصص حدث متصل لا يكاد ينقطع عن بعض قصص المجموعة حتى يعود إلى أخرى ومن الظواهر الشائعة أيضًا الحب ، الخيانة ، استخدام الرمز واللغة الغالبة هي اللغة الشاعرية .

وقد تلمس المراجع خصائص الرومانسية في قصص المجموعة في الآتي :

أولاً : الصويغ في معظم قصص المجموعة يهرب من الواقع ويلجأ إلى خلق عوالم خاصة ووسيلته في ذلك الأحلام والذكريات .

ثانيًا : إذا كان الألم والإحساس بالتعاسة والشقاء من سمات الرومانسية ، فإن النزعة التشاؤمية والإحساس بالألم والتعاسة تعج بها جوانب قصص الصويغ .

ثالثًا : إذا كان من سمات الرومانسية أن التعبير عن الذات هو تعبير عن ذوات الآخرين ومشاعرهم

وأحاسيسهم فإن هذا الملمح الرومانسي نجد صداه في كتابات الصويغ .

رابعاً : ومن ملامح الرومانسية الواضحة في قصص المجموعة ، الموت والاغتراب وتفضيل الموت على الحياة . . وهناك أربع قصص تحمل في عنوانها كلمة الموت .

ويختم المراجع دراسته قائلاً : من خلال العرض السابق لسمات الرومانسية في قصص الصويغ تأكد لنا أن الصويغ أديب رومانسي ، وهذا يدفعنا إلى القول إنه تأثر بفلسفة الرومانسيين وأشعارهم ورواياتهم وكتبهم ومنهجهم في تناول القضايا والمشكلات .

ومن خلال دراسة محتوى قصص المجموعة نستبعد بشكل قاطع تأثر أو اعتناق الصويغ لأية فلسفة من الفلسفات الحديثة كالوجودية ، والبرجماتية وغيرها ، ولكن تظهر لديه ثقافة فلسفية والملامح الفلسفية في قصص هي عبارة عن تعبير فلسفي عن واقعه وواقع مجتمعه ومشكلاته ، ونشعر فيها بأصالة لا غرابة فهي من وحي البيئة وواقعها .

اقرأ في الأعداد القادمة

الدراسات

البليوثيرابيقا أو العلاج بالقراءة .... أحمد بدر

مشكلات الكتاب العربي .... عبدالوهاب أبو النور

من قضايا الحرف العربي : التصحيف والتحريف .... أحمد السواحلي

فئات رانجاناثان، جذعها عربي وجذورها في اليونان .... فوزي الخطيب

الاعداد الأكاديمي في مجال المعلومات بدولة الكويت .... ياسر عبدالمعطي ونهلة الحمود

نظرة على وثائق أرشيف بوتسدام المتعلقة بتاريخ المملكة . ... فهد السماري

المراجع الفقهية والتاريخية للنقود .... محمد علي الحريري

نحو بناء كشاف موضوعي للحديث النبوي .... محيي الدين عطية

الرد على محاضرة رينان حول الإسلام والعلم .... مصطفى عبدالنبي

المسح الوثائقي – جون فلكنر ...... عبدالرحمن الشيخ

ابن القطاع اللغوي .... عبدالمجيد الأسداوي

التعليم في المكتبات لبامبر .... سماء المحاسني

جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى للغرناطي .. .. مصطفى الغديري

هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام للبديعي .... عبدالكريم الحبيب

اللمعة في صنعة الشعر للأنباري .... أيمن ميدان

ديوان محمد بن حازم الباهلي .... وليد السراقبي

كتاب القلم لابن السراج .... عبدالعزيز الساوري

الخاطريات لابن جني .... عبدالفتاح السيد سليم

كتاب أسرار الصوم للغزالي .... طاهر المنجد

الرسائل الثقافية

رسالة المغرب الثقافية

عبدالعزيز الساوري

الديوان - وزارة الشئون الثقافية - الرباط

ندوة «وضع المخطوط في المغرب العربي»

ضمن فعاليات الأسبوع الثقافي المغاربي (٩ - ١٧ فبراير ١٩٩٣م) عقدت «جمعية مدارات معرفية» بتونس ندوة حول «وضع المخطوط في المغرب العربي» اهتمت فيه بالمخطوط من حيث كمه وتوزعه وجماليته ومراحل توظيفه وتصنيعه وتقويمه وبيان دوره في بناء الفكر المعاصر. وشاركت في هذه الندوة جماعة من الأساتذة من مختلف المغرب العربي هم :

- الأستاذ د. محمد بن شريفة - محافظ الخزانة العامة بالرباط.
  * المخطوط عامل من عوامل وحدة المغرب العربي.
- الأستاذ د. أبو القاسم سعد الله من جامعة الجزائر.
  * المخطوطات وأثرها في التواصل بين الأمم.
- الأستاذ عبدالكريم بوشويرب - طبيب من ليبيا يهتم بتاريخ التراث العلمي.
  * بعض المخطوطات الطبية الموجودة في ليبيا.
- الأستاذ خليل النحوي - الألكسو - تونس.
  * المخطوطات في موريتانيا.
- الأستاذ عبدالوهاب الدخلي - بيت الحكمة - تونس.
  * الإسهام التونسي في تحقيق المخطوطات.

ومن تونس شارك أيضاً المسئولون عن قسم المخطوطات بدار الكتب الوطنية مقدمين تقريراً عن وضعيتها الحالية، والأستاذ عبدالحفيظ منصور المحقق المعروف للمخطوطات الذي أغنى الجلسات بالنقاش والحوار.

وتوزعت أعمال الندوة على جلستين علميتين : الأولى ترأسها الأستاذ أبو القاسم سعد الله، والثانية الأستاذ د. جمعة شيخة مدير المكتبة الوطنية بتونس، وتخللت الجلستين زيارة لمعرض المخطوطات بدار الكتب الوطنية.

لقد تقدم المشاركون بمداخلات لامست كل محاور الندوة، وكانت متكاملة في اختلافها، فغطت كامل منطقة المغرب العربي، وخلصت جميعها إلى أن ثروة المخطوطات في هذه الربوع كبيرة وغنية ومتنوعة المواضيع، كما بينوا أن ما تلقاه من اهتمام - وإن شهد بعض التطور - يبقى غير كاف، وليس في مستوى ما يجب أن يحظى به المخطوط باعتباره أساس حضارة وعامل فكر وعامل وحدة، وهي صفات أكدتها كل المداخلات، كما تبينت أن النقص يشوب كل مراحل تصنيع المخطوط من الاكتشاف والجمع والفهرسة إلى الحفظ والتصنيع ثم التحقيق والترويج، وهو أمر يهدده بالخطر والتجاوز، هذا النقص ؛ أوصى المتدخلون بالعمل على ضبط سياسة مغاربية متكاملة تهم المخطوط وقضاياه يكون من أهدافها العمل على :

- ضبط عدد المخطوطات في الأقطار المغاربية، واستعادة ما هجِّر منها، والإشارة إلى مزدوج الوجود منها، وتعميم ما كان مفرداً، وكشف المخطوطات التي في المكتبات الخاصة.
- فهرسة المخطوطات بطريقة علمية توضيحية تسهل الاطلاع عليها والعمل على تحقيقها ونشرها على أن تنشر تلك الفهارس بعد طبعها.
- تبادل الخبرات والوثائق التي تهم استغلال المخطوط.
- عدم التعامل مع التراث المخطوط بطريقة عاطفية أو سياحة نفعية بل باعتباره ثروة وطنية وقيمة حضارية.
- إعداد العنصر البشري اللازم كمًا وكيفًا لإنجاح عملية التحقيق والطبع والنشر، وتشجيع الشباب من قبل المؤسسات العلمية والدولية على الاهتمام بالمخطوط بإحداث جوائز لأهم وأفضل المخطوطات قطرياً ومغاربياً.

وللنجاح في هذا المسعى أكد المتدخلون على ضرورة

أن يكون العمل مغاربياً متكاملاً يتجسد في :

- تكوين جمعية مغاربية للعناية بالمخطوط .
- بعث معهد مغاربي للاهتمام بالمخطوط ومستلزماته وتأمينه يكون تحت إشراف الجامعة المغاربية .
- إنشاء صندوق مغاربي مشترك يخصص لتمويل أشغال المخطوط .

الإيسيسكو تحتفل بذكرى مرور خمسة قرون على وفاة جلال الدين السيوطي :

نظمت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالرباط مع الأزهر الشريف في الفترة ما بين ٣ – ٥ أبريل ١٩٩٣م بالقاهرة ندوة علمية كبرى بمناسبة مرور خمسة قرون على وفاة العلامة جلال الدين السيوطي (٨٤٩ – ٩١١هـ) / (١٤٤٥ – ١٥٠٥م) .

وعالجت الندوة خمسة محاور تشمل الأوضاع السياسية والحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في العالم الإسلامي في القرن العاشر الهجري وأثرها في فكر السيوطي وثقافته ودراسته وإنتاجه وجهوده العلمية ، وأثر العلامة السيوطي في عصره وما بعد عصره والمهتمين به وبآثاره .

وكان قد افتتح الندوة فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ، والدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التربية والتعليم في جمهورية مصر العربية ، والدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للإيسيسكو .

وقد قدمت في هذه الندوة بحوث أعدها علماء من مختلف البلاد الإسلامية تتناول حياة الإمام السيوطي وعصره وإسهاماته المتعددة في العلوم الدينية واللغة والآداب والتاريخ والتراجم وغيرها .

ونشير إلى أن الإيسيسكو تواصل الاحتفاء بذكرى كبار العلماء المسلمين الذين لديهم دور متميز في خدمة الثقافة الإسلامية . وقد سبق أن نظمت عدة ندوات للاحتفاء بذكرى الإمام الطبري والإمام الشافعي ، والإمام الغزالي والطبيب ابن النفيس والإمام مسلم والعلامة أحمد بابا التمبكتي وأصدرت كتباً تشتمل على البحوث المتعلقة بكل واحد منهم .

مجلة «المناهل» تعود إلى الصدور من جديد :

نظمت وزارة الشئون الثقافية بالتنسيق مع كلية الآداب بجامعة الحسن الثاني – المحمدية – وكلية الحقوق بجامعة الحسن الثاني – عين الشق – حفل تقديم العدد الخاص بالدستور من مجلة «المناهل» ع ٤١ س١٩ شعبان ١٤١٣هـ / فبراير ١٩٩٣م .

وقد ألقى معالي وزير الشئون الثقافية الأستاذ محمد علال سيناصر كلمة أشاد فيها بمسيرة مجلة «المناهل» عبر تسعة عشر عاماً حيث أسهمت من خلالها «بدور جاد وأصيل سلّط كاشف الضوء على عطاء القلم والفكر بالمغرب بحثاً علمياً ، وإبداعاً أدبياً ، واعتناء بالتراث العربي والإسلامي في المغرب بوجه خاص وفي الأندلس والغرب الإسلامي بوجه عام ، الأمر الذي بوأ هذه المجلة – داخلياً وخارجياً – مكانة مرموقة ثم تصنيف جانب من موادها ضمن المرجعيات المعتمدة في إعداد الرسائل الجامعية ، وفي كتابات الباحثين داخل المغرب وخارجه .

على أن صدور مجلة (المناهل) قد تعثّر في وقت من الأوقات واختل انتظامه ، فأعقب هذا التعثّر تساؤل مكثّف من مختلف الأوساط الثقافية .

وهكذا فإن مجلة (المناهل) في عهدها الجديد ، قد عملت في نطاق السياسة التي اختطتها وزارة الشئون الثقافية لها على تجاوز ملابسات التعثّر والاختلال ، وشرعت في الارتقاء بموادّها وأبوابها إلى مستوى المجلّات الثقافية والمرجعية ، وقد تم تخطيط في هذا الصدد يراعي ما يلي :

- إلزام تقيّد موادها البحثية بالإحالة والتوثيق .
- برمجة إصدار سلسلة أعداد خاصة ، تهتم بتناول الموضوع الواحد» .

ويتزامن صدور العدد الخاص بالدستور من مجلة «المناهل» في وقت صوت فيه الشعب المغربي مؤخراً «على الصيغة الجديدة لدستور الملكة بعد مراجعته وتزويده بشتى الإضافات الإيجابية التي كان من شأنها توفير المزيد من مُتع الحياة الديمقراطية وأفضالها استجابة للمبادرة المولوية السامية الصادرة عن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني» .

وقد خصصت مواد وأركان ومقالات هذا العدد

للحديث المستفيض عن المسيرة الدستورية المغربية ، وحسبنا في هذا التقديم السريع أن نقتصر على ذكر أهم المحاور التي تضمنها العدد ، وهي :

افتتاحية للسيد الأستاذ محمد علال سيناصر تتضمن تعريفاً بالأصل اللغوي لكلمة «الدستور» مع الوقوف على التمايز القائم بين الدستور العرفي والدستور المكتوب وتقديم جرد تاريخي موجز لعلاقة العرب والمسلمين بكلا المستويين مع الإشارة إلى الحقبة التاريخية التي أخذ فيها الدستور معناه الاصطلاحي الحديث سواء في الغرب أو في الشرق والوقوف على التحولات الاجتماعية والفكرية التي أسهمت في ذلك وعلى التجربة المغربية من خلال الدساتير الأربعة التي شهدها المغرب الحديث .

ونقرأ في باب شهادات :

- شهادة العلامة محمد سالم .
- دولة القانون أو التحرير الثاني للمغرب الكبير – د . محمد أركون .
- خواطر على هامش الدستور المغربي الجديد ١٩٩٢ – د . علي مراد .

وفي باب دراسات هناك :

- نظرة عامة إلى «دستور المملكة» على ضوء التشريع الدستوري في الإسلام – محمد المكي الناصري .
- الدستور المغربي الثاني ١٩٩٢ – عبدالهادي بوطالب .
- البيعة وولاية العهد بالمغرب – عبدالوهاب بن منصور .
- ضمانات استقلال القضاء في الدساتير الحسنية – أحمد الزغاري وعبدالواحد الجراري .
- البرلمان والدستور في الوثيقة الدبلوماسية المغربية للأمس – د . عبدالهادي التازي .
- صور عن تطلع المغرب للحياة الدستورية – محمد المنوني .
- نظرة إلى بعض مهام أمير المؤمنين من خلال الدستور المغربي – د . محمد المختار ولد باه .
- المكاسب الديمقراطية التي ضمنها دستور ٤ سبتمبر ١٩٩٢ – د . شبيهنا حمداتي ماء العينين .
- ثوابت دستورية لا تتغير : الصبغة ، الهوية ، النظام ، الالتزام – محمد الحاج ناصر .
- الدستور والممارسة الخارجية المغربية – د . الحسان بوقنطار .
- المراجعة الدستورية لرابع سبتمبر ١٩٩٢ – د . محمد معتصم .
- الخصائص المميزة لمقتضيات دستور ١٩٩٢ المتعلقة بتطبيق القانون الدولي في المغرب – د . عبدالواحد الناصر .
- التأطير الدستوري للمجال الإداري في دستور ١٩٩٢ – د . عبدالحق عقلة .
- نقل الدستور المغربي إلى اللغة الإنجليزية – محمد أبو طالب .

أما ديوان المناهل فيضم مجموعة قصائد شعرية عمودية لكل من أحمد بن شقرون – محمد الحلوي – علي الصقلي – أحمد عبدالسلام البقالي – عبدالواحد أخريف – المهدي زريوح – وجيه فهمي صلاح .

كما يشتمل المحور الأخير من المجلة «على مجموعة من الوثائق التي تسجل واقعياً نشأة الفكر الدستوري وتطوره في المغرب الحديث ، وقد روعي في ترتيبها الاعتبار التاريخي ليتسنى للقراء والباحثين مواكبة الفكر الدستوري المغربي منذ نشأته الأولى فكرة ، وخلال مراحله مسيرة ، إلى أن بلغ هذه المرحلة الراهنة التي يزهو بها درجة من الكمال ، إن يكن يطمح إلى أعلى منها فإنه يعتزّ بها ، ويعتبرها شهادة قيمة صادقة على مدى ما بلغه من النضج التشريعي في مجال صياغة الدساتير» .

وفيما يلي عناوينها :

- أول مشروع للدستور .
- مشروع ابن سعيد السلوي إلى المولى عبدالعزيز .
- مذكرة الحاج زنيبر لمناهضة معاهدة الجزيرة ومشروع دستور .
- مشروع الشيخ عبدالكريم مراد المرفوع إلى المولى عبدالعزيز أو المسيرة الدستورية المعاصرة .
- دستور ١٩٦٢ . – دستور ١٩٧٠ . – دستور ١٩٧٢ .
- دستور ١٩٩٢ باللغات : العربية ، والفرنسية ، والإسبانية ، والإنجليزية .

وهكذا – كما يقول الأستاذ محمد علال سيناصر – «فإن دراسات وبحوث ومقالات قيمة في هذا العدد من مجلة (المناهل) تبرز بالحجة والبرهان أن الحداثة السياسية المتمثلة في التطور الدستوري المغربي هي تلك الحداثة التي تدعو بكل صدق وفي حرمة القواعد الإسلامية

والتقاليد المغربية إلى التغيير ، وتحافظ بالتالي على الحق المكتسب والموجود قبلاً ولكنه الحق الخاضع للتجديد في نطاق التشريع المستجيب في واقعه ، إلى التطور العام» .

يقع العدد في ٥٢٠ صفحة من القطع المتوسط .

وسبق لمجلة «المناهل» أن أصدرت أعداداً خاصة كانت على التوالي كما يلي :

١ – العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس .
٢ – أبو الحسن اليوسي .
٣ – القاضي عياض .
٤ – ابن حيان وتاريخ الأندلس .
٥ – مؤرخو الدولة العلوية الشريفة .

وسينتظم صدورها مرحلياً كل شهرين ، وتباعاً تمت برمجة ملفات أعدادها القادمة لتدارس القضايا التالية :

– المرأة . – الثقافة الإسلامية .
– البيئة . – الأدب والأخلاق .

«تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات»

صدر مؤخراً عن الشركة المغربية للطباعة والنشر بالرباط الطبعة الأولى ١٩٩٣ من كتاب «تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات» للأستاذ السعيد بنموسى موظف بالخزانة العامة بالرباط .

وعن فكرة إنجاز هذا الكتاب يقول : «بحثت في المكتبات عن كتب تعرف بالتسفير والمراحل التي يمر منها الكتاب قبل ذلك إلا أنني فوجئت بعدم وجودها ، وكان هذا بالنسبة لي حافزاً لأعرف بهذه المهنة النبيلة وأصولها إلى الصناع الشباب الذين هم في طور التكوين أو لهم ميول لتعلمها أو كل شخص له رغبة في تسفير كتبه بنفسه ولكي يكون هذا الكتاب في متناول الجميع ، فقد حرصت على البساطة في طريقة الشرح كما أبقيت على بعض المصطلحات بالدارجة» .

وقد احتوى الكتاب على :

– اللوازم الضرورية للتسفير . – خياطة الكراريس .
– تقصيص الكتاب . – تدوير الكتاب .
– تظهير الكتاب . – تفصيل الكارتون .
– تركيب البرشمان . – ترقيق الجلد .
– تركيب الكعوب . – كسوة الكتاب بالجلد
– تبطين الكتاب . – تعليب الكتاب .
– كيفية تعليب الحجم الكبير والكتب غير مزدوجة الأوراق
– كيفية تذهيب الكتب .
– تذهيب الكتب بالطريقة التقليدية .
– كيفية ترميم المخطوط .

يقع الكتاب في ٥٣ صفحة من الحجم الصغير .

«البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف» للزياني

صدر عن مركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني (إقليم الراشيدية) التابع لوزارة الشئون الثقافية كتاب «البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف» تأليف أبي القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني المتوفى سنة ١٢٤١هـ دراسة وتحقيق الأستاذ رشيد الزاوية .

ويعالج هذا الكتاب التاريخ المغربي العام والتاريخ العثماني في المشرق العربي ، ومن هنا جاءت أهميته في التاريخ الإسلامي والعربي الحديث . ويمكن تصنيف مادته حسب أهميتها في الكتاب كما يلي : أخبار الدولة العلوية في المرتبة الأولى ، وأخبار السعديين في المرتبة الثانية . ثم تاريخ الدولة العثمانية بالأستانة في المرتبة الثالثة . ويضاف إلى هذا تضمينه مادة أدبية وشعرية وحكماً بليغة واقتباسات فلسفية واستطرادات على عادة مؤلفي عصره .

ويشكل هذا الكتاب موسوعة في التاريخ المغربي الحديث وخاصة منذ نشأة الدولة العلوية إلى عهد السلطان مولاي سليمان العلوي أي من منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى أواسط القرن الثالث عشر الهجري (١٦٤٠ – ١٨٢٠م) .

وقد اعتمد المحقق على نسخ خطية عديدة في تحقيقه للكتاب ، وهو في الأصل رسالة جامعية لنيل الماجستير في التاريخ بكلية الآداب ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس تحت إشراف مولاي هاشم العلوي القاسمي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٩٩١ .

يقع الكتاب في قسمه الأول في ٥٠٨ صفحات من القطع المتوسط .

«العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس» لابن هدية القرشي .

يصدر قريباً عن دارالغرب الإسلامي ببيروت كتاب «العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس» تأليف أبي عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي التلمساني المتوفى سنة ٧٣٦هـ ، بتحقيق الأستاذ محمد علال سيناصر وزير الشئون الثقافية بالملكة المغربية وعضو أكاديميتها وعضو مراسل المعهد المصري بالقاهرة.

وقد اعتمد المحقق على نسخة انتسخها لنفسه الشيخ المهدي البوعبدلي (توفي رحمه الله في ٧ يونيو ١٩٩٢م) وطابقها على النسخة المنسوخ عنها لمحمد بن محمد الكيلاني أواخر ذي الحجة الحرام ختام الشهر سنة ١٢٤٦هـ ، عن نسخة مكتوبة يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر صفر عام ٧٧١هـ ، وهذه النسخة في ملكية خاصة .

وللكتاب أهمية مزدوجة ، أهمية أدبية لغوية تبدو في مستواه الرفيع من الناحيتين المذكورتين متناً وشرحاً ، وأهمية فكرية فلسفية تعكس مناخاً علمياً في المغرب والأندلس في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجريين .

كما تتجلى أهمية الكتاب في النقاش الذي كان يجري بين من يتعاطون العلوم القديمة (الفلسفة) ، وبين الذين ينكرون تعاطيها ، ويشددون النكير على أصحابها .

وعلى سبيل المثال يبدو ابن خميس في هذا الكتاب التراثي عارفاً كبيراً بالعلوم القديمة والفلسفة اليونانية ، بينما يمثل شارحه ابن هدية تياراً آخر يمثل أغلبية العلماء الذين يرفضون العلوم القديمة بما فيها الفلسفة .

ومن خلال هذا الكتاب - لأول مرة - نعرف ابن خميس يمثل استمرار المدرسة الفلسفية في الغرب مثله في ذلك مثل الآبلي والشواذكي ... إلخ .

وإذا كان ابن خميس قد عرف بصفته أديباً لا فيلسوفاً ، فإنه يعرف هنا بصفته فيلسوفاً ، أما ابن هدية الشارح ، فإنه يعرف لأول مرة بكتابه هذا ، وبكتابه الذي ينقل عنه كثيراً ، وهو «علالة الطالب» الذي ما يزال في حكم المفقود .

وهذا الشرح هو لاحق لسلسلة الشروح الأدبية اللغوية التي تميزت بها مدرسة الغرب الإسلامي أمثال شرح مقصورة ابن دريد لابن هشام اللخمي وشرح مقصورة حازم القرطاجني للشريف الغرناطي وشرح لاميتي العرب والعجم ... إلخ .

ندوة «التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب»

عن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية بالرباط صدرت ندوة «التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب» ، وهي في الأصل دورة استثنائية كانت نظمتها الأكاديمية ما بين ١٧ - ١٩ شوال ١٤١٢ / ٢١ - ٢٣ أبريل ١٩٩٢ بغرناطة .

وفيما يلي بحوث الدورة :

- العناية بتراث الأندلس بالمغرب وإسبانيا - . د محمد بنشريفة .
- الهوية الثقافية الأندلسية من خلال رسالة ابن حزم في فضل الأندلس - امحمد بن عبود .
- حضارة الأندلس من خلال رسالتي ابن حزم والشقندي - محمد الحبيب ابن الخوجة .
- مدرسة الآبلي وانتشار الرشدية الجديدة بالمغرب العربي - عبدالمجيد مزيان .
- الرشدية اللاتينية - محمد علاّل سيناصر .
- التعاون المغربي الأندلسي في مجالات الفلسفة والعلوم الدقيقة - محمد زنيبر .
- استلهام التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب - أحمد صدقي الدجاني .
- أهمية الموسيقى والغناء في حضارة الأندلس - عباس الجراري .
- التراث المشترك الأندلسي المغربي في ميدان التصوف - محمود علي مكي .
- آخر وثيقة إسلامية أندلسية - عبدالوهاب ابن منصور .
- نوازل غرناطية لابن عاصم الإبن - محمد بنشريفة .
- أبو محمد ابن حزم في تاريخياته بحضور ظاهريته ويقظة عقلانيته - عبدالرحمن الفاسي .
- التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب - عبدالهادي التازي .

- الفن المعماري بالمغرب والأندلس : الأخذ والعطاء - عبدالعزيز بنعبد الله .
- ما قبل رحلة كولومبوس : مقدمة في المنهج - ناصر الدين الأسد .
- إرث جماعي يحتّم عملاً جماعيًا - أوطو دوها بسبورغ .
- بعض الأفكار عن التعامل الثقافي الإسباني - الإسلامي - إميليوكارسيا كوميز .
- إعادة إدماج العقل في العلم المعاصر كما فعل كل من ابن رشد وابن ميمون - جورج ماطي .
- الإسهام العربي الأندلسي في حضارة الماء - روبير أمبركجي .
- الربط القار عبر مضيق جبل طارق مساهمة عصرية - دي أرانطيس إ - أوليفيرا .
- الفكر الصوفي الإسلامي في إسبانيا - إميليو دي صنتيا كوسيمون .
- التراث الإسباني العربي : الضمير التاريخي والإبداع الأدبي اليهودي المغربي - حاييم الزعفراني .
- الإرث الإسباني العربي في الطب - دونالد فريد ريكسون .
- إثنوغرافيا وأصل الكلمات : أندلس ، عرب ، وبربر - خواكين فالفي .
- ثقافة آخر المسلمين الأندلسيين - الحسين بوزينب .
- التأثير العربي في الهندسة المكسيكية - بيدرو رامير يزفاسكيز .
- النَّقَلة العرب للمخطوطات الفلكية في الغرب وإسبانيا - خوان فير نيث .
- قرطبة الخليفية عاصمة الفكر - روجي كارودي .
- الفكر العربي الإسلامي في الأندلس - ميكتيل كروس هيرنانديس .

يقع الكتاب في ٥٨٤ صفحة من القطع المتوسط .

«موشحات مغربية» للدكتور عباس الجراري

ضمن منشورات كلية اللغة التابعة لجامعة القرويين رقم (١) صدرت الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة) من كتاب «موشحات مغربية : دراسة ونصوص» للدكتور عباس الجراري أستاذ كرسي الأدب المغربي بكلية الآداب - جامعة محمد الخامس بالرباط بمناسبة الندوة التكريمية للمؤلف ، والتي نظمتها كلية اللغة العربية بمراكش في موضوع : «البحث في أدب الغرب الإسلامي : الواقع والآفاق» ما بين ١٢ - ١٤ نوفمبر ١٩٩٢ .

وقد قدّم له د . حسن جلاب قيدوم الكلية ، فقال : «وبهذه المناسبة يسعد الكلية ويشرفها أن تعيد طبع أحد أهم مصادر الأدب المغربي ، وأحد أهم مؤلفات الدكتور عباس الجراري . وأن اختيار هذا الكتاب بالذات عائد إلى :

١ - أنه المصدر الوحيد في مادته ، إذ لا يوجد أي مصدر آخر يدرس ويجمع الموشحات المغربية ، وهذا وحده سبب كاف للنشر .

٢ - أنه من المطبوعات المطلوبة من طرف الباحثين والطلبة ، نظرًا لمرور عشرين سنة على طبعه ، ولنفاد طبعته الأولى .

٣ - أنه يؤكد خلافًا لما يروج عند بعض الباحثين الأجانب أن أدب المغاربة لم يكن أبدًا أدب فقهاء وعلماء فقط ، وإنما تناول أدباؤه وشعراؤه الأغراض والموضوعات والأشكال الفنية كافة ، وأن إبداعهم فيها لا يقل عن إبداع زملائهم في المشرق والأندلس .

٤ - وأخيرًا يجب أن نشير إلى أن هذه الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ، هذبها المؤلف وأضاف إليها ما توصل إليه من نصوص جديدة في الموضوع ، فأصبحت تضم خمسًا وسبعين موشحة لثلاثة وخمسين شاعرًا» .

يقع الكتاب في ٢٥٦ صفحة من القطع المتوسط .

كتاب «الزمان والمكان» لابن الزبير .

عن مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء صدر كتاب «الزمان والمكان» أو «تعيين الأوان والمكان» ، للنصر الموعود به في آخر الزمان ، مستقرأ من صحيح السنة ومحكم القرآن» تأليف شيخ الجماعة أبي جعفر أحمد بن الزبير الثقفي المتوفى في حدود سنة ٧٠٨هـ ، حققه وطبعه وقدّم له وعلق عليه الأستاذ د . محمد بنشريفة محافظ الخزانة العامة بالرباط .

ويعالج الكتاب قضية تهمّ المؤلف بحاضر المسلمين في الأندلس وتأمله في مصير الإسلام ومستقبله بها وبغيرها ، ولعل المحن التي تعرض لها الأندلسيون في

القرن السابع الهجري (هزيمة المسلمين في الغرب الإسلامي في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ ، وخروج التتر إلى البلاد الإسلامية المشرقية : بخارى وسمرقند ونيسابور وبغداد ، والصليبيون في بلاد الشام ، كانت من دواعي تأليف هذا المصنَّف) .

ويعتقد الأستاذ محمد بنشريفة أن أبي الزبير ألفه لحث المسلمين على الجهاد في الأندلس وبعث الأمل في نفوسهم ورفع معنويتهم ولاسيما بعد أن بدت بارقة نصر في سنة ٦٩٥هـ .

وقد اطلع عليه لسان الدين بن الخطيب وقال فيه : «وهو وصمة تجاوز الله عنه» والوصمة في نظر المحقق معناها العيب والعار .

ويتساءل د . محمد بنشريفة : ما هي الوصمة التي يعنيها ؟ هل يقصد بها أن ابن الزبير تسرّع فبشّر بأمر غيبي لم يقع كما قدر إذ لم يكن أوانه قد حان ؟ أم أن الوصمة تكمن في الطريقة التي سلكها في تعيين الوقت والرجل والمكان بأدلّة تحكمية ؟ أم أنها تقع في تطبيق آيات قرآنية وأحاديث نبوية وردت في موضوع النصر الموعود به على ما اعتبره كما يقول : «دلائل تشير لأرضنا ووقتنا وإمامنا» ؟

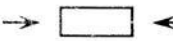
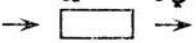
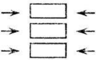
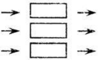
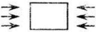
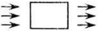
وقد اعتمد المحقق في تحقيقه للكتاب على نسخة وحيدة في العالم مخطوطة في الخزانة الحسنية – القصر الملكي بالرباط تحت رقم ١٢٦٤٢ وهي منتسخة عام ٦٩٥هـ ، ويرجح المحقق أن هذا هو تاريخ وسبب تأليف الكتاب أيضًا ، ويدل هذا كله على أن النسخة أصلية ولعلها النسخة الأم .

يقع الكتاب في ١٤٢ صفحة من القطع المتوسط .

تصويبات في دراسة بحوث العمليات وتطبيقاتها لعبدالرشيد حافظ

كانت عالم الكتب قد نشرت في العدد الثاني من المجلد الثالث عشر (رمضان ١٤١٢هـ) في الصفحات من ١٢٨ إلى ١٣٨ دراسة قيمة للدكتور عبدالرشيد حافظ الأستاذ المساعد في قسم المكتبات والمعلومات في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة . وقد شوه تلك الدراسة وقوع بعض الأخطاء الطباعية في النص وفي النماذج أدى بعضها إلى تغيير المقصود من تلك النماذج ، وقد تفضل الدكتور عبدالرشيد فعقب على هذه الأخطاء وبين أماكنها من الدراسة .

ونورد فيما يأتي تلك الأخطاء وتصويباتها ، مع الاعتذار للدكتور عبدالرشيد ونأمل من قراء عالم الكتب تصحيح الأخطاء في أماكنها من الدراسة .

الصفحة	السطر	العمود	الخطأ	الصواب
١٢٨	١١	٢	إلى تكوين	في تكوين
١٢٩	٢٧	١	Operation Analysis	Operation Management
١٢٩	٢٠	٢	جاسي	جاس
١٣١	٦	١	ونماذج تحليلية Analytical	ونماذج تحليلية: Analytical Models
١٣١	٦	٢	– أن يكون متفقًا ...	٥ – أن يكون متفقًا ...
١٣١	٩	الشكل ٢	———	التدريب
١٣٣	١٤	٢	للأسس التلية	للأسس التالية
١٣٣	٢١	٢	الكتب أخيرًا	الكتب التي وصلت أخيرًا
١٣٣	الشكل ٤	٢		
١٣٣	الشكل ٥			
١٣٤	الشكل ٦	١		
١٣٥	٩	٢	العلميات	العمليات
١٣٥	١٠	٢	التي لا تجد	التي لا توجد
١٣٦	٩	١	معهد ماشوستس	معهد ماساشوستس
١٣٦	٣٦	٢	Leimkuhl	Leimkuler
١٣٧	١٩	١	Limkuhler	Leimkuhler
١٣٧	٢٥	١	Shlving	Shelving
١٣٨	٢١	١	Pulishing	Publishing
١٣٨	٢٦	١	Assoction	Assocation
١٣٨	٢٩	١	System Analysis	Systems Analysis